

الأخلاق البهيمية

في شرح الخطبة الفاظية

شرح مبسط للخطبة الصادقية الكبرى
التي ألّفها علي بن الحسين بن أبي بصير

تأليف

الشيخ يوسف بن أحمد الشباطان (النجفاني)

إشراف ومراجعة

مركز الزهراء للإسلاميات



مركز الزهراء للإسلاميات



الأفكار الإسلامية
في شرح الخطبة الفاطمية

الأنوار البهية

في شرح الخطبة الفاظية

شرح مبسط لخطبة الصديقة الكبرى
التي ألقتها على نساء من المهج جرين والأصا

تأليف

الشيخ يوسف أحمد الساطان (الأحسائي)

إشراف ومراجعة

مركز التفتيش والإسلامي

وكتب: حب الحسين

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الأنوار البهية في شرح الخطبة الفاطمية

المؤلف: الشيخ يوسف أحمد السلطان «الأحسائي»

الطبعة: الأولى ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

الإخراج الفني: السيد عبد المطلب الشوكي.

الناشر: مركز الزهراء الإسلامي.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



الحمد لله رب العالمين

إِهْدَاءً

إِلَى أُمِّ أَبِيهَا...

إِلَى الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى...

إِلَى الصَّدِيقَةِ الشَّهِيدَةِ...

إِلَى بَهْجَةِ قَلْبِ الْمُصْطَفَى...

إِلَى رُوحِ النَّبِيِّ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ...

أُهْدِي هَذِهِ الْبِضَاعَةَ الْمُرْجَاةَ إِلَى بَضْعَةِ الْمُصْطَفَى...

يَا أَيْتُهَا الصَّدِيقَةُ جِئْتُ بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لِي الْكَيْلَ...

عَبْدُهَا: حُبُّ الْحُسَيْنِ

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أُلْهِمَ، وَالْتِنَاءُ بِمَا قَدَّمَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، سَادَاتِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ. سَيِّمَا الصَّدِيقَةَ الْكُبْرَى، فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ كَافَّةِ الْأُمَمِ. وَاللَّعْنُ الدَّائِمُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبعد: فَلَقَدْ اسْتَوْفَقْتَنِي رِوَايَةُ الْحُطْبَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَلْقَتْهَا مَوْلَاتُنَا الصَّدِيقَةُ الْكُبْرَى عَلَيْهَا السَّلَامُ، عَلَى نِسَاءٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، عِنْدَمَا كُنْتُ أَقْلُبُ صَفَحَاتِ كِتَابِ الْحَدِيثِ بَحْثًا عَنْ بَعْضِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي شَأْنِ مَوْلَاتِنَا الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَأَطَلْتُ الْوُقُوفَ عِنْدَهَا مُكْرَّرًا قِرَاءَتَهَا، وَكَلَّمَا أَجَلْتُ النَّظَرَ فِي مَعَانِيهَا رَأَيْتُ بَحْرًا عَمِيقًا لَا يُمْكِنُ لِمِثْلِي أَنْ يُبَجَرَ فِي مِثْلِهِ، إِلَّا بِمُقْدَارٍ يَسِيرٍ حَوْلَ ضِيقَاتِهِ، وَفِي ذَلِكَ الْمِقْدَارِ مَا يُخَيِّرُ الْعُقُولَ، فَأَتَى لِبَشَرٍ عَادِي أَنْ يُحِيطَ عِلْمًا بِمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ مُذَرِّكَاتِهِ، فَإِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِ بُرْهَانًا أَنَّ النَاقِصَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحِيطَ بِالْكَامِلِ، كَيْفَ وَهِيَ الَّتِي قُطِمَ الْخَلْقُ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ النَّصُّ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ الْعَصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي بَيَانِ وَجْهِهِ مِنْ وَجُوهِ تَسْمِيَتِهَا بِفَاطِمَةَ^(١)،

(١) تَفْسِيرُ فُرَاتِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيِّ، ص ٥٨١، وَعَنْهُ فِي حِجَارِ الْأَنْوَارِ، الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ ٤٣ : ٦٥.
عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ لِأَنَّ الْخَلْقَ قُطِمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا». وَهَنَّاكَ نَصُوصٌ أُخْرَى ذَكَرَتْ وَجُوهًا أُخْرَى فِي بَيَانِ وَجْهِ تَسْمِيَتِهَا بِفَاطِمَةَ، مِنْهَا: أَنَّهَا قُطِمَتْ بِالْعِلْمِ، وَمِنْهَا: أَنَّهَا قُطِمَتْ شَيْعَتُهَا مِنَ النَّارِ، وَمِنْهَا: أَنَّهَا قُطِمَتْ مِنَ الطَّمْثِ، وَمِنْهَا: أَنَّهَا قُطِمَتْ مِنَ الشَّرِّ. [رَاجِعْ عِلَّلَ الشَّرَائِعِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ ١ : ١٧٨ (بَابُ الْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ بِفَاطِمَةَ)].

فلو أردنا التعرّض لجزء يسير ممّا وَرَدَ في بيان حقيقتها النورية، وكيف أنّها حوراء إنسية لطال بنا المقام، ولما تمكّنا إدراك تلك الحقيقة كما هي إلّا بالمقدار الذي كُشِفَ لنا عن طريق النصوص الواردة في شأنها وبيان عظميتها عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وبكفي لبيان العجز عن إدراك تلك الحقيقة النورية الفاطمية ما وَرَدَ بأنّ الله خلقها من نور عظمته^(١).

إنّها - بأبي وأمي - في هذه الخطبة تُفصّح عن لسان أبيها عليه السلام «أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ»^(٢)، و«أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»^(٣).

فلا غرابة أن تتفجّر الفصاحة على لسانها الطاهر، بما يكشف عن مكنون الغيب في هذه الخطبة وغيرها.

وقد أثير عن الصديقة الكبرى عليها السلام خطبتان:

الأولى: التي اشتهرت بـ«القدكيّة»، وهي التي ألقّتها عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد تلك الأحداث المؤلمة التي سطرها التاريخ شاهداً على تعدّي القوم على مقامها الأقدس.

(١) فراجع في ذلك كتاب «عِلَلُ الشَّرَائِعِ»، الشيخ الصدوق ١: ١٧٩. [باب العلة التي من أجلها

سُمِّيَتْ فاطمة الزهراء عليها السلام زهراء، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٤٣: ١٢.

(٢) نسب هذا القول إليه عليه السلام، وتامه: «أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ بَيْنَ أَتَى مِنْ قُرَيْشٍ»، وفي نسبة أخرى «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْنَ أَتَى مِنْ قُرَيْشٍ»، وقد روي من طرق العامة في كتب غريب الحديث وغيرها، فراجع المزهّر في علوم اللغة، السيوطي ١: ٦٦، وفي كتب اللغة، فراجع تاج العرويس من جواهر القاموس، الزبيدي ١: ١١.

(٣) تام هذا الحديث هكذا، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلِي: جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّ لِي الْمَغْنَمُ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»، [مَنْ لَا يَخْضَرُهُ الْفَقِيهُ، الشيخ الصدوق ١: ٢٤٠].

وَقَدْ شُرِّحَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ الشَّرِيفَةُ بِشُرُوحٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ قَبْلِ الْعُلَمَاءِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَعْصَارِ وَالْأُمُصَارِ، كَاشِفِينَ بِذَلِكَ اللَّثَامَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُهْمَةِ وَالْمَعَارِفِ الْحَقَّةِ الَّتِي أَفَاضَتْهَا، لِتَبْقَى شَاهِدًا حَيًّا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَتَعَاقِبِ الدُّهُورِ.

الثَّانِيَةُ: الَّتِي أَلْفَتْهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ حَيَاتِهَا الطَّاهِرَةِ، وَالَّتِي حَمَلَتْ فِي طَيَّاتِهَا حَصِيلَةَ آلِهَا الَّتِي مَرَّتْ بِهَا فِتْرَةٌ بِقَاءِهَا بَعْدَ أَبِيهَا ﷺ، الَّتِي كَانَتْ أَيَّامَ قَلَائِلٍ، تَحَمَّلَتْ فِيهَا أَشَدَّ الْأَلَامِ.

وهذه الخُطْبَةُ تَكْشِفُ بِشَكْلِ جَلِيٍّ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَلَمِ وَالْمَرَارَةِ الَّتِي تَحَمَّلَتْهَا مَوْلَانَا الزَّهْرَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ حِيَاضِ الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالذُّودِ عَنْ بَيِّضَةِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ إِنَّهَا لَمْ تَتَطَّرَقْ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ لِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهَا أَوْ بَيَانِ ظُلَامَتِهَا، وَهِيَ الظَّلَامَةُ الْكُبْرَى وَالرِّبْزَةُ الْعُظْمَى، بَلْ رَكَّزَتْ كَلَامَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ، الْمُمَثِّلَةِ فِي إِمَامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلَقَدْ تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ - مَعَ قَصَرِهَا - بِعِبَارَاتٍ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعَانِي كَبِيرَةً وَأَبْعَادَ وَاسِعَةَ الْأَفْقِ، مِنْ حَيْثُ بَيَانُ مَقَامِ الْإِمَامَةِ، وَمَا لَهُ مِنْ مَرَكِزِيَّةٍ وَمُحَوَّرِيَّةٍ تُحَدِّدُ مَصِيرَ الْأُمَّةِ سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا، كَمَا كَشَفَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَتَائِجِ حَتْمِيَّةِ التَّرْتِبِ جَرَاءَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى مَقَامِ الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ، كَاشِفَةً بِذَلِكَ عَنْ مَكُونِ الْغَيْبِ.

كَمَا أَنَّ ظَاهِرَ حَالِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ هُوَ تَظَلُّمُ الزَّهْرَاءِ «رُوحِي فِدَاهَا» مِنَ الْأُمَّةِ، بِسَبَبِ الْخِذْلَةِ الَّتِي حَصَلَتْ مِنْهُمْ تَجَاهَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حَيْثُ إِنَّهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَّغَتْ مِنَ الْعُزْلَةِ بِمَكَانٍ، لَمْ تَجِدْ مِنْ تَشْكِيٍّ لَهُ آلَامَهَا وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ هُمُومٍ، إِلَّا النِّسَاءَ اللَّاتِي عِنْدُهَا فِي مَرْضَاهَا، وَهَذَا لَيْسَ تَقْلِيلًا مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ. إِلَّا أَنَّ طَبِيعَةَ هَذَا الْخُطَابِ الصَّادِرِ مِنْهَا، كَوْنُهُ خِطَابًا جَاهِزِيًّا مُوجَّهًا لِعُمُومِ الْأُمَّةِ

رجالاً ونساءً، والزهراء عليها السلام ألقته على حفنة قليلة من النساء اللاتي عدنّها في آخر أيام حياتها!

فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا

وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه الذي خاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله بعد دفن الزهراء عليها السلام: «...وَسَتْنِيكَ ابْنَتُكَ بِتَظَاوُرِ أُمْتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَخْفَهَا السُّؤَالُ وَاسْتَخِيرَهَا الْحَالُ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ ^(١) مُعْتَلِجٍ ^(٢) بِصَدْرِهَا، لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّهِ سَبِيلًا...» ^(٣).

وكذلك وردت الإشارة إلى ذلك في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فيما رواه الشيخ الصدوق في «الأمالي»، في حديث طويل يعدد فيه ما يحلّ بأهل بيته من المصائب: «...وَأَيَّي لَمَّا رَأَيْتُهَا ذَكَرْتُ مَا يُصْنَعُ بِهَا بَعْدِي، كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ الدُّلُّ بَيْتَهَا، وَانْتَهَكْتَ حُرْمَتَهَا، وَعَصَبْتَ حَقَّهَا، وَمَنَعْتَ إِزْنَهَا، وَكَسَرَ جَنْبَهَا، وَأَسْقَطْتَ جَنِينَهَا، وَهِيَ تُنَادِي يَا مُحَمَّدَاهُ، فَلَا تُجَابُ، وَتَسْتَعِيثُ فَلَا تُعَاثُ، فَلَا تَزَالُ بَعْدِي مَحْزُونَةً مَكْرُوبَةً بَاكِئَةً...» ^(٤).

(١) الغليل: حرارة الجوف، وحرارة الحب والحزن. القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢: ١٣٧.

(٢) «معتلج بصدرها»، أي متلاطم فيه، من اعتلجت الأمواج، أي تلاطمت والتطمت وضرب بعضها بعضاً. راجع: لسان العرب، ابن منظور ٢: ٣٢٧.

(٣) أصول الكافي، الشيخ الكليني ١: ٤٥٩.

(٤) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١١٣.

عَمَلِي فِي هَذَا الشَّرْمِ

لقد جهدتُ في التركيز على بيان الألفاظ الواردة في هذه الخطبة الشريفة، بما لها من معاني لغوية وعُرفية، ومطالب عقدية، وأحداث تاريخية، ثم إضافة بعض التعليقات إن اقتضت الحاجة لذلك، ناهجاً سبيل الاختصار، مُراعياً الطبقة المتوسطة من القُرَّاء، قاصداً عُموم الفائدة.

وحيث إن هذه الخطبة الشريفة رُوِيَتْ في مصادر كثيرة من الخاصة والعامة، - وسيأتي الكلام في ذلك مُفَصَّلاً - وكان من أبرز مصادر الخاصة وأقدمها كتاب «معاني الأخبار» للشيخ الأجل محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، المعروف بـ«الصدوق» عليه السلام^(١)، لذلك اعتدْتُ نَصَّ الخطبة بروايته في هذا الشرح.

(١) ترجم له أعلام الرجاليين المتقدمين، كالنجاشي عليه السلام في كتابه فهرست الرجال بقوله: «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، نزيل الري، شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن. وله كتب كثيرة: - وسرد عدداً كبيراً من كتبه...» إلى أن قال: «أخبرني بجميع كتبه وقرأت بعضها على والدي علي بن أحمد بن العباس النجاشي رحمه الله وقال لي: أجازني جميع كتبه لما سمعنا منه ببغداد. ومات رضي الله عنه بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.» [رجال النجاشي: ص: ٣٨٩، ترجمة رقم: ١٠٤٩]

وترجم له الشيخ الطوسي عليه السلام في كتاب الفهرست بقوله: «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي يكنى أبا جعفر. كان جليلاً حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقدًا للأخبار، لم يُرَ في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه. له نحو من ثلاثمائة مصنف، وفهرست كتبه معروف، وأنا أذكر ما يحضرني في الوقت من أسماء كتبه: - وسرد عدداً من كتبه...» إلى أن قال: «أخبرنا بجميع كتبه ورواياته جماعة من أصحابنا منهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، وأبو عبد الله الحسين بن عبيد الله، وأبو الحسين جعفر بن الحسن بن حسكة القمي، وأبو زكريا محمد بن سليمان الحراني، كلهم عنه.» [فهرست الطوسي: ص: ٤٤٣، ترجمة رقم: ٧١٠].

وكذلك من أهم مصادر الخاصة التي روت الخطبة ما رواه الشيخ الطبرسي رحمته الله في كتاب «الاحتجاج»، ومثله ما رواه الشيخ الطوسي رحمته الله في كتاب «الأمالي»، ولذلك سوف أشيرُ إلى الاختلاف بين رواية كتاب «معاني الأخبار» وبين كتابي «الاحتجاج» و«الأمالي» إن دَعَتِ الحاجةُ لذلك، تحت عنوان «اختلاف النسخ»، مقارنة بين المصادر الثلاثة آنفة الذكر، وذلك لأهميتها، وإلا فأكتفي بشرح النص الوارد في كتاب «معاني الأخبار».

وسأتي في آخر هذا الشرح التعرّض لأهم المصادر التي رَوَتْ هذه الخطبة الشريفة، من الخاصة والعامة، مع بيان بعض الخصوصيات المرتبطة بذلك، سالكاً في ذلك سبيل الإيجاز، خشية تطرق الملالة لدى القارئ الكريم.

والجدير بالذكر أنّ هذا الجهد كان مشاركات كتبتها متفرقة بمناسبة الأيام الفاطمية، وبعد طلبٍ وإلحاحٍ من بعض المُتابعين في تنسيق هذا العمل على شكل كتاب لتعم به الفائدة، عَقَدْتُ العزمَ على استجابة ذلك الطلب، في تنسيق الجهد على شكل كتاب، وقد أضفتُ الشيءَ الكثير ممّا لم أذكره هناك رعاية للاختصار، وتوسعت في بعض البحوث، وأضفتُ مجوئاً أخرى بحسب ما يقتضيه المقام.

وقد سَمَّيْتُ هذا الشرح المتواضع بـ«الأنوار البهية في شرح الخطبة الفاطمية».

سائلاً من الله التوفيق والسداد ببركة مَوْلَانَا الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى عليها السلام.

وَكُتِبَ: حُبُّ الْحُسَيْنِ

غُرَّة رَجَبِ الْأَصَبِّ، سَنَةِ (١٤٣٥)

قُومَ الْمُقَدَّسَةِ

رواية معاني الأخبار

قال الشيخ الصدوق رحمته الله في كتاب «معاني الأخبار»: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ اللَّحْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ^(١)، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عليها السلام ^(٢)، قَالَتْ: لَمَّا

(١) ذكره الشيخ الطوسي في كتاب الرجال، في أصحاب الباقر عليه السلام قائلاً: عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، شيخ الطالبين، رضي الله عنه. [رجال الطوسي، ص ١٣٩]. وكذلك ذكره في أصحاب الصادق عليه السلام قائلاً: عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو محمد، هاشمي مدني تابعي. [رجال الطوسي، ص ٢٢٨]. قال ابن المهنّا في عمدة الطالب: عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنما سُمّي المحض، لأنّ أباه الحسن بن الحسن عليه السلام، وأمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه، وقيل له: بم صرتم أفضل الناس؟ قال: لأنّ الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا، ولا نتمنّى أن نكون من أحد، وكان قوي النفس شجاعاً. [عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عتبة، ص ١٧٨].

(٢) فاطمة الكبرى، بنت مولانا الحسين صلوات الله عليه، تزوجها الحسن المثنى بن الحسن المجتبي عليه السلام. زَوْجُهُ إِيَّاهَا عَنْهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام، فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا: إِبْرَاهِيمُ الْقَمَرُ، وَالْحَسَنُ الْمَثَلُثُ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْمَحْضُ، وَزَيْنَبُ أُمِّ كَلْثُومٍ. وَلَهُ مِنْهَا ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ خَرَجُوا وَقَتَلُوا. قَالَ لَهُ مَوْلَانَا الْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ

اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَلَبَهَا، اجْتَمَعَ عِنْدَهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

فَقُلْنَ لَهَا: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ أَصَبَحْتَ عَنْ عَلِيٍّ؟

فَقَالَتْ ﷺ: ((أَصَبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِقَةً لِدُنْيَاكُمْ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُمْ، لَفَظَتْهُمْ قَبْلَ [بَعْدِ]، أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَنْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ، فَقُبْحاً لِقُلُولِ الْحَدِّ، وَخَوَرِ الْقَنَاءِ، وَخَطَلِ الرَّأْيِ، وَ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(١). لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رِبْقَتَهَا، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ غَارَهَا، فَجَدَعاً وَعَقِراً وَسُحْقاً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

وَيَجْهَهُمْ أَلَى زَحْزَحُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ وَقَوَاعِدِ الثُّبُوتِ وَمَهَبِطِ الْوُحْيِ الْأَمِينِ وَالطَّبِينِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢). وَمَا نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟

الله عليه: إني اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبيهاً بأبي فاطمة بنت الرسول ﷺ، وعن الصادق ﷺ قال: حدثني أبي عن فاطمة بنت الحسين ﷺ قالت: سمعت أبي صلوات الله عليه يقول: يقتل منك أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون. وروت عن أبيها الحسين وعمها الحسن ﷺ وصف شجرة طوبى، وروى عنها ابنها عبد الله فضل آية الكرسي وغيره، وهي أكبر من سكينة. وبالجمل لا نظير لها في التقوى والكمال والفضائل والجمال، ولذلك تسمى الحور العين. تُوفيت في المدينة سنة ١١٧. [مُسْتَدْرَكَاتُ عِلْمِ رِجَالِ الْحَدِيثِ، الشَّيْخُ التَّمَّازِيُّ ٨: ٥٩٢ - ٥٩٣].

(١) المائدة: ٨٠.

(٢) الزمر: ١٥.

نَقْمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيْفِهِ، وَشِدَّةٌ وَطْئِهِ، وَنَكَالٌ وَفَعْتِهِ، وَتَنَمَّرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَاللَّهُ لَوْ تَكَافُوا عَنْ زِمَامٍ نَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ، لَا عَتَلَقَهُ وَلَسَارَ بِهِمْ سِيراً سُجْحاً، لَا يَكْلُمُ خَشَاشُهُ، وَلَا يُتَعَتِّعُ رَاكِبُهُ، وَلَا أُرْدَهُمْ مِنْهَا لَأَنَّمِيراً فَضْفَاضاً تَطْفَحُ صَفْقَتَاهُ، وَلَا أَصْدَرَهُمْ بِطَاناً، قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ. غَيْرَ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ، إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَرَدْعِهِ شَرَرَهُ السَّاعِبُ، وَلَفُتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعْ، وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ، وَإِنْ تَعَجَّبَ فَقَدْ أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ.

إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنْدُوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا، اسْتَبَدَّلُوا الدُّنَابِيَّ وَاللَّهِ بِالْقَوَادِمِ، وَالْعَجَزُ بِالْكَاهِلِ.

فَرَعْمًا لِمَعَاطِيسِ قَوْمٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١). ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢). ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣).

أَمَّا لَعَمْرُؤِ إِلَهَكَ، لَقَدْ لَقِحتُ، فَنَظَرْتُ رَيْثَمَا تُنْتَجِ، ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ دَمًا غَبِيظاً وَدُعَاةً مُمْقِرَةً، هُنَالِكَ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ. وَيُعْرِفُ التَّالُونَ

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) البقرة: ١٢.

(٣) يونس: ٣٥.

غَبَّ مَا سَنَّ الْأَوَّلُونَ، ثُمَّ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسَاءً، وَطَاطَمُوا لِلْفِتْنَةِ جَاشَاءً، وَأَبْشَرُوا بِسَيْفِ صَارِمٍ، وَهَرَجَ شَامِلٍ، وَاسْتَبْدَادِ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدْعُ فَيْتَكُمْ زَهِيداً، وَزَرَعَكُمْ حَصِيداً، فَيَا حَسْرَتِي لَكُمْ، وَأَيُّ بِكُمْ وَقَدْ عَمِيَتْ قُلُوبُكُمْ عَلَيْكُمْ، ﴿أَنْزِلْ مُكْمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١) ^(٢).

إلى هنا تنتهي الخطبة بحسب رواية الشيخ الصدوق عليه السلام في كتاب «معاني الأخبار»، وكذلك بحسب رواية الشيخ الطوسي عليه السلام في كتاب «الأمالي».

وتوجد زيادة اختصت بها رواية «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي عليه السلام، وهي قوله:
 ((قَالَ سُيُودُ بَنِي عَقْلَةَ: فَأَعَادَتِ النِّسَاءُ قَوْلَهَا عليها السلام عَلَى رِجَالِهِنَّ، فَجَاءَ إِلَيْهَا قَوْمٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مُعْتَذِرِينَ.
 وَقَالُوا: يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ لَوْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ ذَكَرَ لَنَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُبْرِمَ الْعَهْدَ وَنُحْكَمَ الْعَقْدَ لَمَّا عَدَلْنَا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ!
 فَقَالَتْ عليها السلام: إِلَيْكُمْ عَنِّي فَلَا عُذْرَ بَعْدَ تَعْذِيرِكُمْ، وَلَا أَمْرَ بَعْدَ تَقْصِيرِكُمْ))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ

(١) هود: ٢٨.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٢٥٤.

(٣) الاحتجاج على أهل اللجاج، الشيخ الطبرسي ١: ١٤٩.

مدخل

نتاول في هذا الشرح لخطبة الصديقة الكبرى عليها السلام، عِدَّةً أَبْعَاد.

منها: بيان معاني ألفاظ الخطبة الشريفة، لأنَّ لمعرفة معاني الألفاظ مدخلية أساسية في فهم معنى الكلام بكامله.

ومنها: بيان معارض الكلمات والجمل والمقاطع الواردة في الخطبة، حيث إنَّ لمعارض الكلام أهمية قصوى لبيان مراد المتكلم، وبالخصوص ما إذا كان الكلام صادراً ممَّن كلامهم دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، وهم أهل بيت العصمة والطاهرة عليهم السلام.

فقد رَوَى الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه معاني الأخبار، بإسناده عن دَاوُدَ بْنِ فَرْقِدٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «أَنْتُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ إِذَا عَرَفْتُمْ مَعَانِي كَلَامِنَا، إِنَّ الْكَلِمَةَ لَتَنْصَرِفُ عَلَى وُجُوهِ، فَلَوْ شَاءَ إِنْسَانٌ لَصَرَفَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَلَا يَكْذِبُ»^(١).

وَرَوَى أَيْضاً رحمته الله، بإسناده عن إِبْرَاهِيمَ الْكَرْخِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرْوِيهِ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهَا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا، وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا، لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرَجُ»^(٢).

(١) مَعَانِي الْأَخْبَارِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، ص ١.

(٢) مَعَانِي الْأَخْبَارِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، ص ٢.

وبناءً عليه لابد من العَوْر في معاني الكلام الصادر منهم عليهم السلام، لنحاول بحسب طاقتنا فهم المعنى المراد من كلامهم عليهم السلام.

ونحن في هذا الشرح - بما أنه مبني على التبسيط والتسهيل ليفهمه الطبقة المتوسطة من القراء - نختار العبارات التي بها يسهل على القارئ فهم المعنى المراد من كلام الصديقة الشهيدة عليها السلام.

ومنها: بيان المصادر التي رَوَتْ الخطبة الشريفة، من مصادر الخاصة والعامة، لتبرز بذلك أهمية هذه الخطبة وبعدها التاريخي والعقدي، حيث تضافرت مصادر الخاصة والعامة على نقل الخطبة الشريفة، ونحن هنا لن نستقصي جميع المصادر، وإنما نقتصر على المهم منها بحسب التقدم الزمني.

وهناك أبعاد أخرى يجدها القارئ الكريم في طَيّات هذا الشرح المتواضع.

بسم الله

المقطع الأول

((فَقَالَتْ ﷺ: أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِدُنْيَاكُمْ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُمْ، لَفَظْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَنْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ...)).

اختلاف النسخ

هكذا في نسخة «معاني الأخبار»، وفي نسخة «الاحتجاج»، كان جوابها ﷺ في سؤال النسوة هكذا: ((فَحَمِدَتِ اللَّهَ وَصَلَّتْ عَلَى أَبِيهَا ﷺ ثُمَّ قَالَتْ: أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِدُنْيَاكُمْ قَالِيَةً لِرِجَالِكُمْ...)) وقد امتازت نسخة الاحتجاج بنقل فقرة الحمد لله والصلاة على أبيها ﷺ، حيث لم يوجد ذلك في نسخة «معاني الأخبار»، ولا نسخة «الأمالي». وكذلك اشتركت نسخة «الاحتجاج» ونسخة «الأمالي» بتأنيث الضمير في الموضعين: (لِدُنْيَاكُمْ) (لِرِجَالِكُمْ)، دون نسخة «معاني الأخبار» حيث ذُكِرَ الضمير في الموضعين: (لِدُنْيَاكُمْ) (لِرِجَالِكُمْ).

توضيح

جاءت هذه الفقرة في كلامها ﷺ، في جواب سؤال النسوة من المهاجرين والأنصار لها بقولهن: ((يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ عَنْ عَلِّكَ؟)).

شرح المفردات

هنا نتناول بشكل مختصر شرح مفردات فقرة السؤال الوارد على لسان نساء المهاجرين والأنصار للصديقة الكبرى عليها السلام.

كَيْفَ أَصْبَحْتَ: (كيف) أداة سؤال عن كيفية محددة يطلب معرفتها السائل.

قال الفيومي في المصباح المنير: «كَيْفَ: كَلِمَةٌ يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنْ حَالِ الشَّيْءِ وَصِفَتِهِ، يُقَالُ: كَيْفَ زَيْدٌ؟ وَيُرَادُ السُّؤَالُ عَنْ صِحَّتِهِ وَسُقْمِهِ وَعُسْرِهِ وَيُسْرِهِ، وَعَنْ ذَلِكَ. وَتَأْتِي لِلتَّعَجُّبِ وَالتَّوْبِيخِ وَالْإِنْكَارِ وَلِلْحَالِ لَيْسَ مَعَهُ سُؤَالٌ وَقَدْ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى التَّنْفِي وَكَيْفِيَّةُ الشَّيْءِ حَالُهُ وَصِفَتُهُ»^(١).

أَصْبَحْتَ: مأخوذة من الصَّباح، وهو الجزء الأول من اليوم، في مقابل الظهر والعصر والليل.

قال الفيومي في المصباح المنير: «الصُّبْحُ: الْفَجْرُ، وَالصَّبَاحُ مِثْلُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ، وَالصَّبَاحُ أَيْضًا خِلَافُ الْمَسَاءِ، قَالَ ابْنُ الْجَوَالِقِيِّ: الصَّبَاحُ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ إِلَى الزَّوَالِ، ثُمَّ الْمَسَاءُ إِلَى آخِرِ نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، هَكَذَا رُوِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ، وَأَصْبَحْنَا: دَخَلْنَا فِي الصَّبَاحِ»^(٢).

قال السيوطي في المزهري: «ويقال: مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ وَمِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ: كَيْفَ أُمْسَيْتَ؟»^(٣).

مِنْ عِلَّتِكَ: والمراد من العِلَّةِ هنا: المرض.

قال الجوهري في الصحاح: «العِلَّةُ: المرض، وَحَدَّثُ يَشْغُلُ صَاحِبَهُ عَنْ وَجْهِهِ،

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِيُّ، ص: ٥٤٦.

(٢) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِيُّ، ص: ٣٣١.

(٣) الْمُزْهَرِيُّ فِي عُلُومِ اللَّغَةِ، السِّيُوطِيُّ ١: ١٣٨.

كَأَنَّ تِلْكَ الْعَلَّةَ صَارَتْ شُغْلًا ثَانِيًا مَنَعَهُ شُغْلُهُ الْأَوَّلَ. وَاعْتَلَّ، أَي مَرَضَ، فَهُوَ عَلِيلٌ. وَلَا أَعْلَكَ اللَّهُ، أَي لَا أَصَابُكَ بَعْلَةٌ. وَاعْتَلَّ عَلَيْهِ بَعْلَةٌ وَاعْتَلَّهُ، إِذَا اعْتَقَاهُ عَنْ أَمْرٍ. وَاعْتَلَّهُ: تَحَيَّى عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُمْ: عَلَى عِلَاتِيهِ، أَي عَلَى كُلِّ حَالٍ. قَالَ زَهِيرٌ:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِيهِ هَرِمٌ^(١)

وَبَنَاءٌ عَلَيْهِ يَخْتَلِفُ السُّؤَالُ مِنْ حَيْثُ الْوَقْتُ، فَإِنْ كَانَ صَبَاحًا، قِيلَ: كَيْفَ أَصْبَحْتُ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً، قِيلَ: كَيْفَ أَمْسَيْتُ.

وَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ نِسَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَدَنَ الصَّدِيقَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ صَبَاحًا.

عَوْدٌ عَلَى بَدْءِ

وَهُنَا تَبْدَأُ الصَّدِيقَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي جَوَابِهَا لِسُؤَالِ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِهَذِهِ الْفَقْرَةِ مِنْ كَلَامِهَا، فَتَفْتَحُهَا بِالْقَسَمِ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ (أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ) مِمَّا يُؤَكِّدُ تَحَقُّقَ مَتَعَلِّقِ الْقَسَمِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ بَعْدَ الْقَسَمِ فِي أَمْرَيْنِ: (عَائِفَةٌ لِدُنْيَاكُمْ) (قَالِيَّةٌ لِرِجَالِكُمْ)، فَهِيَ جَازِمَةٌ بِتَحَقُّقِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ وَلِذَلِكَ أَقْسَمَتْ. وَيُعْلَمُ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ: (دُنْيَاكُمْ) التَّخْصِصَ لِمُخْصَصٍ دُنْيَاهُمْ وَلَيْسَ مُطْلَقَ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ الذَّمُّ لِهَذِهِ الدُّنْيَا الْمُضَافَةِ إِلَيْهِمْ.

وَلَحْنُ خُطَابِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ: أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الْمُضَافَةَ إِلَيْكُمْ الْمَلِئَةُ بِالتَّجَاوُزِ عَلَى حُرُمَاتِ اللَّهِ حَرِيٌّ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَعَافَهَا وَلَا يَرْغَبَ لِلْعِيشِ فِيهَا.

وَكَذَلِكَ يُعْلَمُ مِنْ إِضَافَةِ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ: (رِجَالِكُمْ) مَدَى الْأَذَى الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهَا مِنْ رِجَالِهَا، حَيْثُ لَمْ تَجِدْ لَهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ نَاصِرًا مِنْ أُمَّةٍ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ١: ١٧٧٣.

الباطل والظلم الذي حَلَّ عليها وعلى بعلمها أمير المؤمنين عليه السلام، بل وعلى مقام الإمامة الإلهية، التي بها قوام الدين والدنيا.
ثم بعد ذلك بيّنت السبب الذي من أجله أصبحت عاتفة لديناهم وقالية لرجالهم، وذلك أنها اختبرتهم وجربتهم، وعلمت مدى تخاذلهم عن نصره الحق وأهله وميلهم إلى الباطل وأهله.

شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها عليها السلام: (عَائِفَةٌ)

كَاثِرَةٌ. وأصله «عَيْفٌ» يقال: عَافَ الشيءَ يَعَافُهُ عَيْفًا وَعَيْافًا وَعَيْفَانًا: كَرِهَهُ فلم يَشْرَبْهُ طعاماً أو شراباً، قاله ابن منظور في لسان العرب.^(١) انتهى.
وقال الجوهري في الصحاح: «عَافَ الرجلُ الطعامَ أو الشرابَ يَعَافُهُ عَيْافًا، أَيْ كَرِهَهُ فلم يشربه، فهو عَائِفٌ... وعَافَتِ الطيرُ تَعِيفُ عَيْفًا، إذا كانت تحوم على الماء أو على الجيف وتتردد ولا تَمْضِي تُرِيدُ الوقوعَ، فهي عَائِفَةٌ. وَمِنْهُ قَوْلُ لَيْدٍ:
كَأَنَّ أَوْبَ مَسَاحِي الْقَوْمِ فَوْقَهُمْ طَيْرٌ تَعِيفُ عَلَى جَوْنٍ مَزَاحِفٍ
والاسم العَيْفَةُ. والعَيْوفُ مِنَ الإِبِلِ: الذي يَشَمُّ الماءَ فَيَدَعُهُ وَهُوَ عُطْشَانٌ.»^(٢) انتهى.

معنى قولها عليها السلام: (قَالِيَةٌ)

مُبْغِضَةٌ، والقَلَى: البُغْضُ.

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٩ : ٢٦.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللَّغَةُ وَصَحَّاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٤ : ١٤٨٠.

قال ابن منظور في لسان العرب: «قَلَيْتُهُ قِلًّا وَقَلَاءً وَمَقْلِيَّةً: أَبْغَضْتُهُ وَكَرِهْتُهُ غَايَةً الْكَرَاهَةَ، فَتَرَكْتُهُ»^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(٢)، أي مَا أَبْغَضَكَ.
فيكون معنى كلام الزهراء عليها السلام: أَصْبَحْتُ مُبْغَضَةً وَكَارِهَةً لِرَجَالِكُمْ.

تَعْلِيلٌ

وهذا يكشف عن قُبْحِ العمل الذي صدر منهم، حَيْثُ وَصَلَ الْأَمْرُ بِالصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى عليها السلام أَنْ تَصْرَحَ بِبُغْضِهِمْ وَكَرَاهَتِهِمْ!!!، والحال أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ تَجَلَّى الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِعَالَمِ الْإِمْكَانِ، وهذا كاشف عن عِظَمِ الْأَمْرِ الَّذِي ارْتَكَبُوهُ، وَهُوَ رَحْرَحَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الزَّامِ الَّذِي نَبَذَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

معنى قولها عليها السلام: (لَفَظْتُهُمْ)

رميتهم وطرحتهم، وَاللَّفْظُ: أَنْ تَرْمِيَ بِشَيْءٍ كَأَنَّ فِيكَ، وَالْفَعْلُ: لَفَظْتُ الشَّيْءَ، يُقَالُ: لَفَظْتُ الشَّيْءَ مِنْ فَعَيْ أَلْفَظْهُ لَفْظًا: رَمَيْتَهُ. وَذَلِكَ الشَّيْءُ لُفَاظَةً، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ^(٣).

ومنه سُمِّيَ الْكَلَامُ الْخَارِجُ مِنْ حَرَكَاتِ الْفَمِ بِاللَّفْظِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٤).

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١٥ : ١٩٨.

(٢) الضحى: ٣.

(٣) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٧ : ٤٦١.

(٤) ق: ١٨.

معنى قولها ﷺ: (عَجَمْتُهُمْ)

عَصَصْتُهُمْ، والعَجْمُ: الْعَصُ، تقول: عَجَمْتُ الْعُودَ، إِذَا عَصَصْتَهُ لِتَعْرِفَ صَلَابَتَهُ مِنْ رَخَاوَتِهِ، قاله ابن منظور في لسان العرب^(١).

وقال الزبيدي في تاج العروس: «وَعَجَمَهُ يَعْجُمُهُ عَجْماً وَعُجُوماً: عَصَّهُ شَدِيداً بِالْأَصْرَاسِ دُونَ الثَّنَايَا، قَالَ الثَّابِغَةُ:

وَوَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضاً

أَي يَعْصُ أَعْلَى قَرْيَةِ وَهُوَ يُقَاتِلُهُ. وَيَقَالُ: عَصَّهُ لِيَعْلَمَ صَلَابَتَهُ مِنْ خَوَرِهِ. أَوْ عَجَمَهُ إِذَا لَا كَهَ لِلْأَكْلِ: أَوْ لِلْخَبَرَةِ. وَكَانُوا يَعْجُمُونَ الْقِدْحَ بَيْنَ الضَّرْسَيْنِ إِذَا كَانَ مَعْرُوفاً بِالْفَوْزِ لِيُؤَثِّرُوا فِيهِ أَثْراً يَعْرِفُونَهُ بِهِ. وَعَجَمَ فُلَاناً: رَازَهُ... وَفِي الصَّحَاحِ: عَجَمْتُ عُودَهُ: أَي بَلَوْتُ أَمْرَهُ وَخَبَرْتُ حَالَهُ، وَأُنْشِدَ لِلْأَخْطَلِ:

أَبَى عُودَكَ الْمَعْجُومُ إِلَّا صَلَابَةً وَكَفَّكَ إِلَّا نَائِلاً حِينَ تُسْأَلُ^(٢)

تَوْضِيحٌ

في هذه الفقرة من كلامها ﷺ: (لَفَظْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ) استعارة واضحة المعنى، وهو أَنَّ الصَّدِيقَةَ ﷺ قد اختبرتهم لتعرف صلابتهم من رخاوتهم في الدفاع عن الحق، كالذي يَعُصُّ عَلَى الْعُودِ لِيَعْرِفَ صَلَابَتَهُ مِنْ رَخَاوَتِهِ. والنتيجة من ذلك أَنَّهَا ﷺ لم تجد فيهم صلابَةً لِلْحَقِّ فَلَفَظَتْهُمْ.

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١٢ : ٣٨٨.

(٢) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ١٦ : ٤٦٤.

معنى قولها **عَائِقَةً**: (وَسَنَّتَتْهُمْ)

أَبْغَضْتُهُمْ، وَسَنَأَهُ: أَبْغَضَهُ، وَالسَّنَاءَةُ: الْبُغْضُ، وَسَنَى الشَّيْءَ وَسَنَاءً يَسْنُوهُ سَنَاءً وَسَنَاءً
وَسَنَاءً، وَسَنَاءً، وَمَسْنَأً، وَمَسْنُوَةً، وَمَسْنَأً وَسَنَاءً: أَبْغَضَهُ، قَالَهُ الْفَيْرُوزْ أَبَادِي فِي
الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ^(١).

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «الْحَرَانِي عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو
يَقُولُ: الشَّانِيءُ: الْمُبْغُضُ، وَالشَّنُّ وَالشَّنُّ: الْبِغْضَةُ... وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَلَوْ كَانَ فِي دَيْنٍ سِوَى ذَا شَيْئْتُمْ لَنَا حَقًّا أَوْ عَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

وقال أبو الهيثم: يقال: شَنِئْتُ الرَّجُلَ سَنَاءً وَسَنَاءً وَمَسْنَأً، أَيِ أَبْغَضْتُهُ...
وقال الليث: رَجُلٌ سِنَاءَةٌ وَسَنَائِيَّةٌ، بوزن (فَعَالَةٌ) و(فَعَالِيَّةٍ): مُبْغَضٌ سَيِّئُ
الْخُلُقِ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٣)، أَيِ مُبْغَضُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ
تَعْتَدُوا﴾^(٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى﴾^(٥). والمراد بالشَّنَانُ فِي الْآيَتَيْنِ: الْبُغْضُ وَالكَرَاهَةُ.

(١) الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، الْفَيْرُوزْ أَبَادِي ١ : ١٩.

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١١ : ٤٢١.

(٣) الْكَوْثَرُ: ٣.

(٤) الْمَائِدَةُ: ٢.

(٥) الْمَائِدَةُ: ٨.

معنى قولها **عَلَيْهَا**: (سَبَرْتُهُمْ)

اختبرتهم. والسَّبَرُ: التَّجَرُّبَةُ، وسَبَر الشيء سَبْرًا: حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ، واسْبُر لي مَا عنده: أَيِ اعْلَمْنِي، والسَّبَرُ: اسْتِخْرَاجُ كُنْهِ الْأَمْرِ، والسَّبَرُ: مَصْدَرُ سَبَرَ الْجَرْحَ يَسْبُرُهُ وَيَسِيرُهُ سَبْرًا: نَظَرَ مِقْدَارَهُ وَقَاسَهُ لِيَعْرِفَ غَوْرَهُ، قاله ابن منظور في لسان العرب^(١).

تَعْلِيلٌ

فيكون معنى كلامها **عَلَيْهَا** أنها أبغضتهم بعد اختبارهم وسَبَرهم في نُصْرَةِ الْحَقِّ، فلم تجدهم للحق ناصرين ولا عنه مدافعين، فاستحقوا هذا المقدار من البُغْضِ والرفض لهم، فهم بذلك لا يستحقون المودة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٢).

قال العلامة المجلسي **رحمته الله**: «..على رواية الصدوق المعنى: أَيَّ كُنْتَ عالمة بقبح سيرتهم وسوء سريرتهم فطرحتهم، ثم لما اختبرتهم شنئتهم وأبغضتهم، أي تأكد إنكاري بعد الاختبار»^(٣).

بِحَمْدِ اللَّهِ

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٤ : ٣٤.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) حِجَارُ الْأَنْوَارِ، الْعَلَمَةُ الْمَجْلِسِي ٤٣ : ١٦٢.

المقطع الثاني

((فَقُبْحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ، وَخَوَرِ الْقَنَآةِ، وَخَطَلِ الرَّأْيِ، وَ﴿لَيْئَسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (١). لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رَبَّقَتَهَا، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ غَارَهَا. فَجَدَعاً، وَعَقْرَاءً، وَسُخْقاً، لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ...))

اختلاف النسخ

في نسخة «الاحتجاج» زيادة (وَاللَّعِبِ بَعْدَ الْحَدِّ، وَقَرَعَ الصَّفَاةَ، وَصَدَعَ الْقَنَآةَ، وَخَطَلِ الْأَرَاءِ، وَزَلَّلِ الْأَهْوَاءَ) فبعد فقرة (فَقُبْحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ) التي تشترك فيها نسخة «معاني الأخبار» مع نسخة «الاحتجاج»، ذكر أربع فقرات غير موجودة في نسخة «معاني الأخبار»، وهي:

١- (وَاللَّعِبِ بَعْدَ الْحَدِّ)

٢- (وَقَرَعَ الصَّفَاةَ)

٣- (وَصَدَعَ الْقَنَآةَ)

٤- (وَزَلَّلِ الْأَهْوَاءَ).

وأما فقرة (خَطَلِ الْأَرَاءِ) فلاختلاف بينهما فقط من جهة الجمع والإفراد، ففي

نسخة «معاني الأخبار» مفرداً (الرأي)، وفي نسخة «الاحتجاج» جمعاً (الآراء). نعم امتازت نسخة «معاني الأخبار»، ونسخة «الأمالي» بفقرة (خَوَرِ الْقَنَاقَةِ)، بينما نسخة الاحتجاج (وَصَدْعُ الْقَنَاقَةِ)، والمعنى متقارب.

وأما نسخة «الأمالي» للشيخ الطوسي، فقد ذكر المقطع مختلفاً: (فَقُبْحاً لِأَفْوَهِ الرَّأْيِ، وَخَطْلِ الْقَوْلِ، وَخَوَرِ الْقَنَاقَةِ)، فلم يشترك مع «معاني الأخبار» ولا مع «الاحتجاج» في شيء من الفقرات سوى الفقرة الأخيرة (خَوَرِ الْقَنَاقَةِ) التي اشترك فيها مع «معاني الأخبار».

وفي الفقرة الأخيرة (فَجَدْعاً، وَعَقْرًا، وَسُحْقًا، لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) اشتركت النسخ الثلاث في الابتداء بـ (فَجَدْعاً). وتفردت نسختي «معاني الأخبار» و«الاحتجاج» بـ (وَعَقْرًا)، ولم يذكرها في «الأمالي»، كما تفردت نسخة «معاني الأخبار» بـ (وَسُحْقًا)، وتفردت نسخة «الاحتجاج» بـ (وَبُعْدًا)، وتفردت نسخة «الأمالي» بـ (وَرَعْمًا).

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

بعد أن أَقْسَمَتِ الصَّدِيقَةُ الْكُبْرَى عليها السلام على الأمرين المتقدمين في المقطع الأول: (عَاقِبَةُ لَدُنْيَاكُمْ) (قَالِيَةً لِرِجَالِكُمْ) وبيّنت عليها السلام سبب ذلك، بما تقدم ذكره وشرحه.

بدأت بذكر ثلاثة أمورٍ قبيحةٍ لَدَى كَافَّةِ الْعُقَلَاءِ:

١- (فُلُولُ الْحَدِّ).

٢- (خَوَرُ الْقَنَاقَةِ).

٣- (خَطْلُ الرَّأْيِ).

ثم استشهدت عليه السلام بجزء من الآية الكريمة، من سورة المائدة، التي أولها قوله تبارك وتعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾^(١). وفي صدر هذه الآية دلالة واضحة مرتبطة باستشهاد الصديقة عليها السلام، حيث إنهم تركوا ولي الله والمنصوص عليه واتبَعُوا غيره، فاستحق هذا العمل منهم أن تستشهد عليها السلام عليه، بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٢)، وهذا الاستشهاد بالآية الكريمة يحمل معاني كثيرة، سيأتي مزيد بيان حول ذلك إن شاء الله تعالى، وهنا أكتفي بمختصر مفيد.

فأقول: الزهراء «روحي فداها» بعد أن بيّنت موقفها من الأمّة، ووصفتهم بالأوصاف السابقة، وقَبَّحَتْ أفعالهم الشنيعة، بيّنت أنّ كل ذلك بما قدمت أيديهم، ولم يغلبوا على أمرهم، ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ حيث إنّها عليها السلام أقامت الحجة عليهم، بما لا يُبقي عُذْرًا مُعْتَذِر. ثم بيّنت باستشهادها بالآية الكريمة، أنّ هذا التخاذل عن الحق، مُوجِبٌ لسخط الله جل شأنه ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وليس له مصير إلاّ الخلود في نارِ جَهَنَّمَ ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

ثم إنّها عليها السلام بعد استشهادها بالآية الكريمة عَظَمَتْ الكلامَ على تَحْمِيلِهِمْ مَسْئُولِيَّةَ زحزحة أمير المؤمنين عليه السلام عن تولّي زمام الأمور، بمقتضى المنصب الإلهي المجعول له، الذي نَصَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى، وجعلت تلك الجريمة العظمى والرزية الكبرى في أعناقهم، حيث قالت: ((لَقَدْ قَلَدْتُهُمْ رَبَقَتَهَا)) إلى آخر كلامها في هذا الصدد، وسيأتي توضيحه في الشرح التفصيلي، إن شاء الله تعالى.

(١) المائدة: ٨٠.

(٢) المائدة: ٨٠.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها **عَلَيْهَا**: (فَقُبْحًا)

القُبْحُ: ضِدُّ الْحُسْنِ، ويكون في الصورة والفعل.

قال ابن منظور في لسان العرب: «قال الأزهري: هو نقيض الحُسْنِ عام في كل شيء، قال الخطيئة:

أَرَى لَكَ وَجْهًا قَبَّحَ اللَّهُ شَخْصَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
وقال أبو زيد: قَبَّحَ اللَّهُ فُلَانًا قَبْحًا وَقُبُوحًا، أَي أَقْصَاهُ وَبَاعَدَهُ عَنِ كُلِّ خَيْرٍ»^(١) انتهى.
ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾^(٢) أَي من المُبْعَدِينَ عَنِ كُلِّ خَيْرٍ.

معنى قولها **عَلَيْهَا**: (لِفُلُولِ الْحَدِّ)

الْفُلُولُ: جَمْعُ قَلٍ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «الْقَلُّ: الثَّلْمُ فِي السَّيْفِ، وفي المحكم: الثَّلْمُ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، وَسَيْفٌ فَلِيلٌ: مَفْلُولٌ، وَالتَّفْلِيلُ: تَقَلُّلٌ فِي حَدِّ السَّكِينِ، وَفِي غُرُوبِ الْأَسْتَانِ، وَفِي السَّيْفِ، وَالْقَلُّ - بِالْفَتْحِ - وَاحِدٌ فُلُولِ السَّيْفِ، وَهِيَ كُسُورٌ فِي حَدِّهِ، وَفِي حَدِيثِ سَيْفِ الزُّبَيْرِ: «فِيهِ قَلَّةٌ فَلَّهَا يَوْمَ بَدْرٍ». الْقَلَّةُ: الثَّلْمَةُ فِي السَّيْفِ، وَجَمْعُهُ فُلُولٌ»^(٣) انتهى.

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٢: ٥٥٢.

(٢) القصص: ٤٢.

(٣) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١١: ٥٣٠.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «وَسَيْفٌ قَلِيلٌ وَمَفْلُولٌ وَأَفْلٌ وَمُنْقَلٌ: أَيُّ مُنْتَلِمٌ، قَالَ عَنَتْرَةٌ:

وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ وَهُوَ كِنْعِي سِلَاحِي لَا أَفْلٌ وَلَا فُطَارًا

وَسَيْفٌ أَفْلٌ بَيْنَ الْقَلَلِ: ذُو فُلُولٍ، وَفُلُولُهُ: ثُلْمُهُ، وَهِيَ كُسُورٌ فِي حَدِّهِ، وَاحِدُهَا قُلٌّ»^(١) انتهى.

وَالْحَدُّ: قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «وَحَدُّ السَّكِينِ وَغَيْرِهَا مَعْرُوفٌ، وَجَمْعُهُ: حُدُودٌ، وَحَدَّ السَّيْفَ وَالسَّكِينَ يَحْدُّهَا حَدًّا، وَأَحَدَهَا إِحْدَادًا، وَحَدَّدَهَا: شَحَدَهَا وَمَسَحَهَا بِحَجَرٍ أَوْ مِزْدٍ، وَسُيُوفٌ حِدَادٌ وَالسِّنَةُ حِدَادٌ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَافِرُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾^(٣).

معنى قولها ﷺ: (وَخَوَرِ الْقَنَآةِ)

الْحَوَرُ: - بالتحريك - الضَّعْفُ، وَخَارَ الرَّجُلُ يَخُورُ خُورًا، وَخَوَرَ خَوَرًا وَخَوَرًا: ضَعُفَ وَانْكَسَرَ، وَرَجُلٌ خَوَارٌ: ضَعِيفٌ. وَرُمَحٌ خَوَارٌ وَسَهْمٌ خَوَارٌ. وَكُلُّ مَا ضَعُفَ فَقَدْ خَارَ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ^(٤).

وقال الجوهري في الصحاح: «والجمع: خُورٌ، قَالَ الشَّاعِرُ جَرِيرٌ، وَقِيلَ عَمْرٌ بِنَ الْجَأِ بِجَاوِبِ جَرِيرًا:

(١) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ١٥ : ٥٨٧.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٣ : ١٤١.

(٣) الْأَحْزَابُ: ١٩.

(٤) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٤ : ٢٦٢.

بَلْ أَنْتَ نَزْوَةٌ خَوَارٍ عَلَى أَمَةٍ
وَالْقَنَاءُ: الرمح، المعنى: ضعف الرمح.

قال الفيومي في المصباح المنير: «القَنَاءُ الرُّمْحُ، وَقَنَاءُ الظَّهْرِ، وَالْقَنَاءُ الْمَحْفُورَةُ، وَيُجْمَعُ الْكُلُّ عَلَى قَنَىٍّ، مِثْلُ حَصَاةٍ وَحَصَىٍّ، وَعَلَى قَنَاءٍ مِثْلُ جِبَالٍ»^(١) انتهى.
وقال الجوهري في الصحاح: «القَنَاءُ...: جَمْعُ قَنَاءَةٍ وَهِيَ الرُّمْحُ، وَتُجْمَعُ عَلَى قَنَوَاتٍ، وَقَنَىٍّ عَلَى فُعُولٍ، وَقَنَاءٍ مِثْلُ جَبَلٍ وَجِبَالٍ. وكذلك القَنَاءُ الَّتِي تُحْفَرُ، وَقَنَاءُ الظَّهْرِ الَّتِي تُنْتَظَمُ الْفَقَارَةُ»^(٢) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «قَالَ اللَّيْثُ: أَلْفُهَا وَآوُ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْقَنَاءُ مِنَ الرَّمَاكِ مَا كَانَ أَجُوفًا كَالْقَصَبَةِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْكُطَائِمِ الَّتِي تَجْرِي تَحْتَ الْأَرْضِ قَنَوَاتٌ، وَيُقَالُ لِمَجَارِي مَائِهَا: الْقَصَبُ تَشْبِيهًا بِالْقَصَبِ الْأَجُوفِ»^(٣) انتهى.

معنى قولها ﷺ: (وَحَظَلِ الرَّأْيُ)

فَسَادَهُ وَاضْطَرَّابَهُ.

والحَظَلُ: المنطق الفاسد المضطرب.

قال الجوهري في الصحاح: «الْحَظَلُ: المنطقُ الفاسدُ المضطربُ. وقد حَظَلَ في كلامِهِ حَظَلًا وَأَخْطَلَ، أَيُّ أَفْحَشَ، وَأَصْلُ الْحَظَلِ الْإِسْتِرْخَاءُ فِي الْأُذُنِ، يُقَالُ: أَذُنٌ حَظَلَاءُ بَيَّنَّتْهُ الْحَظَلُ، أَيُّ مُسْتَرْخِيَةٌ. وَثَلَّةٌ حُظَلٌ، وَهِيَ الْغَنَمُ الْمُسْتَرْخِيَةُ الْأَذَانِ، وَمِنْهُ

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢: ٦٥١.

(٢) البَصِيحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْقَيْوُمِي، ص: ٤٩٨.

(٣) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢: ٩٩.

(٤) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرَّيْثِيُّ ٢٠: ١٠٢.

سُمِّيَ الْأَخْطَلُ^(١) انتهى.

وَالرَّأْيُ: مَنْ رَأَى وَيَرَى رُؤْيَةً وَرَأْيًا، وَهِيَ تَطْلُقُ عَلَى عِدَّةٍ مُعَانِي، مِنْهَا رُؤْيَةُ الْبَصَرِ، وَرُؤْيَةُ الْقَلْبِ، وَيَطْلُقُ عَلَى رُؤْيَةِ الْقَلْبِ: رَأْيٌ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ: «قَالَ اللَّيْثُ: الرَّأْيُ: رَأْيُ الْقَلْبِ. وَالْجَمْعُ: الْأَرَاءُ. وَيُقَالُ: مَا أَضَلَّ آرَاءَهُمْ، وَمَا أَضَلَّ رَأْيَهُمْ. وَيُقَالُ: رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي رُؤْيَةً. وَرَأَيْتُهُ رَأْيَ الْعَيْنِ، أَيْ حَيْثُ يَقَعُ الْبَصَرُ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ مِنْ رَأْيِ الْقَلْبِ: ارْتَأَيْتُ، وَأَنْشَدَ: أَلَا أَيُّهَا الْمُرْتَبِيُّ فِي الْأُمُورِ سَيَجْلُو الْعَمَى عَنْكَ تَبْيَانُهَا^(٢)»

تَوْضِيحٌ

هَذِهِ الْفَقَرَاتُ الثَّلَاثُ، كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهَا (فَقُبْحاً)، أَيْ: قُبْحاً (لِفُلُولِ الْحَدِّ)، وَقُبْحاً لـ (خَوَرِ الْقَنَاةِ)، وَقُبْحاً لـ (خَطَلِ الرَّأْيِ). هَذَا بِمُحَسَّبِ نَسْخَةِ «مَعَانِي الْأَخْبَارِ». وَفِي نَسْخَةِ «الاحتجاج» زِيَادَةُ أَرْبَعِ فَقَرَاتٍ: (اللَّعِبِ بَعْدَ الْحَدِّ)، (قَرَعَ الصَّفَاةَ)، (صَدَعَ الْقَنَاةَ)، (زَلَّلِ الْأَهْوَاءَ). حَيْثُ كَانَتِ الْعِبَارَةُ فِي «الاحتجاج» هَكَذَا: (فَقُبْحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ، وَاللَّعِبِ بَعْدَ الْحَدِّ، وَقَرَعَ الصَّفَاةَ، وَصَدَعَ الْقَنَاةَ، وَخَطَلِ الْآرَاءَ، وَزَلَّلِ الْأَهْوَاءَ) وَلَأَهَمِّيَّتِهَا نَتَنَاوَلُهَا بِالشَّرْحِ الْمَوْجِزِ.

شَرْحُ الْمَقْرَدَاتِ

مَعْنَى قَوْلِهَا ﷺ: (اللَّعِبِ بَعْدَ الْحَدِّ)

أَيَّ أَخَذْتُمْ دِينَكُمْ بِاللَّعِبِ وَالْبَاطِلِ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مُجَدِّدِينَ فِيهِ أَخَذِينَ بِالْحُجَّةِ.

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٤ : ١٦٨٥ .

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٥ : ٣١٦ .

اللَّعِبُ: ضد الجِدِّ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «اللَّعِبُ واللَّعْبُ: ضِدُّ الجِدِّ، لَعِبَ يَلْعَبُ لَعِبًا وَلَعْبًا، وَلَعَبَ وَتَلَاعَبَ وَتَلَعَّبَ مَرَّةً بعد أُخْرَى، قال امرؤ القيس:

تَلَعَّبَ بَاعِثُ بِذِمَّةِ خَالِدٍ وَأَوْدَى عِصَامُ فِي الخُطُوبِ الأوَائِلِ

... ويقال لكل من عَمِلَ عَمَلًا لَا يُجِدِّي عَلَيْهِ نَفْعًا: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ»^(١) انتهى.

الجِدُّ: - بالكسر - نقيض الهزل.

قال الجوهري في الصحاح: «الجِدُّ: تَقْيِضُ الهَزْلِ. تقول منه: جَدَّ في الأمرِ يَجِدُّ جِدًّا. وَجَدَّ فُلَانٌ في عيني يَجِدُّ جِدًّا بالفتح: عَظُمَ. والجِدُّ: الاجتهاد في الأمور. تقول منه: جَدَّ في الأمرِ يَجِدُّ جِدًّا بالفتح، وَيَجِدُّ. وَأَجَدَّ في الأمرِ، مثله. قال الأصمعي: يقال: إِنَّ فُلَانًا لَجَادٌ مُجِدُّ، باللغتين جميعاً. وَجَادَهُ في الأمرِ، أي حَاقَهُ. وَفُلَانٌ مُحْسِنٌ جِدًّا، وَلَا تَقِلْ جِدًّا. وهو على جِدٍّ أَمْرٍ، أي عَجَلَةٍ أَمْرٍ. وقولهم: في هذا خَطَرٌ جِدٌّ عَظِيمٌ، أي عَظِيمٌ جِدًّا. وقولهم: أَجِدَّكَ وَأَجَدَّكَ بمعنى.. وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا مُضَافًا. قال الأصمعي: معناه أَجِدُّ مِنْكَ هذا»^(٢) انتهى.

معنى قولها **الْقَرْعُ**: (قَرْع الصَّفَاة)

القَرْعُ: الضرب بشدة.

قال الطريحي في مجمع البحرين: «القَارِعَةُ: البَلِيَّةُ التي تَقْرَعُ القُلُوبَ بِشَدَّةِ المَخَافَةِ. والقَرْعُ: الضَرْبُ بِشَدَّةِ الاعتماد. وَقَوَارِعُ الدَّهْرِ: دَوَاهِيهِ. والقَارِعَةُ: اسم من أَسْمَاءِ القِيَامَةِ؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ القُلُوبَ بالفزع، وتَقْرَعُ أَعْدَاءَ اللَّهِ بالعذاب...

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١: ٧٣٩.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللُّغَةُ وَصَحَّاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ٢: ٤٥٢.

وقرعتهم قَوَارِغُ الدهر: أصابَتْهُمْ. وقَوَارِغُ القرآن: الآيات التي يقرؤها الإنسان إذا فرغ من الجن والإنس، نحو آية الكرسي؛ لأنها تفرع الشيطان وتهلكه. وقارعة الدار: ساحتها. وقارعة الطريق: أعلاه، وهو موضع قَرَعَ المَارَّة... وقرعت الباب قرعاً: طرقته. وقَرَعَ نَاقَتُهُ: ضربها بالسوط. وقَرَعَ رَأْسُهُ بالعصا، وقرعته بالمِقْرَعَةِ: ضربته بها. والمِقْرَعَة - بالكسر فالسكون -: ما يقرع به الدابة. وقارعته: أي ضاربته وجادلته، فقرعته أي غلبته بالمجادلة. وقارعته أقرعه بفتحتين: غلبته^(١) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾^(٢).
الصَّفَاةُ: الحَجَرُ الْأَمْلَسُ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «الصَّفَا - مَقْصُورٌ -: الْحِجَارَةُ، وَيُقَالُ: الْحِجَارَةُ الْمُلْسُ، الْوَاحِدَةُ: صَفَاةٌ، مِثْلَ حَصَى وَحَصَاةٍ، وَمِنْهُ الصَّفَا، لِمَوْضِعِ بَمَكَّةَ، وَيَجُوزُ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ بِاعْتِبَارِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْمَكَانِ وَالْبُقْعَةِ عَلَيْهِ، وَالصَّفْوَانُ، يُسْتَعْمَلُ فِي الْجُمُعِ وَالْمُفْرَدِ، فَإِذَا أُسْتَعْمِلَ فِي الْجُمُعِ فَهُوَ الْحِجَارَةُ الْمُلْسُ، الْوَاحِدَةُ صَفْوَانَةٌ، وَإِذَا أُسْتَعْمِلَ فِي الْمُفْرَدِ فَهُوَ الْحَجَرُ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ، وَجَمْعُهُ صُفْيٌ وَصُفْيٌ^(٣)» انتهى.

ومرادها ﷺ: أنكم جعلتم أنفسكم مَقْرَعًا لِحُصُومِكُمْ حتى قَرَعُوا صَفَاتِكُمْ، وهو تمثيل ومبالغة في الذم، ومنه الحديث «لا يُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ» أي لا ينالهم أحدٌ بسوء، كما ذكر ذلك العلامة المجلسي في البحار^(٤) انتهى.

(١) مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ التَّيَرَيْنِ، الطَّرِيجِي ٣: ٤٩٠.

(٢) القارعة: ١ - ٣.

(٣) البَصَائِحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْقِيُومِي، ص: ٣٤٤.

(٤) بِحَارُ الْأَنْوَارِ، الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ ٤٣: ١٦٣.

معنى قولها ﷺ: (صَدَعَ الْقَنَاةَ)

هي بمعنى (خَوَّرِ الْقَنَاةَ)، وقد تقدم شرح «الْحَوَّر» و«الْقَنَاةَ».
قال ابن منظور في لسان العرب: «وَالصَّدْعُ: الشَّقُّ فِي الشَّيْءِ الصُّلْبِ، كَالزُّجَاجَةِ وَالْحَائِطِ وَغَيْرِهِمَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُ غُيُوبٌ﴾^(١) قَالَ الزَّجَاجُ: مَعْنَاهُ يَتَفَرَّقُونَ فَيَصِيرُونَ فَرِيقَيْنِ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.»^(٢) انتهى.

معنى قولها ﷺ: (زَلَلَ الْأَهْوَاءَ)

الزَّلَلُ: الزَّلَقُ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «زَلَّ الْإِنْسَانُ يَزِلُّ زَلًّا: زَلَقَ.. وَزَلَّتْ يَا فُلَانُ: إِذَا زَلَّ فِي طِينٍ أَوْ مَنْطِقٍ.. وَزَلَّ فِي رَأْيِهِ وَدِينِهِ.. وَأَزَلَّهُ وَاسْتَزَلَّهُ غَيْرُهُ.»^(٣) انتهى.
وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «قال الليث: يقال: زَلَّ السَّهْمُ عَنِ الدَّرَجِ زَلِيلًا، وكذلك الْإِنْسَانُ عَنِ الصَّخْرَةِ يَزِلُّ زَلِيلًا، فَإِذَا زَلَّتْ قَدَمُهُ قِيلَ: زَلَّ، وَإِذَا زَلَّ فِي مَقَالٍ أَوْ نَحْوِهِ قِيلَ: زَلَّ زَلَّةً، وَفِي الْخَطِيئَةِ وَنَحْوِهَا، وَأُنْشِدَ:

هَلَا عَلَى غَيْرِي جَعَلْتَ الزَّلَّةَ فَسَوْفَ أَعْلُو بِالْحُسَامِ الْقُلَّةَ

... وقال أبو زيد: زَلَّ فِي دِينِهِ يَزِلُّ زَلًّا وَزُلُولًا، وكذلك زَلَّ فِي الْمَرْلَةِ.»^(٤) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥).

(١) الروم: ٤٣.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُور ٨: ١٩٤.

(٣) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُور ١١: ٣٠.

(٤) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٣: ١٦٣.

(٥) البقرة: ٢٠٩.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾^(١).

وقوله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٢).
وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(٣).
والأهواء: جَمْعُ الْهَوَى.

قال الجوهري في الصحاح: «الْهَوَى مَفْضُورٌ: هَوَى النَّفْسِ، وَالْجَمْعُ الْأَهْوَاءُ. وَإِذَا أَضْفَتْهُ إِلَيْكَ قُلْتَ: هَوَايَ... وَيُقَالُ: هَذَا الشَّيْءُ أَهْوَى إِلَيَّ مِنْ كَذَا، أَيْ أَحَبُّ إِلَيَّ...»
وقال الْأَصْمَعِيُّ: هَوَى - بِالْفَتْحِ - يَهْوِي هَوِيًّا، أَيْ سَقَطَ إِلَى أَسْفَلٍ... وَاسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانُ، أَيْ اسْتَهَامَهُ.. وَهَاوِيَةٌ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(٤)... وقال الشاعر:

يَا عَمْرُو لَوْ نَالَكَ أَرْمَاحُنَا كُنْتَ كَمَنْ تَهْوِي بِهِ الْهََاوِيَّةُ^(٥)

ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾^(٦).
وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٧).

(١) النحل: ٩٤.

(٢) البقرة: ٣٦.

(٣) آل عمران: ١٥٥.

(٤) القارعة: ٩.

(٥) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٦: ٢٥٣٧.

(٦) النساء: ١٣٥.

(٧) ص: ٢٦.

وقوله جَلَّ شأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١).

وقوله جَلَّ وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَعَى الْنَفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢).

تَوْضِيحٌ

ومرادها عليها السلام من زَلَّ الأهواء: السقوط في أتباع الهوى، بترك نصره الحق والميل إلى الباطل.

وهذه الفقرات الأربع متعلقة بقولها عليها السلام: (فقبحاً)، أي: (قبحاً للعب بعد الجد)، و(قبحاً لقرع الصفاة)، و(قبحاً لصدع القناة)، و(قبحاً لزلل الأهواء). فإن جميع هذه الأمور هي مُستقبحةٌ لدى العقلاء.

دِلَالَةُ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

ثم استشهدت عليها السلام بعد ذلك بالآية الشريفة، قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٣).

وقدّمنا بياناً موجزاً حول الاستشهاد بهذه الآية الشريفة، وفي مقام بسط الكلام بما يقتضيه المقام أقول: إنّ هذه الآية الكريمة وردت في سياق آيات مُتعرّضة لبني إسرائيل باللّعن والذّم وبيان بعض الشناعات التي ارتكبوها من العصيان لأوامر الله، والتعدّي على حرّامات الله، وعَدَمُ التَّنَاهِي عن المنكرات، وتولّي الذين كفروا، فقال عزّ من قائل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى

(١) النجم: ٣.

(٢) النازعات: ٤٠.

(٣) المائدة: ٨٠.

ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾^(١)

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة بيان ثلاثة أمور استحقوا بها اللعن الإلهي الوارد في صدر الآية الأولى وهي:

- ١- ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ في الآية الأولى.
- ٢- ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ في الآية الثانية.
- ٣- ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية الثالثة.

عُمُومُ التَّعْلِيلِ بِعَمَمِ الْحُكْمِ

وقد جاءت هذه الأمور الثلاثة في مقام التعليل لاستحقاق اللعن الإلهي، وظاهر هذا التعليل هو العموم، بمعنى أَنَّ كُلَّ من فعل واحداً من هذه الأمور الثلاثة، ولا أقل أجمعها استحق اللعن الإلهي الوارد في صدر الآية الأولى، فإنَّ عموم التعليل يعمُّ الحكم، وعليه فلا خصوصية في الآية الكريمة لبني إسرائيل الوارد ذكرهم في الآية الأولى، ويكون هذا الحكم باللعن الإلهي شامل لكل من اتَّصف بهذه الأمور.

ثم إنَّ الأمر الثالث من هذه الأمور هو الأقرب ارتباطاً بكلام الصديقة عليها السلام، والألصقُ ببيانها، وعليه مدار تحديد الهوية الإسلامية الحقيقية، وهي الإيمان بالله

والتصديق للنبي ﷺ، وهو ما أكدت عليه الآية الأخيرة من هذه الآيات: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا اخْتَدَوْهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١). حيث صرحت الآية الكريمة بوجود التنافي بين الإيمان بالله والنبي وبين اتخاذ الكافرين أولياء.

وهذا المعنى هو ما نطّق به الذكر الحكيم في آية سورة المجادلة، في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَزَقَهُمْ عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

حيث نفّث الآية الكريمة الإيمان عمّن يواد من حاد الله ورسوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ومع أنّ الإطلاق في صدر هذه الآية الكريمة ثابت في العموم والشمول لكل من يواد من حاد الله ورسوله، فكل من يفعل ذلك ينتفي عنه عنوان الإيمان، سواء كان قريباً أم بعيداً، إلّا أنّ الآية لم تكتفي بالإطلاق وأكدت على الخاص، وذكرت أربعة مصاديق لذلك الخاص: الآباء، والأبناء، والإخوان، والعشيرة: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. وكما هو ثابت بلاغياً، إنّ ذكر الخاص بعد العام يُعطي خصوصية في الحكم وتشديداً عليه، ودفعاً لتوهم التخصيص.

(١) المائدة: ٨١.

(٢) المجادلة: ٢٢.

وعليه فيكون استشهاد الصديقة الزهراء عليها السلام بهذه الآية الكريمة متضمن لهذا المعنى، وهو ولايةٌ وَلِيَ الله والبراءة من أعدائه، ولا يمكن الجمع بين ولايته وولاية أعدائه، وهذا ما أرشدت إليه الآية الكريمة «تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا».

لُزُومُ الْبَرَاءَةِ

وفي هذا دلالة قاطعة على لزوم البراءة من أعداء الله جَلَّ شأنه، وبدونها لا يمكن أن تتحقق الولاية لله ولأوليائه. ولذلك كان استشهاد الزهراء عليها السلام بالآية الكريمة: «لَيْتَسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ»، في هذا الموضع من كلامها يحمل دلالة عميقة مرتبطة بحقيقة الإسلام، فاستحق المتعدي على حرمان الله هذه الشدة في لحن خطابها «صلوات الله وسلامه عليها».

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها عليها السلام: (لَا جَرَمَ)

لَا جَرَمَ: الكلمة مركبة من أداة النفي (لا) وكلمة (جَرَمَ). قال الزبيدي في تاج العروس: «لَا جَرَمَ..: أي لا بُدَّ، أو معناه حقاً، أو لا محالة، أو هذا أصله ثم كثر استعمالهم إياه حتى تَحَوَّلَ إلى معنى الْقَسَمِ.»^(١) انتهى. وقال الكفوي في الكليات: «لَا جَرَمَ هو اسم مبني على الفتح، ك لا بُدَّ، لفظاً

(١) تاجُ العَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ١٦ : ١٠٣.

ومعنى، أي لا بد، ولا انقطاع، أي لا ينقطع في وقت ما فيفيد معنى الوجوب، يعني وجب وحق، قال الفراء: معنى لا جرم في الأصل: لا بد ولا محالة، ثم استعملت بمعنى حقاً، فيجري مجرى القسم فيحاط باللام، يقال: لا جرم لأفعلن كذا. وقد يكون لمجرد التأكيد بدون اختيار معنى القسم.^(١) انتهى.

وهي كلمة تُورَدُ لتحقيق الشيء ووقوعه.

وقد وردت ﴿لَا جَرَمَ﴾ في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾^(٢).

وقوله جلَّ شأنه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلِثُونَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾^(٤).

وقوله جلَّتْ آلاؤه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥).

وقوله تبارك اسمه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي

الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٦).

وفي جميعها بمعنى التحقق والوقوع، سواء كانت بمعنى القسم أو لا.

(١) الكليات، الكفوي، ص: ٩٧٠.

(٢) هود: ٢٢.

(٣) النحل: ٢٣.

(٤) النحل: ٦٢.

(٥) النحل: ١٠٩.

(٦) غافر: ٤٣.

معنى قولها ﷺ : (لَقَدْ)

هذه الكلمة مركبة من (لام الابتداء)، و(قَدْ) التي تفيد معنى التحقق والوقوع. قال ابن هشام في «معني اللبيب» في تعداده لمعاني (قَدْ): «الخامس: التحقيق، نحو ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾». وذكر قبل ذلك من أحكامها: «الرابع: دخول لام الابتداء، في نحو: إِنَّ زَيْدًا لَقَدْ قَامَ»^(١) انتهى.

تَوْضِيحٌ

فيكون معنى تصديرها ﷺ هذا المقطع بهذه الفقرة (لَا جَرَمَ لَقَدْ...) إمّا للقسم المؤكد بحصول التحقق الوقوع، أو مجرد تأكيد التحقق والوقوع بدون قصد معنى القسم، وعلى كلا الحالين تكون هذه الفقرة لتأكيد التحقق الوقوع.

معنى قولها ﷺ : (قَلَدَتْهُمْ)

التَّقْلِيدُ: التعليق في العُنُقِ، ومنه سُمِّيَتِ القِلَادَةُ، لأنها تحيط بالعنق. قال الزبيدي في تاج العروس: «القِلَادَةُ بالكسر...: ما جُعِلَ في العُنُقِ، يكون للإنسان والفرس والكلب والبَدَنَةِ التي تُهْدَى ونَحْوَهَا... وَقَلَدْتُهَا قِلَادَةً بالكسر وقِلَاداً بحذف الهاء: جَعَلْتُهَا في عُنُقِهَا فَتَقَلَّدَتْ، ومنه التَّقْلِيدُ في الدِّينِ وَتَقْلِيدُ الْوَلَاةِ الْأَعْمَالِ وهو حَاجَزٌ منه أَيْضاً تَقْلِيدُ الْبَدَنَةِ: أَنْ يَجْعَلَ في عُنُقِهَا شَيْئاً يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهَا هَذِي، قال الفرزدق:

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَأَعْنَاقِ الْهَدْيِ مُقَلَّدَاتٍ^(٢)

(١) معني اللبيب عن كُتُبِ الْأَعْرَابِ، ابنُ هِشَامٍ ١: ٢٣٠-٢٣١.

(٢) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ٥: ٢٠٥.

معنى قولها ﷺ: (رَبَّقَتَهَا)

الرَّبَّقَةُ - بالكسر: عروة في حبل، تُجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها.
قال الزبيدي في تاج العروس: «الرَّبَّقُ بالكسر: حَبْل فيه عِدَّة عُرَى، يُشَدُّ بِهِ الْبَهِيمُ الصَّغَارُ من أَغْنَقِهَا أو يَدِهَا لِئَلَّا تَرَضَعَ. كُلُّ عُرْوَةٍ مِنْهَا رِبْقَةٌ... وَيُرَوَّى عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرِ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ» استعارها للإسلام، يَعْنِي مَا يُشَدُّ بِهِ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ مِنْ عُزَى الْإِسْلَامِ.»^(١) انتهى.

تَوْضِيحٌ

قال العلامة المجلسي رحمه الله: «والضمير في (رَبَّقَتَهَا) راجع إلى الخلافة المدلول عليه بالمقام، أو إلى فذك، أو حقوق أهل البيت ﷺ أي: جعلت إثمها لازمة لرقابهم كالفلائد.»^(٢) انتهى.

وعليه فتكون الضمائر في (قَلَّدَتْهُمْ)، وكذلك (عَلَيْهِمْ) (حَمَلَتْهُمْ) في الفقرتين اللاحقتين راجعة إلى الأمة، مَنْ ساهم منهم في زحزحة الأمر عن أمير المؤمنين ﷺ أو رضي بذلك.

معنى قولها ﷺ: (وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ غَارَهَا)

الشَّنُّ - بالفتح -: رَشَّ الماء رشاً متفرقاً، ومنه قولهم: شَنَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَةُ، إِذَا فُرِّقَتْ عَلَيْهِمُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، والضمير في قولها (عَلَيْهِمْ) راجع إلى الأمة.

(١) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ١٣ : ١٥٩.

(٢) بِحَارُ الْأَنْوَارِ، الْعَلَمَةُ الْمَجْلِسِيُّ ٤٣ : ١٦٤.

قال الجوهري في الصحاح: «شَنَّ الماءَ عَلَى وَجْهِهِ وَعَلَى الشَّرَابِ: فَرَّقَهُ عَلَيْهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: شَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ وَأَشَنَّ، إِذَا فَرَّقَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. قَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ: سَنَنْتَا عَلَيْهِمْ كُلَّ جَزْدَاءِ شَطْبَةٍ لِحُجُوجِ ثُبَارِي كُلِّ أَجْرَدٍ شَرْحَبٍ^(١)

وَالْغَارَةُ: فِي قَوْلِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ (غَارَهَا)، أَيُّ: غَارَتْهَا، وَهِيَ الْهَجُومُ عَلَى الْعَدُوِّ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «وَأَغَارَ الْفَرَسُ إِغَارَةً، وَالْإِسْمُ الْغَارَةُ... إِذَا أَسْرَعَ فِي الْعَدُوِّ، وَأَغَارَ الْقَوْمُ إِغَارَةً: أَسْرَعُوا فِي السَّيْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَشْرِقَ ثُبَيْرٌ كَيْمَا نُغَيْرُ، أَيُّ حَتَّى نَذْفَعَ لِلنَّحْرِ، ثُمَّ أَطْلَقَتْ الْغَارَةُ عَلَى الْحَيْلِ الْمُغِيرَةِ... وَسَنُوا الْغَارَةَ أَيُّ فَرَّقُوا الْحَيْلَ، وَأَغَارَ عَلَى الْعَدُوِّ: هَجَمَ عَلَيْهِمْ دَبَارَهُمْ وَأَوْقَعَ بِهِمْ»^(٢) انتهى.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «رَجُلٌ مِغَوَارٌ، أَيُّ كَثِيرُ الْغَارَاتِ عَلَى أَعْدَائِهِ، جَمْعُهُ مَغَاوِيرٌ»^(٣) انتهى.

ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾^(٤).

تَعْلِيْقٌ

وهنا يظهر جلياً موقفُ الزهراء عليها السلام البطولي في الدفاع عن الإمامة الإلهية، وأن ما قامت به بمثابة مَنْ شَنَّ الْغَارَةَ فِي أَكْثَرِ مِنْ جِهَةٍ عَلَى الْخُصُومِ، بَحِيْثٌ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَيُّ حِيلَةٍ، حَيْثُ أَقَامَتْ عليها السلام الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ تُبْقِ عُذْرًا لِمُعْتَذِرٍ، وَقَضَحَتْ كَامِلَ الْمَخْطُوطِ وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهِ لِرُحْزَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الزَّمَامِ الَّذِي نَبَذَهُ إِلَيْهِ

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٥ : ٢١٤٥.

(٢) الْبُصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُّومِيُّ، ص: ٤٥٦.

(٣) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ٨ : ١٨٤.

(٤) الْعَادِيَاتِ: ٣.

رسول الله ﷺ

معنى قولها ﷺ: (وَحَمَلْتُهُمْ أَوْقَتَهَا)

[هذه الفقرة في نسخة الاحتجاج فقط].

التَّحْمِيلُ: في قولها (حَمَلْتُهُمْ): من الحملِ للشيء ويكون في المادي والمعنوي.
قال ابن منظور في لسان العرب: «حَمَلَ الشيءَ يَحْمِلُهُ حَمْلًا وَحُمْلَانًا فهو مَحْمُولٌ وَحَمِيلٌ»^(١) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «حَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ يَحْمِلُهُ حَمْلًا وَحُمْلَانًا - بالضم - فهو مَحْمُولٌ وَحَمِيلٌ... وَحَمَلَهُ الأَمْرَ تَحْمِيلًا وَحَمَلًا كَكِذَابٍ، فَتَحَمَلَهُ تَحْمَلًا وَتَحْمَالًا عَلَى تَفْعَالٍ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣).
الأَوْقُ: في قولها ﷺ (أَوْقَتَهَا): الثِقْلُ. يُقَالُ أَلْقَى عَلَيْهِ أَوْقَةً. وَقَدْ أَوْقَتَهُ تَأْوِيقًا، أَي حَمَلْتُهُ الْمَشَقَّةَ وَالْمَكْرُوءَ. قاله الجوهري في الصحاح^(٤).

تَوْضِيحٌ

ومعنى هذه الفقرة في كلامها ﷺ، هو تحميلهم ثقل ومسئولية الأمر الذي قاموا

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١١ : ١٧٤.

(٢) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرَّيْنُودِيِّ ١٤ : ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) الْأَحْزَابُ: ٧٢.

(٤) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٤ : ١٤٤٧.

به، من التعدي على مقام الإمامة المتمثل في أمير المؤمنين عليه السلام. حيث قاموا بزحزحته عن تَوَلَّى المنصب الظاهري وقيادة شئون الأمة، وهذا العمل منهم هو الذي جَرَّ الولايات على الأمة من ذلك الزمان وإلى يوم الناس هذا. وسيأتي بيان ذلك في كلامها عليها السلام.

خُلَاصَةٌ

وخلاصة هذا المقطع: أَنَّهَا عليها السلام حَمَلَت الأمة مسؤولية الانحراف الخطير الذي حصل، وقد قَدِّمَتْ في مقابل ذلك الغالي والنفيس، بل إِنَّهَا وقفت موقفاً بطولياً بشئها الغارة عليهم وفضحهم وعدم إبقاء عذر لأحد منهم.

تَعْلِيلٌ

في هذا المقطع تبين الزهراء عليها السلام حالة التخاذل التي انتابت الأمة، عن نصره الحق الذي لا مِرْيَةَ فيه، حيث أقامت الحجة عليهم، ثم ذكرت كيلاً من الدّم لهم، الكاشف عن حقيقة سرائرهم وما انطوت عليه ضمائرهم.

معنى قولها عليها السلام: (جَدْعاً)

الجَدْعُ: قَطْعُ الأنْفِ والأُذُنِ والشَّفَةِ.

قال الجوهري في الصحاح: «الجَدْعُ: قَطْعُ الأنْفِ، وقَطْعُ الأُذُنِ أيضاً، وقطع اليد والشفة. تقول منه: جَدَعْتُهُ، فهو أَجْدَعُ بَيْنَ الجَدْعِ، والأنثى جَدْعَاءُ.»^(١) انتهى.

وقال الخليل في كتاب العين: «الجَدْعُ: قَطْعُ الأنْفِ والأُذُنِ والشَّفَةِ، جَدَعْتُهُ

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ١: ٨٣.

أَجْدَعُهُ جَدْعاً وهو مَجْدُوعٌ وأنا جَادِعٌ... والأنثى جَدْعَاءٌ... والجَدْعَةُ: موضعُ الجَدْعِ من المَجْدُوعِ، قال سيبويه، يُقال: جَدَّعْتُهُ، أي: قُلْتُ لَهُ: جَدْعاً.^(١) انتهى.

معنى قولها ﷺ: (عَقَرَا)

العَقْرُ: الجَرْحُ، وأصل العَقْر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف. قال الفيومي في المصباح المنير: «عَقَرَهُ عَقْراً - مِنْ بَابِ ضَرَبَ - جَرَحَهُ، وَعَقَرَ البَعِيرَ بِالسَّيْفِ عَقْراً: ضَرَبَ قَوَائِمَهُ بِهِ، لَا يُطْلَقُ الْعَقْرُ فِي غَيْرِ الْقَوَائِمِ، وَرُبَّمَا قِيلَ: عَقَرَهُ: إِذَا نَحَرَهُ، فَهُوَ عَقِيرٌ، وَجَمَالَ عَقْرَى.»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾^(٣)، في قصة ناقة نبي الله صالح عليه السلام.

معنى قولها ﷺ: (سُحِقَا)

السُّحْقُ - بالضم -: البُعْدُ. ويقال: سُحِقاً له، أي بُعِداً له. قال الجوهري في الصحاح: «سَحِقْتُ الشَّيْءَ فَانْسَحَقَ، إِذَا سَكَّهْتَهُ... وَالسُّحْقُ بِالضَّمِّ: الْبُعْدُ. يُقَالُ: سُحِقاً لَهُ، وَكَذَلِكَ السُّحْقُ. وَقَدْ سَحِقَ الشَّيْءُ فَهُوَ سَحِيقٌ، أَيْ بَعِيدٌ، وَأَسَحَقَهُ اللَّهُ، أَيْ أَبْعَدَهُ.»^(٤) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٥)، وغيرها من الآيات.

(١) العَيْنُ، الفَرَاهِيدِي ١: ٢١٩.

(٢) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُّومِي، ص: ٤٢١.

(٣) الْأَعْرَاف: ٧٧.

(٤) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِي ٤: ١٤٩٤.

(٥) الْحِج: ٣١.

هكذا في نسخة «معاني الأخبار» (فَجَدْعًا وَعَقْرًا وَسُخْقًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، وفي نسخة «الاحتجاج»: (فَجَدْعًا وَعَقْرًا وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وفي نسخة «الأمالي»: (فَجَدْعًا وَرَعْمًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

وقد تقدم بيان (فَجَدْعًا وَعَقْرًا وَسُخْقًا) وبقي بيان: (وَبُعْدًا) (وَرَعْمًا) في نسختي «الاحتجاج» و«الأمالي».

معنى قولها **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**: (وَبُعْدًا)

من البُعْدِ الذي هو ضد القُرْبِ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «بَعْدَ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ بُعْدًا فَهُوَ بَعِيدٌ، وَبُعْدَى بِالْبَاءِ وَبِالْهَمْزَةِ فَيَقَالُ: بَعُدْتُ بِهِ وَأَبْعَدْتُهُ وَتَبَاعَدَ مِثْلُ: بَعَدَ وَبَعْدْتُ بَيْنَهُمْ تَبْعِيدًا وَبَاعَدْتُ مَبَاعَدَةً وَأَسْتَبْعِدْتُهُ عَدَدْتَهُ بَعِيدًا»^(١) انتهى.

والمعنى: الدعاء بالإبعاد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

معنى قولها **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**: (وَرَعْمًا)

رَعْمًا: من الرَّعَامِ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «الرَّعَامُ - بِالْفَتْحِ -: التُّرَابُ، وَرَعَمَ أَنْفُهُ رَعْمًا -

(١) البصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ص: ٥٣.

(٢) هود: ٤٤.

(٣) المؤمنون: ٤١.

مِنْ بَابِ قَتْلٍ، وَرَغَمَ - مِنْ بَابِ نَعَبَ - لَعَنَهُ كِنَايَةً عَنِ الدَّلِّ، كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالرَّغَامِ هَوَانًا، وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ فَيَقَالُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ، وَقَعَلْتُهُ عَلَى رَغَمٍ أَنْفِهِ - بِالْفَتْحِ وَالصَّمِّ - أَيُّ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ، وَرَاغَمْتُهُ: غَاظَبْتُهُ، وَهَذَا تَرْغِيمٌ لَهُ، أَيُّ إِذْلالٌ. ^(١) انتهى.

خاتمة

وفي ختام هذا المقطع ذَيْلُهُ عليه السلام بذكر هذه الفقرة من الآية الكريمة: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، وفي هذا دلالة واضحة على وصفهم بالظلم الذي ترجع إليه كل القبائح، حيث إنها بعد الدعاء عليهم بالجذع والعقر والسحق والبُعد والرَّغَم، على اختلاف النسخ، وصفتهم بأقبح صفة ألا وهو الظلم. الذي هو ضد العدل.

تعليق

في هذه الفقرة تُبَيَّنُ عليه السلام عِظَمَ الحُرقة وشدة الألم الذي يعتلج في صدرها «روحي فداها» حيثُ إِنهَا دَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ: بِالْجُذْعِ وَالْعَقْرِ وَالسَّحْقِ، وَوَسَمَتْهُمْ بِأَفْبَحِ سِمَةٍ وَوَضَمَةٍ غَارٍ، أَلَا وَهِيَ الظلم. وأيُّ ظلم أكبر من ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْقَيُّومِي، ص: ٢٣١.

المقطع الثالث

((وَيَحْهُمْ أَنَّى زَحَزَحُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ وَقَوَاعِدِ النُّبُوَّةِ وَمَهَبَطِ
الْوَحْيِ الْأَمِينِ، وَالطَّيِّبِينَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ﴾^(١)))

اختلاف النسخ

في نسخة «الاحتجاج» (زَعَزَعُوهَا)، ثم بعد فقرة: (وقواعد النبوة) إضافة
(والدلالة)، (ومهبط الروح الأمين) بدلاً من (مهبط الوحي الأمين).
وفي نسخة «الأمالي» لم يذكر هذا المقطع بهذه الكيفية، وإنما اقتصر هنا على
قولها: ((وَيَحْهُمْ أَنَّى زَحَزَحُوهَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ)، وأضاف بقية الفقرات المذكورة
هنا في المقطع الخامس، هكذا: (فإنَّه قَوَاعِدُ الرِّسَالَةِ، وَرَوَاسِي النُّبُوَّةِ، وَمَهَبَطُ
الروح الْأَمِينِ، وَالطَّيِّبِينَ بِأَمْرِ الدينِ والدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ﴾)). وستأتي الإشارة إلى ذلك في محله.

توضيح إجمالي

بعد أَنْ حَتَمَتِ الصديقة الكبرى عليها السلام المقطع السابق بالدعاء على مَنْ تعدى على

مقام الإمامة الإلهية بزحرة أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، افتتحت هذا المقطع بأسلوب التعجب والتوجع مما ارتكبه القوم من الاعتداء على ولاية ولي الله، ثم استرسلت في بيان هذا المقام الإلهي، بذكر أربعة أمور مرتبطة به، وهي جملٌ وصفيةٌ له، تبيّن بها عظيم مقامه عليه السلام:

١- (رَوَاسِي الرِّسَالَةِ).

٢- (قَوَاعِدِ الثُّبُوتِ).

٣- (مَهَبِطِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ).

٤- (الطَّبِيبِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ).

ثم في ختام هذا المقطع من كلامها عليها السلام أشارت إلى عِظَمِ الخسارة التي حلت بالأمة جرّاء ذلك التعدي على مقام الإمامة الإلهية، بل إنّ تلك الخسارة لا تُقاس بأيّ خسارة أخرى، لذلك استشهدت الزهراء عليها السلام بالآية الكريمة: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١). إشارة إلى زحرة القيادة عن أمير المؤمنين عليه السلام.

شَرَحُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها عليها السلام: (وَيَحْتَمُّهُمْ)

وَيَحْتَمُّ: كلمة تَرَحُّمٌ وَتَوَجُّعٌ، وقد يقال بمعنى المدح والعجب، وهي منصوبة على المصدرية، قاله ابن منظور في لسان العرب^(٢).

(١) الزمر: ١٥.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٢: ٦٣٨.

وهي هنا لمعنى التوجّع أقرب، لمناسبته للمقام، أو للتعجّب، لا بمعنى المدح.

معنى قولها ﷺ: (أَنِّي)

هنا بمعنى كَيْفَ، أي كيف زحزحوها!! ولها معانٍ أخرى، وتكررت هذه الكلمة في الذكر الحكيم بأكثر من معنى:

منها ما جاء بمعنى (كَيْفَ) كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾^(١)، وفي قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَنَّى يُخَيِّ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(٢). وآيات أخرى.

ومنها ما جاء بمعنى (مِنْ أَيْنَ)، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَأْمُرُكُمْ أَنَّى لَكُمْ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).

ومنها ما جاء بمعنى (مَتَى)، كما في قوله جل شأنه: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(٤)، وفيها أقوال أخرى.

معنى قولها ﷺ: (زَحَزَحُوهَا)

الرَّحَزَحَةُ: التَّنْجِيَةُ والتَّبْعِيَةُ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «رُحِزَ، أَي نُحِّي وَبُعِدَ، وَرَحَّ الشَّيْءُ يَرْحُهُ رَحًا: جَذَبَهُ فِي عَجَلَةٍ، وَرَحَّهُ يَرْحُهُ رَحًا، وَرَحَزَحَهُ فَتَرَحَزَحَ: دَفَعَهُ وَنَحَّاهُ عَنْ مَوْضِعِهِ

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) آل عمران: ٣٧.

(٤) البقرة: ٢٢٣.

فَتَنَحَّى وَبَاعَدَهُ مِنْهُ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

يَا قَابِضَ الرُّوجِ عَنْ جِسْمِ عَصَى زَمْنًا
وَيَقَالُ: هُوَ يَرْخُزُ عَنْ ذَلِكَ، أَيْ يَبْعُدُ مِنْهُ.^(١) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزْخِرِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾.^(٢)

وقوله سبحانه: ﴿قَمَنَ زُخْرَجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَانَ﴾.^(٣) أي أُبْعِدَ
وُنَحِّيَ عَنِ النَّارِ.

هكذا في نسخة «معاني الأخبار»، ونسخة «الأمالي». وفي نسخة «الاحتجاج»:
(زَعَزَعُوهَا).

الرَّعَزَعَةُ: تحريك الشيء بشدة.

قال الزبيدي في تاج العروس: «الرَّعَزَعَةُ: تحريك الريح الشجرة ونحوها، قاله
الليث، يُقَالُ: رَعَزَعَتِ الريح الشجرة رَعَزَعَةً، وكذا رَعَزَعَتْ بِهَا، وَأَنْشَدَ ثعلبُ:
أَلَا حَبْنًا رِيحُ الصَّبَا حِينَ رَعَزَعَتْ يَقُضْبَانِهِ بَعْدَ الظَّلَالِ جُنُوبُ
...أو كُلِّ تحريكٍ شديدٍ: رَعَزَعَةً، يقال: رَعَزَعَهُ رَعَزَعَةً: إِذَا أَرَادَ قَلْعَهُ وَإِزَالَتَهُ، وَهُوَ
أَنْ يُجَرَّكَ تَحْرِيكًا.»^(٤) انتهى.

(عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ)

هذه هي الصفة الأولى التي وصفت بها أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٢: ٤٦٨.

(٢) البقرة: ٩٦.

(٣) آل عمران: ١٨٦.

(٤) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ١١: ١٨٩.

معنى قولها ﷺ: (رَوَاسِي)

الرَّوَاسِي: الثَّوَابِتُ.

قال الجوهري في الصحاح: «قَالَ الْأَخْفَشُ: وَاجِدْتُهَا رَاسِيَةً. رَسَا الشَّيْءُ يَرُسُو: ثَبَّتَ. وَجِبَالٌ رَاسِيَاتٌ. وَرَسَتْ أَقْدَامُهُمْ فِي الْحَرْبِ، أَيْ ثَبَّتَتْ. وَرَسَتْ السَّفِينَةُ تَرُسُو رُسُوءًا، أَيْ وَقَفَتْ. وَالْمَرَسَاءُ: الَّتِي تُرْسَى بِهَا السَّفِينَةُ. وَالرَّوَاسِي مِنَ الْجِبَالِ: الثَّوَابِتُ الرَّوَاسِيخُ.»^(١) انتهى.

وقال الفيومي في المصباح المنير: «رَسَا الشَّيْءُ يَرُسُو رُسُوءًا وَرُسُوءًا: ثَبَّتَ، فَهُوَ رَاسٍ، وَجِبَالٌ رَاسِيَةٌ وَرَاسِيَاتٌ وَرَوَاسٍ. وَرَسَتْ أَقْدَامُهُمْ فِي الْحَرْبِ. وَرَسَوْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحْتُ.»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ شَامِخَاتٍ﴾^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ أَنْ تُبِيدَ بِكُمْ﴾^(٤).

وتكررت (الرَّوَاسِي) في آيات أخرى في الذكر الحكيم، سيأتي التعرض لبعضها.

معنى قولها ﷺ: (الرَّسَالَةِ)

اسم للدعوة الإلهية التي يتحملها الرسول من قبل الله جل شأنه ليلبّغها إلى الناس من أجل هدايتهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح الذي ينجيهم في الدنيا والآخرة، والمراد بها هنا رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ.

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ١: ٢٥٤.

(٢) البصباحُ المُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الفيومي ص: ٢٢٧.

(٣) المرسلات: ٢٧.

(٤) النحل: ١٥.

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: «أصل الرِّسْلِ: الانبعاث على التَّوَدَّة، ويقال: نَاقَهُ رِسْلُهُ: سَهَلَهُ السَّيْرُ، وإِبْلَ مَرَايِلُ: مُتَبَعَةٌ أَنْبِعَاءً سَهْلًا، وَمِنْهُ: الرَّسُولُ الْمُتَبَعُ، وتَصَوَّرَ مِنْهُ تَارَةُ الرَّفْقِ، فَقِيلَ: عَلَى رِسْلِكَ، إِذَا أَمَرْتَهُ بِالرَّفْقِ، وتَارَةُ الانْبِعَاثِ، فَاشْتَقَّ مِنْهُ الرَّسُولُ، وَالرَّسُولُ يَقَالُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١)، وَلِلْجَمْعِ: ﴿قُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وَجَمَعَ الرَّسُولُ: رُسُلٌ. وَرُسُلُ اللَّهِ تَارَةُ يَرَادُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ، وَتَارَةُ يَرَادُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ. فَمِنْ الْمَلَائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٣)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾^(٤). وَمِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٥)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦). وَالْإِرْسَالُ يَقَالُ فِي الْإِنْسَانِ، وَفِي الْأَشْيَاءِ الْمَحْبُوبَةِ، وَالْمَكْرُوهَةِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِالتَّسْخِيرِ، كإِرْسَالِ الرِّيحِ، وَالْمَطَرِ، نَحْوُ: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا﴾^(٧)، وَقَدْ يَكُونُ بِيَعْتٍ مِنْ لَهُ اخْتِيَارٌ، نَحْوُ إِرْسَالِ الرَّسْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾^(٨)، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾^(٩). وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِالتَّخْلِيَةِ وَتَرْكِ الْمَنْعِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى

(١) التوبة: ١٢٨ .

(٢) الشعراء: ١٦ .

(٣) التكوين: ١٩ .

(٤) هود: ٨١ .

(٥) آل عمران: ١٤٤ .

(٦) المائدة: ٦٧ .

(٧) الأنعام: ٦ .

(٨) الأنعام: ٦١ .

(٩) الشعراء: ٥٣ .

الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا^(١). وَالْإِرْسَالُ يُقَابِلُ الْإِمْسَاكَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٢).^(٣) انتهى.

تَحْلِيلٌ

الضمير في (رَحَزْتُهَا) راجع إلى الخلافة الظاهرية، لمناسبتها للمقام. الفاعل هو مَنْ تَعَدَّى مِنَ الْأُمَّةِ إِمَامًا بِالْفِعْلِ الْمُبَاشَرِ أَوْ بِالرِّضَا وَالسَّكُوتِ وَالتَّوَاطُعِ، فَهِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَتَوَجَّعُ وَتَتَعَجَّبُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَيْفَ أَبْعَدُوا الْخِلَافَةَ مِنْ مَكَانِهَا الصَّحِيحِ، (رَوَاسِي الرِّسَالَةِ)، وَهِيَ مُمَثِّلَةٌ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي هُوَ كَالْجِبَلِ الرَّاسِي، الَّذِي بِهِ تَسْتَقِرُّ الْأَرْضُ، فَلَوْلَا الْجِبَالُ لِمَادَتْ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا.

وقد تكرر هذا المعنى في الذكر الحكيم وكتاب الله المجيد في أكثر من موضع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(٤).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(٥).

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾^(٦).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾^(٧).

وغيرها من الآيات الكريمة.

(١) مريم: ٨٣.

(٢) فاطر: ٢.

(٣) الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ، الرَّائِغُ الْأَصْفَهَانِي، ص: ١٩٥.

(٤) الرعد: ٣.

(٥) الحجر: ١٩.

(٦) النحل: ١٥.

(٧) الانبياء: ٣١.

لَوْلَا الْإِمَامُ لَسَاخَتْ الْأَرْضُ

وقد وردت النصوص الكثيرة المؤكدة على أنَّ الأرض لا يمكن أن تبقى بدون الإمام، فكما أنَّ الإمام أمانٌ لعالم التشريع، كذلك هو إيمانٌ لعالم التكوين. وقد عقد الشيخ الصفار رحمته الله في كتاب «بصائر الدرجات» باباً أسماه [باب أنَّ الأرض لا تبقى بغير إمامٍ لو بقيت لساخت] ذكر فيه مجموعة من النصوص الدالة على هذا المعنى.

منها: ما رواه بإسناده، عَنْ أَبِي حمزة الثمالي قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: «لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ»^(١).

ومنها: ما رواه بإسناده، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ يَكُونُ الْأَرْضُ بِلَا إِمَامٍ فِيهَا؟ قَالَ: «لَا، إِذَا سَاخَتْ بِأَهْلِهَا»^(٢).

ومنها: ما رواه بإسناده، بإسناده عَنْ سُلَيْمَانَ الْجُعْفَرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قُلْتُ: تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَوْ خَلَّتِ الْأَرْضُ طَرْفَةً عَيْنٍ مِنْ حُجَّةٍ لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا»^(٣).

وكذلك الشيخ الكليني رحمته الله عقد باباً في أصول الكافي أسماه [باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجة] ^(٤) وضمَّنه مجموعة من الروايات الدالة على هذا المعنى.

وهنا يظهر وجه التعجب والتوجع جلياً في كلام الصديقة عليها السلام، حيث إنَّ هؤلاء

(١) بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ، الشَّيْخُ الصَّفَّارُ ١: ٤٨٨.

(٢) بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ، الشَّيْخُ الصَّفَّارُ ١: ٤٨٨.

(٣) بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ، الشَّيْخُ الصَّفَّارُ ١: ٤٨٩.

(٤) أُصُولُ الْكَافِي، الشَّيْخُ الْكَلْبِئِي ١: ١٧٨.

الذين زحزحوا أمير المؤمنين عليه السلام عن تولي زمام الأمة هم بمثابة من يقتلع الأسس والقواعد التي يقوم عليها منزله، وبالتالي سوف ينهدم البيت على من فيه! وهذا ما تأتي الإشارة له واضحة في كلماتها الآتية، «صلوات الله وسلامه عليها»، كما يظهر واضحاً مدى حرصها عليه السلام على نجاة الأمة بكاملها.

(وَقَوَاعِدِ التَّبَوُّةِ)

وهذه هي الصفة الثانية التي وصفت عليه السلام بها أمير المؤمنين عليه السلام.

معنى قولها عليه السلام: (قَوَاعِدُ)

القَوَاعِدُ: جَمْعُ قَاعِدَةٍ، وهي الأساس الذي يقوم عليه الشيء. وَقَوَاعِدُ الْبِنَاءِ: أَسَاسُهُ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «وَقَوَاعِدُ الْبَيْتِ أَسَاسُهُ، الْوَاحِدَةُ قَاعِدَةٌ، وَالْقَاعِدَةُ فِي الْإِصْطِلَاحِ، بِمَعْنَى الضَّابِطِ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْكُلِّيُّ الْمُنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهِ»^(١) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَأَنَّى اللَّهُ بُنِيَانُهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِّنْ قَوَائِمِهِمْ﴾^(٣).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ص: ٥١٠.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) النحل: ٢٦.

معنى قولها ﷺ: (النُّبُوَّةُ)

من النَّبَأ، وهو الخبر.

قال ابن منظور في لسان العرب: «والتَّيُّءُ الْمُخْبِرُ عَنْ اللَّهِ عز وجل مَكِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ عَنْهُ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ: صَوَابُهُ أَنْ يَقُولَ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، مِثْلُ تَذِيرٍ بِمَعْنَى مُنْذِرٍ، وَأَلِيمٌ بِمَعْنَى مُؤْلِمٍ، وَفِي النِّهَايَةِ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، لِلْمُبَالَغَةِ، مِنَ النَّبَأِ: الْحَبَرُ؛ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ، أَيْ أَخْبَرَ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا وَيَقُولُ: تَنْبَأُ مُسَيَّلِمَةً، بِالْهَمْزِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الْهَمْزَ فِي النَّبِيِّ، كَمَا تَرَكُوهُ فِي الذُّرِّيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْحَايِيَّةِ، إِلَّا أَهْلَ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ يَهْمَزُونَ هَذِهِ الْأَحْرَفَ وَلَا يَهْمَزُونَ غَيْرَهَا، وَيُخَالِفُونَ الْعَرَبَ فِي ذَلِكَ. قَالَ: وَالْهَمْزُ فِي التَّيِّءِ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ يَعْنِي لِقْلَةً اسْتَعْمَالُهَا، لَا لِأَنَّ الْقِيَاسَ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قِيلَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَنْبِرْ بِاسْمِي فَإِنَّمَا أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ: لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْكَرَ الْهَمْزَ فِي اسْمِهِ»^(١) انتهى.

تَعْلِيلٌ

فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ (قَوَاعِدُ النُّبُوَّةِ) تُبَيِّنُ الصَّدِيقَةُ ﷺ الْمَقَامَ الثَّانِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَبِهِ تُثَبِّتُ أَنَّ الْإِمَامَ بِمُثَابَةِ الْقَاعِدَةِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا بَنِيَانُ النُّبُوَّةِ، وَتُكْشَفُ بِذَلِكَ عَنْ عَظَمِ التَّضْحِيَّاتِ الَّتِي قَدِمَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لِإِرْسَاءِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَتَشْيِيدِ رِسَالَةِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرْتُ شَطْرًا مِنْ ذَلِكَ فِي خُطْبَتِهَا الْفَدَكِيَّةِ،

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١: ١٦٢.

بقولها ﷺ: «...كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ، أَطْفَأَهَا اللَّهُ، أَوْ نَجَّمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، أَوْ فَعَرَتْ فَاعِزَّةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلَا يَنْكِفِي حَتَّى يَطَأَ جَنَاحَهَا بِأَخْخَصِهِ وَيُخَيِّدَ لَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُسْمَرًا نَاصِحًا، مُجِدًّا كَادِحًا، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ...»^(١).

(وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ الْأَمِينِ).

وهذه هي الصفة الثالثة التي وصفت ﷺ بها أمير المؤمنين علياً.

معنى قولها ﷺ: (مَهْبِطُ)

الْمَهْبِطُ: اسم مكان، وهو مكان الهبوط، والهبوط: النزول والانهيار. والهُبُوطُ نَقِيضُ الصُّعُودِ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «هَبَطَ الْمَاءُ وَغَيْرُهُ هَبْطًا - مِنْ بَابِ ضَرَبَ - نَزَلَ... وَهَبَطْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ: انْتَقَلْتُ، وَهَبَطْتُ الْوَادِي هُبُوطًا: نَزَلْتُه، وَمَكَّةُ: مَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَرِزَانُ مَسْجِدٍ، وَالْهُبُوطُ - مِثْلُ رَسُولٍ - الْحُدُورُ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(٣).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا مَا سَأَلْتُمْ﴾^(٤).

(١) الاختِجَاجُ عَلَى أَهْلِ اللَّجَاجِ، الشَّيْخُ الطَّبْرِيزِيُّ ١: ١٠١.

(٢) البَصَائِحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُومِيُّ ص: ٦٣٣.

(٣) البقرة: ٣٦.

(٤) البقرة: ٦١.

وقال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾^(١).

(الْوَحْيُ الْأَمِينُ).

اِخْتِلَافُ النَّسَخِ

في نسخة «الاحتجاج» و«الأمالي»: (الرُّوحُ الْأَمِينُ)، وهو الموافق لما في القرآن الكريم، قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٢). والمراد به جبرئيل عليه السلام.

تَوْضِيحٌ

وعليه فيكون وصفُ (الأمين) بناءً على نسخة «معاني الأخبار» راجع إلى (مهبط)، وعليه يكون الوصف بـ(الأمين) راجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كانت الزهراء عليها السلام في سياق تعداد وذكر أوصافه عليه السلام. وأما بناءً على نسختي «الاحتجاج» و«الأمالي» يكون وصف (الأمين) راجع إلى الروح، المراد به جبرئيل عليه السلام. كما يمكن أن يكون الوصف بـ(الأمين) راجع لـ(مهبط)، إلا أنه لقاعدة الرجوع للأقرب يترجح رجوع الوصف لـ(الروح)، وأما بناءً على نسخة «معاني الأخبار» (الوحي الأمين) يتعين رجوع الوصف بـ(الأمين) إلى (مهبط)، وذلك باعتبار أن وصف (الوحي) بـ(الأمين) وإن كان ممكناً، إلا أنه يحتاج إلى مؤنة، وأما رجوعه إلى (مهبط) المراد به أمير المؤمنين عليه السلام فهو غير محتاج إلى مؤنة.

(١) هود: ٤٨.

(٢) الشعراء: ١٩٣.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها ﷺ: (الْوَحْيُ)

ذكر علماء التفسير معاني كثيرة للوحي، وتفصيلات متعددة، ليس هنا محلها، ونقتصر على ذكر موضع الحاجة منها.

الوحي في اللغة على أقسام ذكرها علماء اللغة.

قال الجوهري في الصحاح: «الْوَحْيُ: الْكِتَابُ، وَجَمْعُهُ وَحْيٌ. وَالْوَحْيُ أَيْضًا: الْإِشَارَةُ، وَالْكِتَابَةُ، وَالرِّسَالَةُ، وَالْإِلْهَامُ، وَالْكَلَامُ الْحَقِّيُّ، وَكُلُّ مَا أُلْقِيَتْهُ إِلَى غَيْرِكَ. يُقَالُ: وَحَيْتُ إِلَيْهِ الْكَلَامُ وَأَوْحَيْتُ، وَهُوَ أَنْ تُكَلِّمَهُ بِكَلَامٍ تُخْفِيهِ.»^(١) انتهى.

وقال الطريحي في مجمع البحرين: «قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٢)، أي ألهمها وقذف في قلبها وعلمها على وجه لا سبيل لأحد على الوقوف ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾ هي المفسرة، لأن الإيحاء فيه معنى القول، وقرئ يَبُوءًا بكسر الباء في جميع القرآن، كذا ذكره الشيخ أبو علي.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾^(٣) الضمير لله، وإن لم يجر له ذكر، لعدم الالتباس فيه، ﴿مَا أَوْحَى﴾ تفخيم للوحي، و«ما» مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة. قيل: أَوْحَى إِلَيْهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَدْخُلَهَا، وَعَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتُكَ. وقيل: معنى ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ من «الْوَحْيِ» الإشارة، لقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٤). وقيل: معنى أَوْحَى إِلَيْهِمْ:

(١) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢: ٢٧٠.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) النجم: ١٠.

(٤) مريم: ١١.

أوما ورمز، وقيل: كَتَبَ لَهُمْ بَيِّنَاتٍ فِي الْأَرْضِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾^(١) أي ألقيت في قلوبهم، وقيل: أمرتهم، ومثله.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾^(٢) وقيل: هي وَحْيُ إِعْلَامٍ لَا إلهَام، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وأصله في لغة العرب إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وَحْيًا. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾^(٣) أي ليوستوسون لأوليائهم من الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٤). قال المفسر: نصب على أحد وجهين: إما أن يكون مفعول ﴿جَعَلْنَا﴾ و﴿شَيَاطِينَ﴾ بدل منه، ومفسر له و﴿عَدُوًّا﴾ بمعنى أعداء، وإما أن يكون مفعولاً ثانياً على تقدير جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء. و﴿غُرُورًا﴾ نصب على المصدر، من معنى الفعل المتقدم، لأن في معنى الزخرف من القول معنى الغرور، فكأنه قال: يغرون غروراً، وقوله: ﴿يُوحِي﴾ أي يوسوس ويلقي خفية ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، وقوله: ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ أي المزين الذين يستحسن ظاهراً ولا حقيقة له ولا أصل، والمراد بشياطين الإنس والجن مردة الكفار من الفريقين، وقيل: شَيَاطِينُ الْإِنْسِ الَّذِينَ يَعْرُونَهُمْ وَشَيَاطِينُ الْجِنِّ الَّذِينَ مِنْ وَلَدِ

(١) المائدة: ١١١.

(٢) القصص: ٧.

(٣) الأنعام: ١٢١.

(٤) الأنعام: ١١٢.

إِبْلِيسَ. وَعَنْ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ إِبْلِيسَ جَعَلَ جُنْدَهُ قَرِيقَيْنِ فَبَعَثَ قَرِيقاً مِنْهُمْ إِلَى الْإِنْسِ وَقَرِيقاً إِلَى الْحِنِّ، فَشَيَاطِينُ الْحِنِّ وَالْإِنْسِ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَيَلْتَقِي شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَشَيَاطِينُ الْحِنِّ فِي كُلِّ حِينٍ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَضَلَلْتَ صَاحِبِي بِكَذَا فَأُضِلُّ صَاحِبَكَ بِمِثْلِهَا، فَذَلِكَ مَعْنَى ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾. وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيُلْقِي إِلَيْهِ مَا يُغْوِي بِهِ الْخَلْقَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ».

وَالْوَحْيُ: مصدر وَحَى إِلَيْهِ يَحِي - من باب وَعَدَ - وَأَوْحَى لَهُ - بِالْأَلْف - مثله، وجمعه «وُحْيٌ»، والأصل فعول، مثل فلوس، ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقي إلى الأنبياء من عند الله.

وفي القاموس: الْوَحْيُ الإِشَارَةُ وَالكِتَابَةُ وَالْمَكْتُوبُ وَالرِّسَالَةُ وَالْإِلْهَامُ وَالْكَلَامُ الْخَفِيُّ، وكل ما أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ. ^(١) انتهى.

وعليه فيكون مرادها عليه السلام من (مهبط الوحي)، في وصف أمير المؤمنين عليه السلام، مكان هبوط الوحي، ومن ذلك تُظهر ارتباط أمير المؤمنين عليه السلام بالوحي الإلهي.

وقد ورد تفصيل الوحي في بعض آيات القرآن الكريم: ومنها في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ﴾ ^(٢).

معنى قولها عليه السلام: (الْأَمِينُ)

الْأَمِينُ: وزن فَعِيل، من الْأَمْنِ.

(١) مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ التَّيَرَيْنِ، الطَّرِيجِي ١: ٤٣٠.

(٢) الشورى: ٥١.

قال الفيومي في المصباح المنير: «الأصل أن يُستعمل في سُكون القلب، يتعدى بنفسه وبالحرف ويُعدى إلى ثانٍ بالهمزة، فيقال: آمنته منه وأمنته عليه - بالكسر - وأثمنتته عليه، فهو أمينٌ. وأمن البلد: اطمأنَّ به أهله، فهو آمنٌ وأمينٌ. وهو مأمونُ العائلة: أي ليس له غورٌ ولا مكرٌ يخشى. وآمنت الأسير - بالمد -: أعطيته الأمانَ فأمن هو - بالكسر - وآمنت بالله إيماناً: أسلمتُ له. وأمن - بالكسر - أمانةً فهو أمينٌ. ثم أُستعمل المصدرُ في الأغنياء مجازاً، فقيل: الوديعَةُ أمانةٌ ونحوه، والجمعُ أماناتٌ.»^(١) انتهى.

وقد تكرر الوصف بالأمين في القرآن الكريم في مواضع كثيرة:
منها قوله تعالى في وصف الروح المراد به جبرئيل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٢).

ومنها قوله سبحانه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(٣)، على لسان جمع من الأنبياء عليهم السلام في خطابهم لقومهم.

ومنها قوله جلَّ شأنه: ﴿وَهَذَا بَلَدٌ الْأَمِينُ﴾^(٤)، في القسم بمكة المكرمة، حيث وصفها بـ (البلد الأمين)، أي الآمن، وغير ذلك من الآيات الكريمة.

وقد ورد وصف النبي الأكرم ﷺ بـ (الصادق الأمين)، وكذلك ورد هذا الوصف في حق الأئمة عليهم السلام، في كثير من النصوص.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ص: ٢٤.

(٢) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) الشعراء: ١٢٥ - ١٤٣ - ١٦٢. الدخان: ١٨.

(٤) التين: ٣.

تَعْلِيلٌ

تُبَيِّنُ الصَّدِيقَةُ الْكُبْرَى عليها السلام في هذه الفقرة من كلامها المقامَ الثالثَ من المقامات التي وَصَفَتْ بها أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام في هذا المقطع، وهو وصفه بكونه (مَهْبِطُ الْوَحْيِ الْأَمِينِ)، وهذا المعنى وردت فيه نصوص كثيرة دَلَّتْ على أَنَّ الملائكة تهبط في بيوتهم.

وقد عَقَدَ ثَقَّةُ الْإِسْلَامِ الْكَلْبَنِيُّ رحمته الله في «أصول الكافي» باباً أَسْمَاهُ: [بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بُيُوتَهُمْ وَتَطَأُ بُسُطَهُمْ وَتَأْتِيهِمْ بِالْأَخْبَارِ] ^(١) روى فيه مجموعة من الروايات:

منها ما رواه بإسناده عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ: «يَا حُسَيْنُ - وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى مَسَاوِرَ ^(٢) فِي الْبَيْتِ - مَسَاوِرُ طَالَ مَا أَتَيْتَ عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ، وَرُبَّمَا التَّقَطُّنَا مِنْ رَغَبِهَا» ^(٣).

ومثله الشيخ الصفار رحمته الله في كتابه «بصائر الدرجات».

منها: ما رواه بإسناده عَنْ أَبِي الْيَسَعِ قَالَ: دَخَلَ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَبْلُغُنَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَاللَّهِ لَتَنْزِلُ عَلَيْنَا تَطَأُ فَرَشَنَا أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ

(١) أصول الكافي، الشيخ الكليني ١: ٣٩٣.

(٢) المِسْوَر - كَمِثْر - متكأ من آدم، كالمسورة.

(٣) أصول الكافي، الشيخ الكليني ١: ٣٩٣.

الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(١).

(وَالطَّيِّبِينَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

هذه هي الصفة الرابعة التي وصفت الصديقة عليها السلام بها أمير المؤمنين عليه السلام.

معنى قولها عليها السلام: (الطَّيِّبِينَ)

شَرَحُ الْمُفْرَدَاتِ

الطَّيِّبِينَ: الْفَطِنُ الْحَازِقُ.

قال الجوهري في الصحاح: «الطَّبْنُ - بالتحريك -: الْفِطْنَةُ. يُقَالُ: طَبِنَ لَهُ يَطْبَنُ طَبْنًا. وكذلك طَبَنَ لَهُ - بالفتح - يَطْبِنُ طَبَانَةً وَطَبَانِيَّةً وَطُبُونَةً، فَهُوَ طَبِنٌ وَطَابِنٌ، أَيُّ فَطِنٌ حَازِقٌ»^(٢). انتهى.

تَعْلِيلٌ

في هذه الفقرة من كلامها عليها السلام، تُبَيِّنُ مقامَ أمير المؤمنين عليه السلام في إدارة أمور الدنيا وما يرتبط بالدين، فهو الذي لا تهجم عليه اللوَابِس، كما ورد ذلك في الحديث «الْعَالَمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللُّوَابِسُ»^(٣)، كيف وهو باب مدينة علم رسول الله ﷺ، وهو القائل في بيان مدى حنكته وقوة فهمه لمجريات الأمور

(١) بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ، الشَّيْخُ الصَّفَّارُ ١: ٩١.

(٢) بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ، الشَّيْخُ الصَّفَّارُ ١: ٩١.

(٣) الصَّحَاحُ: «تَابُجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ١: ٤١٨.

(٤) أَصُولُ الْكَافِي، الشَّيْخُ الْكَلِينِيُّ ١: ٢٦.

ومتقلبات الدهور: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ»^(١).

تَوْضِيحٌ

هذه الفقرات الأربع:

١- (رَوَاسِي الرِّسَالَةِ).

٢- (قَوَاعِدِ التَّبَوُّةِ).

٣- (مَهْبِطِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ).

٤- (الطَّيِّبِينَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ).

بأجمعها مجرورة بـ (عَنْ) في فقرة (زَحَزَحُوهَا عَنْ) وهذه الفقرات متعلقة بقولها: (زَحَزَحُوهَا). فهذه الجمل أوصاف لمن زَحَزَحَتْ عنه الخلافة، وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

معنى قولها عليه السلام: «أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ».

تَوْضِيحٌ إِجْمَالِيٌّ

في ختام هذا المقطع استشهدت الصديقة عليها السلام، بهذه الجملة الواردة في آخر الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢). والمُشَارُ إليه

(١) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، فِي خُطْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ، ص: ٣١٨.

(٢) الزمر: ١٥.

﴿ذَلِكَ﴾ في الآية الكريمة، هو زحزحة الخلافة عن مكانها الصحيح، المعين والمنصوص عليه من قبل الله جلَّ شأنه. وأَيُّ خُسران أكبر من ذلك!!!

وقد ورد الوصف بـ(الخسران المبين) في آيتين أخريتين من القرآن الكريم: أحدهما: في حق من يعبد الله على حرف، وسرعان ما ينقلب على وجهه لأدنى فتنة واختبار، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١). وفي هذه الآية الكريمة دلالة ارتباط بين المعنى المراد في الآية الكريمة، وواقع الأمة في المعنى الذي أرادته الزهراء عليها السلام باستشهادها بهذه الجملة من الآية الكريمة.

وثانيهما: في مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ سبحانه، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾^(٢).

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

﴿أَلَا﴾ الواردة في صدر الآية الكريمة: أداة تنبيه وتحقق، وسيأتي بيانها مفصلاً في شرح المقطع السابع، إن شاء الله تعالى.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة راجع إلى ما ورد في صدر كلام الصديقة عليها السلام، وهو زحزحة الأمر عن أمير المؤمنين عليه السلام، أي: إن زحزحة الأمر هو الخسران المبين. ﴿الْخُسْرَانُ﴾: من الخسارة.

(١) الحج: ١١.

(٢) النساء: ١١٩.

قال الجوهري في الصحاح: «خَسِرَ في البَيْعِ خُسْرًا وَخُسْرَانًا. وَخَسَرْتُ الشَّيْءَ - بِالْفَتْحِ - وَأَخَسَرْتُهُ: نَقَضْتُهُ. وقوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، قال الأخفش: واحدهم الأَخْسَرُ. والتَّخْسِيرُ: الإِهْلَاكُ. وَالْخَسَارَ وَالْخَسَارَةَ وَالْخَيْسَرَى: الضَّلَالُ وَالْهَلَاكُ.»^(١) انتهى.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «قَالَ اللَّيْثُ: الْخُسْرُ: التُّقْصَانُ، وَالْخُسْرَانُ كَذَلِكَ، وَالْفِعْلُ: خَسِرَ يَخْسَرُ خُسْرَانًا. وَيُقَالُ: كَلَّتْهُ وَوَزَّتْهُ فَأَخَسَرْتُهُ، أَي: نَقَصْتُهُ. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ لِيُنْفِضَهُمْ مِنْكُمْ فَبَدَلُوا خُسْرًا﴾. قال الزجاج: أَي: يَنْقُصُونَ فِي الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ... وَيُقَالُ: أَخَسَرَ الرَّجُلُ - إِذَا وَافَقَ خُسْرًا فِي تِجَارَتِهِ... وقال الليث: الْخَاسِرُ: الَّذِي وُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ، وَمَصْدَرُهُ: الْخَسَارَةُ وَالْخُسْرُ، وَصَفَقَ صَفْقَةً خَاسِرَةً، أَي: غَيْرَ مَرْجُحَةٍ، وَكَرَّرَ كُرَّةً خَاسِرَةً، أَي: غَيْرَ نَافِعَةٍ. وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾. قال الفراء: لَفِيَ عِقَابُهُ بِذَنْبِهِ، وَأَنْ يَخْسِرَ أَهْلَهُ وَمَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾... وقال ابن الأعرابي - فِي قَوْلِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا زَادُواهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، أَي: غَيْرَ إِبْعَادٍ مِنَ الْخَيْرِ.»^(٢) انتهى.

﴿الْمُبِينُ﴾: أَي الْوَاضِحُ الْبَيِّنُ.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «يُقَالُ: بَانَ الْحَقُّ يَبِينُ بَيَانًا؛ فَهُوَ بَائِنٌ. وَأَبَانٌ يَبِينُ إِبَانَةً؛ فَهُوَ مُبِينٌ، بِمَعْنَاهُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَمْدُ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾. وَقِيلَ: ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هُوَ مُبِينٌ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ

(١) الصَّحَاحُ: تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، الْجَوْهَرِيُّ ٢: ٦٤٥.

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ٧: ١٦٢.

آيات الكتاب المبين». يقال: بَانَ الشيء وأَبَانَ، بمعنى واحد. قال: ويقال: بَانَ الشيء، وأَبْنَتْهُ. فمعنى ﴿مُبِين﴾ مُبَيَّن، أي إِنَّهُ مُبِين خَيْرَهُ وبركته، ومُبِين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ومُبِين أَنَّ نبوة النبي صلى الله عليه وسلم حق، ومُبِين قصص الأنبياء. قلت: ويكون (المُستبين) أيضاً، بمعنى ﴿المُبِين﴾. يقال: بَانَ الشيء، وَبَيَّن، وَأَبَانَ، واستبان، بمعنى واحد؛ ومنه قوله تعالى: ﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء وتشديدها، بمعنى مُتَبَيِّنَات. ^(١) انتهى.

وعليه فيكون مرادها ﷺ في هذه الفقرة: أَنَّ ما فُعِلَ من زحزحة أمير المؤمنين ﷺ عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله ﷺ وهو تولى زمام أمور الأمة، خسارة واضحة بيّنة ظاهرة، وأي خسارة أعظم من استبدال من عيّنه ونصّ عليه الله سبحانه وتعالى بمن عيّنه البشر بالحيلة والغلبة وانتهاز الفرصة.

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ ^(٢) !!

وهناك بحوث أخرى مرتبطة بالمقام أعرضنا عنها رعاية للاختصار.

بسم الله

(١) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٥ : ٤٩٥.

(٢) البقرة: ٦١.

المقطع الرابع

((وَمَا نَقُمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟! نَقُمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ: نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْئِهِ، وَنَكَالَ وَقَعَتِهِ، وَتَنَمُّرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ..))

اِخْتِلَافُ النُّسخِ

في نسخة «الاحتجاج» اختلاف يسير بالتقديم والتأخير في بعض الفقرات، مع زيادة هذه الفقرة: (وَقَلَّةٌ مُبَالَاتِهِ بِحَتْفِهِ) بعد فقرة: (نَكِيرَ سَيْفِهِ)، وكذلك في فقرة (وَشِدَّةَ وَطْئِهِ)، بدل (وَطْئِهِ) قال: (وَطْئَتِيهِ). أمّا في نسخة «الأمالي» فنقل الفقرة بشكل مختصر: (مَا نَقُمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ إِلَّا نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَنَكَالَ وَقَعِهِ، وَتَنَمُّرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ). وحذف منه هذه الفقرة: (وَشِدَّةَ وَطْئِهِ). فجعل هذا المقطع بمثابة جواب للمقطع الثالث، والذي ذكره هكذا: (وَيُنْجِئُهُمْ أَنْ يَزْحَزُحُوهَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ!). فبناءً على نسخة «الأمالي»، تكون (ما) في بداية المقطع اسم موصول، بمعنى (الذي)، أي: الذي نقوموا منه هو نكير سيفه... الخ.

تَوْضِيحٌ إِيْجَمَالِيٌّ

كلام الصديقة الكبرى عليها السلام في هذا المقطع مرتبط بالمقطع المتقدم، الذي افتتحته عليها السلام بقولها: (وَيُنْجِئُهُمْ أَنْ يَزْحَزُحُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ...)، فيكون هذا المقطع الذي افتتحته بالاستفهام: (وَمَا نَقُمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟!...) بمثابة الجواب لما

فعلوه من زحزحة أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى، وأنّ الداعي لارتكابهم هذه الجريمة، هو النعمة على أمير المؤمنين عليه السلام.

ثُمَّ تَبَيَّنَ عليه السلام سَبَبُ النِّعْمَةِ فِي أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

- ١- (نَكِيرَ سَيْفِهِ).
 - ٢- (شِدَّةَ وَطْئِهِ).
 - ٣- (نَكَالَ وَقَعْتِهِ).
 - ٤- (تَنْمُرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).
- وسياأتي شرح هذه الفقرات تباعاً إن شاء الله تعالى.

شَرَحُ الْمَفْرَدَاتِ

معنى قولها عليه السلام: (وَمَا نَقَمُوا)

(مَا) حرف استفهام، وهي هنا استفهام استنكاري، وجوابه ما يأتي من قولها عليه السلام: (نَقَمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ: نَكِيرَ سَيْفِهِ... الخ).

والتَّعْمَةُ: المكافأة بالعقوبة.

قال الجوهري في الصحاح: «نَقَمْتُ عَلَى الرَّجُلِ، أَنْقَمُ - بالكسر - فَأَنَا نَاقِمٌ: إِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ. وَنَقَمْتُ الْأَمْرَ وَنَقِمْتُهُ: إِذَا كَرِهْتَهُ، وَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ: أَيَّ عَاقَبَهُ. وَالْأَسْمُ مِنْهُ: التَّعْمَةُ. وَالْجَمْعُ: نَقِمَاتٌ وَنَقِمٌ»^(١) انتهى.

(١) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ٥ : ٢٠٤٥.

ومنه قوله تعالى بمعنى الجزاء والعقاب: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(١).

وبمعنى الكراهة في قوله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢). أي وما كرهوا.

معنى قولها عليه السلام: (مِنْ أَبِي الْحَسَنِ)

أَبُو الْحَسَنِ: كنية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. والفقرة جار ومجرور متعلق بقولها عليه السلام: (وَمَا نَقَمُوا).

تَعْلِيلٌ

بداية هذا المقطع استفهام استنكاري وتعجُّبي من الصديقة الكبرى عليها السلام. وبهذا المقطع يتّضح الربط بين ما تقدّم من كلامها عليها السلام وبين ما يأتي. كما يظهر من هذا المقطع وما بعده أنّ المرتكز في ذهن السامع والمخاطب، هو أنّ ما تُريده الزهراء عليها السلام هو ما يرتبط بأمر الخلافة وإبعاد أمير المؤمنين عليه السلام. لذلك قالت مستنكرة متعجبة!! (وَمَا نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟!) حتى يقوموا بهذه الأعمال القبيحة، بإبعاد وزحزحة أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما أنّها عليها السلام في هذا المقطع وما بعده تُبيّن سبب هذه النعمة التي حصلت منهم تجاه أمير المؤمنين عليه السلام ظلماً وعدواناً وبغير حق.

(١) المائدة: ٩٥ .

(٢) التوبة: ٧٤ .

معنى قولها ﷺ: (تَقْمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ..)

في هذه الفقرة تبدأ ﷺ بجواب الاستفهام الاستنكاري المتقدم: (وَمَا تَقْمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟) والجواب: (تَقْمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ... الخ).

وتقدم بيان معنى (التَقَمَ) في الفقرة الاستفهامية السابقة.

وهذه الفقرة من كلامها ﷺ متضمنة للقسم بلفظ الجلالة، وهذا ما يؤكد أنَّ سبب النعمة على أمير المؤمنين ﷺ هو ما سطرته من الأمور الأربعة في هذا المقطع.

ثم بدأت ﷺ بذكر الأمور الأربعة في هذا المقطع، كأسباب للنعمة على أمير المؤمنين ﷺ.

معنى قولها ﷺ: (نَكِيرَ سَيِّفِهِ)

هذا هو الأمر الأول من أسباب النعمة على أمير المؤمنين ﷺ.

شَرَمُ الْمُفْرَدَاتِ

والتَّكْيِيرُ: التَّغْيِيرُ عَنْ حَالٍ يَسْرُكُ إِلَى حَالٍ تَكْرَهَهَا، فَتُنَكِّرُهَا.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «قَالَ اللَّيْثُ: التَّكْرُ: الدَّهَاءُ، وَالتَّكْرُ: نَعْتُ لِلأمر الشديد، والرجل الدَّاهِي، تقول: فَعَلَهُ مِنْ نُكْرِهِ وَنَكَارَتِهِ، وَالتَّكْرَةُ: إِنْكَارُكَ الشَّيْءِ، وَهُوَ تَقْيِضُ الْمَعْرِفِ. وَيُقَالُ: أَنْكَرْتُ الشَّيْءَ وَأَنَا أَنْكِرُهُ إِنْكَاراً وَنَكِرْتُهُ: مثله. وقال الأعشى:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

وقال الله جلّ وعزّ: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^(١)... وَقَالَ اللَّيْثُ: التَّنَكَّرُ: التَّغَيَّرُ عَنْ حَالٍ تَسْرُكَ إِلَى حَالٍ تَكْرَهُهَا. والتَّكْيَرُ: اسْمٌ لِلإِنْكَارِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّغْيِيرُ. قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^(٢)، أي: إِنْكَارِي.^(٣) انتهى.

بَحْثٌ بِلَاغِيٌّ

والمراد بنكير سيفه: أنّه ﷺ كان لا يَسْلُ سيفه إلا لتغيير المنكرات. ونسبة النكير إلى السيف، بقولها: (نَكِيرَ سَيْفِهِ)، باعتبار أنّ النكير الذي يقع عليهم من أمير المؤمنين ﷺ بواسطة السيف عادة، لأنّه أداة الجهاد غالباً. فإنّ سيف أمير المؤمنين ﷺ نال شهرةً بسبب نسبته إليه، وهذا المعنى فيه بيان لجهاد أمير المؤمنين ﷺ، وتذكير للقوم بأن هذا الدين إنما شُيّد بجهاد علي بن أبي طالب ﷺ، وهذا سيفه شاهد على ذلك، هذا السيف الذي شهد في حقه النداء الإلهي «لَا سَيْفَ إِلَّا دُونُ الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلَيَّ».

فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي، بإسناده، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «انْهَزَمَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَحَمَلَ فَضْرَبَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: جَبْرِئِيلُ ﷺ: إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْمُوَسَّاسَةُ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، فَقَالَ جَبْرِئِيلُ ﷺ: وَأَنَا مِنْكُمْ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَبْرِئِيلَ ﷺ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا

(١) هود: ٧٠.

(٢) الملوك: ١٨.

(٣) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِي ١٠ : ١٩١.

سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ^(١).

وقد بلغ ذلك من الشهرة بمكان حتى نُظِمَتْ فيه الأشعار، ومن نظم في ذلك السيد الحميري:

وَلَهُ بَلَاءٌ يَوْمَ أُخِذِ صَالِحٌ وَالْمُشْرِفِيَّةُ تَأْخُذُ الْأَذْبَارَا
إِذْ جَاءَ جَبْرِيلُ فَنَادَى مُعَلِّناً فِي الْمُسْلِمِينَ وَأَسْمَعَ الْأَبْرَارَا
لَا سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ إِنَّ عَدَدَتْ فِخَارَا^(٢)

تعليل

إنهم إنما نعموا على أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنه فَعَلَ فيهم ما يكرهونه ويُنكرونه. وفي هذا الفقرة جواب للاستفهام السابق بقولها: (وَمَا نَقُمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ ١٩). وتؤكد الصديقة «روحي فداها» هذا الجواب بتضمينه بالقسم (وَاللَّهِ)، وهذا له معاني تأكيدية، حيث إنها لا يمكن أن يصدر منها القسم على أمر محتمل فضلاً عن أن يكون غير صحيح، كيف وهي من بيت الوحي والنبوة ودائرة قطب الإمامة.

وقد تقدم بيان أول الأمور الأربعة، التي هي سَبَبٌ لنقمتهم على أمير المؤمنين عليه السلام، وهو: (نَكِيرَ سَيْفِهِ).

معنى قولها عليها السلام: (وَشِدَّةَ وَطْئِهِ)

وهذا هو الأمر الثاني من أسباب النعمة على أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) رَوْضَةُ الْكَافِي، الشَّيْخُ الْكَلْبِيُّ، ٨ : ١١٠.

(٢) مَنَاقِبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ، ابْنُ شَهْرَآشُوبٍ، ٣ : ١٢٧.

اِخْتِلَافُ النَّسَخِ

تقدم بيان اختلاف النسخ في هذه الفقرة، حيث لم يذكرها في «الأمالي»، وذكرها في «الإحتجاج» بقوله «وَشِدَّةٌ وَطَئْتِهِ» بدل «وَطَئِهِ»، ولا اختلاف ظاهر في المعنى.

وَالْوِطَاءُ: الْأَخْذَةُ الشديدة والضغطه، وأصل الوِطَاءِ: الدوس بالقدم، ويطلق على الغزو والقتل، لأن من يطأ الشيء برجليه، فقد استقصى في هلاكه وإهانتة. قال الأزهري في تهذيب اللغة: «الْوِطَاءُ بِالْقَدَمِ وَالْقَوَائِمِ، تَقُولُ: وَطَأْتُهُ بِقَدَمِي، إِذَا أَرَدْتَ بِهِ الْكَثْرَةَ. وَوِطَأْتُ لَكَ الْأَمْرَ، إِذَا هَيَأْتَهُ. وَوِطَأْتُ لَكَ الْفِرَاشَ، وَقَدْ وَطَوُ يَوْطُو وَطَاءً، وَالْوِطَاءُ بِالْحَيْلِ أَيْضاً. وَيَقَالُ: وَطِئْنَا الْعَدُوَّ وَطَاءً شَدِيدَةً. وَالْوِطَاءُ: الْأَخْذَةُ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ»، أَي خُذْهُمْ أَخْذاً شَدِيداً، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسَّيْنِ...»^(١) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطْشُوهَا﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَطُؤْنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾^(٣).

تَعْلِيْقُ

هذه الفقرة معطوفة على الفقرة السابقة (نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَشِدَّةٌ وَطَئِهِ). ومرادها عَلَيْهِ السَّلَام من شدة وطأته: بيان صلابته عَلَيْهِ السَّلَام في مواجهة الأبطال في سوح الوغى

(١) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٤ : ٤٩.

(٢) الْأَحْزَابُ: ٢٧.

(٣) التوبة: ١٢٠.

وميادين الحروب، وهذا الأمر قد اعترف به القاضي والداني، ولا يُنكر ذلك إلا مكابر معاند مناصب. فقد كان عليه السلام منذ باكورة الدعوة الإسلامية يواجه الأبطال في ميادين الحروب دفاعاً عن الدين وحفاظاً على الإسلام والمسلمين، وما خاض المسلمون غزوة جهاد في سبيل الله إلا وهو صاحب قدم سبق فيها، وهو الذي يصف نفسه مبيئاً شدةً وظفته بقوله: «...وَكَاَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَضْلَبَ عُوداً، وَالرَّوَاعِيَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالتَّائِبَاتِ الْعِذِيَّةَ أَقْوَى وَقُوداً وَأَبْطَأَ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَالصَّنَوِيذِ وَالذَّرَّاعِ مِنَ الْعَصِيدِ. وَاللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا وَلَيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أُمَكَّنْتَ الْفُرْصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَاجَهْتُ فِي أَنْ أَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ...»^(١).

معنى قولها عليها السلام: (وَنَكَالَ وَقَعْتِهِ)

وهذا هو الأمر الثالث من أسباب النعمة على أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي «الأمالي» (وقعِهِ) بدل (وقَعْتِهِ).

والتَّكَالُ: من التَّكَلَّى: وهو القيد واللجام.

قال الجوهري في صحاح اللغة: «النَّكْلُ - بالكسر -: القَيْدُ. والنَّكْلُ أيضاً: حديدَةُ اللِّجَامِ... وَرَجُلٌ نَكْلٌ وَنَكْلٌ، كَأَنَّهُ يُنَكَّلُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ. وَرَمَاهُ اللَّهُ بِنُكْلَةٍ، أَيِ بِمَا يُنَكَّلُهُ. وَيُقَالُ: نَكَّلَ بِهِ تَنْكِيلًا، إِذَا جَعَلَهُ نَكَالًا وَعِبْرَةً لِعَیْرِهِ. وَالْمَنْكَلُ: الَّذِي يُنَكَّلُ

(١) نهج البلاغة، في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، الشريف الرضي، ص: ٤١٦. وعنه في بحار الأنوار،

بالإنسان»^(١) انتهى.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «التَّكَالُ: اسمٌ لما جَعَلْتُهُ نَكَالاً لغيره، إذا رآه خَافَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُ... وَتَكَلْتُ بِقُلَانٍ إِذَا عَاقَبْتَهُ فِي جُرْمٍ أَجْرَمَهُ عُقُوبَةً تُنَكِّلُ غَيْرَهُ عَنْ ارتكَابِ مثله، وَأَنْكَلْتُ الرَّجُلَ عَنْ حَاجَتِهِ إِنْكَالاً: إِذَا دَفَعْتُهُ عَنْهَا، وَأَنْكَلْتُ الْحَجَرَ عَنْ مكانِهِ: إِذَا دَفَعْتُهُ عَنْهُ... وقال أبو إسحاق في قول الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾^(٢) أي جعلنا هذه الفَعْلَةَ عِبْرَةً يَنْكُلُ أَنْ يَفْعَلَ مثلها فَأَعْلَلَ فِينَالَهُ مثلُ الذي نَالَ اليهودَ والمعتدينَ فِي السَّبَبِ»^(٣) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾^(٤).

وقوله جلت قدرته: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا﴾^(٥).

وقوله سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾^(٦).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾^(٧).

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ٥ : ١٨٣٥.

(٢) البقرة: ٦٦.

(٣) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٠ : ٢٤٦.

(٤) المائدة: ٣٨.

(٥) المزمّل: ١٢.

(٦) النازعات: ٢٥.

(٧) النساء: ٨٤.

ومن هذا يتبين معنى النكال، وأنه إيقاع عقاب بشخص يستحقه، ويكون عبرة لغيره.

والوَقْعَةُ: صدمة الحرب.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «الْوَقْعَةُ في الحرب: صَدْمَةٌ بَعْدَ صَدْمَةٍ، والاسم الْوَقِيعَةُ، يقال: وَقَعَ بهم وَأَوْقَعَ بهم في الحرب. والمعنى واحد، وإذا وَقَعَ قوم بقوم قيل: وَأَقَعُوهم، وَأَوْقَعُوا بهم إيقاعاً، وَوَقَّاعُ العرب: أَيَّام حروبهم، والْوَقَّاعُ: الْمُوَاقَعَةُ في الحرب.»^(١) انتهى.

ومنه واقعة الجمل، وواقعة صفين، وواقعة الحرّة. وتطلق كلمة «واقعة» على كل حدث مهم، كواقعة الغدير، وواقعة التحكيم.

تعليل

في هذه الفقرة (نَكَالَ وَقَعِهِ)، تبين الصديقة عليها السلام، مقاماً لأمر المؤمنين عليهم السلام، وهو أنه بشدة وَقَعِهِ فيهم أثناء الحروب، كمن يوقع العقوبة بشخص يستحق تلك العقوبة، وليكون ذلك رادعاً لغيره، ليكون هذا الفعل منه في مقام العقاب الإلهي الدنيوي لمستحقي العقاب، ويكون ذلك العقاب رادعاً لمن تسول له نفسه التعدي على حرّامات الله جل شأنه.

معنى قولها عليها السلام: (وَتَنْمُرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ)

وهذا هو الأمر الرابع من أسباب النعمة على أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ٣ : ٣٥.

شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ

التَّنَمَّرُ: التنكر والتغير.

قال ابن منظور في لسان العرب: «تَنَمَّرَ لَهُ، أَي تَنَكَّرَ وَتَغَيَّرَ وَأَوَعَدَهُ؛ لِأَنَّ التَّيْمَرَ لَا تَلْقَاهُ أَبَدًا إِلَّا مُتَنَكِّرًا غَضْبَانًا، وَقَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ:

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا كَ مُنَازِلُ كَغَبٍّ وَنَهْدَا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَنَمَرُوا حَلَقًا وَقَدًا
أَي تَشَبَّهُوا بِالتَّيْمَرِ، لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِ الْقِدِّ وَالْحَدِيدِ.»^(١) انتهى.

فِي ذَاتِ اللَّهِ: أي في الله والله، بناءً على أَنَّ المراد بالذات هنا الحقيقة الإلهية، أو في الأمور والأحوال التي تتعلق بالله من دينه وشرعه وغير ذلك.

مَعْنَى الذَّاتِ

قال الكفوي في الكلبيات: «الذَّاتُ: هو ما يصلح أن يُعْلَمَ وَيُخْبَرَ عنه، منقول عن مؤنث (ذو) بمعنى: الصاحب، لِأَنَّ المعنى: القائم بنفسه، بالنسبة إلى ما يقوم به، يستحق الصاحبية والمالكية، ولما كان النقل لم يعبروا أَنَّ التاء للتأنيث عوضاً عن اللام المحذوفة، فأجروها مجرى الأسماء المستقلة، فقالوا: ذات قديم، وذات محدث. وقيل: التاء فيه كالتاء في الوقت والموت، فلا معنى لتوهم التأنيث.

وقد يطلق الذات ويراد به الحقيقة.

وقد يطلق ويراد به ما قام بذاته.

وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية، ويقابله الصفة بمعنى غير مستقل بالمفهومية.

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٥ : ٢٣٥.

وقد يستعمل استعمال النفس والشيء، فيجوز تأنيثه وتذكيره.

وقد يطلق الذات ويراد به الرضا.

وقد يراد بالذات مفهوم الشيء... ولفظ الذات وإن لم يرد به التوقيف، لكنه بمعنى ما ورد به التوقيف، وهو الشيء والنفس، إذ معنى النفس في حقه تعالى: الموجود الذي تقوم به الصفات، فكذا الذات، مع أنها يصدقان في اللغة على ما يقوم بنفسه، فتكون الإضافة في ذات الله من باب إضافة الشيء إلى نفسه: بدن الرجل، وكذا نفس الله، فلا حاجة إلى اعتبار المشاكلة في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ بعد ورود الشرع والكلام في إطلاق الأسامي التي لم ترد في الشرع لا في تعبير الصفات بها وهو ضروري... ويجوز إطلاق بعض الألفاظ مضافة، ولا يجوز بدون الإضافة، كقوله: رفيع الدرجات، وقاضي الحاجات، ولا يضاف الشيء إلى الله، فلا يقال: شيء الله؛ لأنه بمعنى الشائي في حقه تعالى، واسم الفاعل المتعدي لا يضاف إلى موصوفه، بخلاف قولنا: صفة الله، فإنه بمنزلة علم الله، فهو من باب إضافة التخصيص. والمختار في ذات الله عدم انحلاله إلى الماهية الكلية والتعيين، بل هو متعين بذاته، والموجود حقيقة هو الذات المتصفة بالقدرة والإرادة والعلم والحياة، فجميع الصفات المتعلقة مصححة بحصول الآثار من الذات كل بحسبه... وذات يوم: من قبيل إضافة المسمى إلى اسمه، أي مدة مصاحبة هذا الاسم ونظيره: خرجت ذات مرة، وذات ليلة، يقال: لاقيته ذات يوم، وذات ليلة، وذات مرة، وذات غداة، ولم يقولوا: ذات شهر، ولا ذات سنة. ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي بواطنها وخفاياها. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: أي حقيقة وصلكم، أو الحالة التي بينكم. ﴿وَذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أي جهته...^(١) انتهى.

(١) اللَّكِّيَّاتُ، الْكَفَوِي، ص: ٤٥٤.

وللفلاسفة وعلماء الكلام تفسيرات في معنى الذات، لا يناسب المقام الدخول في تفاصيلها.

وقد ورد النهي عن التكلم في حقيقة كيفية الذات المقدسة، وذلك لعجز العقل البشري عن إدراك حقيقة كنهها.

وقد عقد الشيخ الكليني في الكافي باباً أسماه: [النهي عن الكلام في الكيفية]، وذكر تحته مجموعة من الأخبار الدالة على ذلك.

منها: ما رواه بإسناده عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : «تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحْيِيراً».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ حَرِيزٍ : «تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ».

ومنها: ما رواه بإسناده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا»^(١).

وغيرها من النصوص.

تَعْلِيلٌ

إِنَّ الزَّهْرَاءَ عليها السلام فِي هَذَا الْمَقْطَعِ تَصِفُ وَاقِعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَأَنْ تَغْيِرَهُ إِنَّمَا هُوَ لِذَاتِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ، حَيْثُ إِنَّهُ فِيمَا يَرْتَبِطُ بِاللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَظْهَرُ فِي عِبَارَاتٍ وَرَدَتْ فِي زِيَارَاتِهِ عليه السلام :

منها: «..وَعَادَى أَعْدَاءَكَ، وَجَاهَدَ التَّائِكِينَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ عَنْ أَمْرِكَ، صَابِراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غَيْرَ مُذِيرٍ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، حَتَّى بَلَغَ فِي ذَلِكَ الرَّضَا»^(٢).

(١) أَصُولُ الْكَافِي، الشَّيْخُ الْكُلَيْنِيُّ ١ : ٩٢.

(٢) إِقْبَالُ الْأَعْمَالِ، ابْنُ ظَاوُوسَ ٢ : ٣٠٧. وَعَنْهُ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ، الْمَجْلِسِيُّ ٩٧ : ٣٧٢.

الخلاصة

والخلاصة: إنّ الصديقة عليها السلام بيّنت في هذا المقطع أموراً أربعة، كسبب لنقمة القوم على أمير المؤمنين عليه السلام:

١- (نَكِيرَ سَيْفِهِ).

٢- (وَشِدَّةَ وَطْئِهِ).

٣- (وَنَكَالَ وَقَعْتِهِ).

٤- (وَتَنَمَّرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ).

وجميع هذه الأمور - بالتوضيح الذي ذكرناه - تدلّ على بيان مقامات أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ هذه الأمور الصادرة منه إنّما صدرت لأجل الحفاظ على الدين وشرعية سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وذلك ما جعل الصديقة الكبرى عليها السلام تُبدي التعجب والاستنكار من فعل القوم بالنقمة وبزحزة أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

بسم الله

المقطع الخامس

((وَاللّٰهُ لَوْ تَكَاَفَوْا عَنْ زِمَامٍ نَّبَذَهُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ اِلَيْهِ. لَا عَتَلَقَهُ. وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا، لَا يَكْلُمُ خِشَاشُهُ، وَلَا يُتَعَتِّعُ رَاكِبُهُ. وَلَا وُرْدَهُمْ مِنْهَلًا، نَمِيرًا، فَضْفَاضًا، تَطْفَحُ ضَفَّتَاهُ. وَلَا صُدْرَهُمْ بِطَانًا. قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ)).

اختلاف النسَم

في «الاحتجاج» صدر المقطع هكذا: (وَتَاللّٰهُ لَوْ مَالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ اللَّائِحَةِ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ، لَرَدَّهُمْ اِلَيْهَا، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا) فهو يختلف عما في نسخة «معاني الأخبار»، نعم يوافقه فيما بعد ذلك، والاختلاف يسيراً في بعض الكلمات. نعم توجد بعض الزيادات في هذه الفقرة: (وَلَا وُرْدَهُمْ مِنْهَلًا نَمِيرًا صَافِيًا رَوِيًّا تَطْفَحُ ضَفَّتَاهُ وَلَا يَتَرْتَقُ جَانِبَاهُ) حيث توجد (صَافِيًا رَوِيًّا)، وكذلك زيادة هذه الفقرة (وَلَا يَتَرْتَقُ جَانِبَاهُ)، وكذلك في هذه الفقرة: (وَلَا صُدْرَهُمْ بِطَانًا، وَنَصَحَ لَهُمْ سَيْرًا وَإِغْلَانًا)، حيث نقصت منها فقرة (قد تحير بهم الري)، وزيادة (وَنَصَحَ لَهُمْ سَيْرًا وَإِغْلَانًا). بينما في نسخة «الأمالي» يوافق ما في «معاني الأخبار» في صدر المقطع، إلى قوله (سَيْرًا سُجْحًا) والاختلاف في بعض الكلمات يسيراً، وأما فيما بعد ذلك فلديه تقديم وتأخير لبعض المقاطع، وقد أشرنا فيما تقدم إلى ذلك. نعم في هذه الفقرة: (وَلَا صُدْرَهُمْ بِطَانًا قَدْ خَثَرُ بِهِمُ الرَّيُّ) ذكر (خَثَرُ) بدل (تَحَيَّرَ).

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تفتتح الصديقة الكبرى عليها السلام هذا المقطع بالقسم، مما يكشف عن التأكيد والجزم بحصول وتحقيق متعلق القسم، ثم تبين أنّ الأمة لو لم تنازع أمير المؤمنين عليه السلام الزمام الذي نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، لترتبت على ذلك نتائج أربع تصب بأجمعها في صالح الأمة الإسلامية، ولا ترجع بالنفع إلى شخص أمير المؤمنين عليه السلام.

شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها عليها السلام: (وَاللَّهِ لَوْ تَكَاَفَوْا عَنْ زِمَامٍ)

تقدم بيان القَسَم في المقاطع السابقة.

لَوْ: وهي تفيد الشرطية هنا، بمعنى السببية والمسببية، كقولك: «لو جائي لأكرمت»، فيكون المجيء سبب للإكرام المسبب. وفي هذا المقطع يكون التكاف عن الزمام بمثابة السبب لحصول المسبب المتكون من الأربعة أمور الآتية. التَّكَافُ: من الكَفَّ، المراد به كَفَّ الإنسان التي في يده، بمعنى رفع اليد عن الشيء، فمن رفع يده عن شيء فهو كَافٌ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «وَكَفَّ عَنِ الشَّيْءِ كَفًّا - مِنْ بَابِ قَتَلَ - تَرَكُهُ، وَكَفَفْتُهُ كَفًّا: مَنَعْتُهُ، فَكَفَّ»^(١) انتهى.

وهو هنا تَفَاعُلٌ، بمعنى أن يحصل من الجميع، أي كل واحد يكف الآخر عن ارتكاب الشيء.

الرِّمَامُ: الخيط الذي يشد في الشيء ليمسك به، ويقاد به.

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِيُّ ص: ٥٣٥.

قال الجوهري في صحاح اللغة: «الزِمَامُ: الخيط الذي يُشَدُّ في البُرَّةِ أو في الحِشاشِ ثم يُشَدُّ في طرفه المِقْوَدُ. وقد يسمَّى المِقْوَدُ زِمَاماً. وزِمَامُ النعل: ما يُشَدُّ فيه الشِسْعُ. تقول: زَمَمْتُ النعل. وزَمَمْتُ البعيرَ: خَطَمْتَهُ.»^(١) انتهى.

وقال الخليل في كتاب العين: «زَمَ: فَعَلَ من الزِّمَامِ، تقول: زَمَمْتُ الناقةَ أَرُمُّهَا زَمّاً. والزِّمَامُ: الخيط الذي في أنفها، والجمع: الأَزَمَةُ.»^(٢) انتهى.

معنى قولها ﷺ: (نَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ).

نَبَذَهُ: أي طرحه ودفعه.

قال ابن منظور في لسان العرب: «التَّبَذُ: طَرَحَكَ الشيءَ مِنْ يَدِكَ أَمَامَكَ أَوْ وَرَاءَكَ، نَبَذْتُ الشيءَ أَنْبَذُهُ نَبْذاً: إِذَا أَلْقَيْتُهُ مِنْ يَدِكَ، وَنَبَذْتُهُ - شُدَّ - لِلكَثْرَةِ، وَنَبَذْتُ الشيءَ أَيضاً: إِذَا رَمَيْتُهُ وَأَبْعَدْتُهُ، ومنه الحديث «فَنَبَذَ خَاتَمَهُ فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِمَهُمْ»، أي أَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَكُلُّ طَرَحٍ نَبْذٌ، نَبَذَهُ يَنْبِذُهُ نَبْذاً.»^(٣) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(٤).

وقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾^(٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾^(٦).

(١) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللُّغَةُ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٥ : ١٩٤٤.

(٢) العَيْنُ، الفَرَاهِيدِي ٧ : ٣٥٤.

(٣) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنظُور ٣ : ٥١١.

(٤) البقرة: ١٠١.

(٥) طه: ٩٦.

(٦) الصافات: ١٤٥.

تَحْلِيْقٌ

تبين الزهراء «روحي فداها» في هذا المقطع، بعد أن بدأته بالقسم (والله): أن رسول الله ﷺ دفع زمام الخلافة وقيادة الأمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا التسليم لزمام الأمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام إنما هو بأمر من الله جل شأنه، وقد دلّ عليه آيات كثيرة من كتاب الله المجيد، منها: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١).

وقد فاقت الأخبار حدّ التواتر عن رسول الله ﷺ، على أن ذلك الأمر هو من الله جلّت قدرته، وليس هنا محل البحث عن ذلك.

كما تبين عليه السلام أن الأمة لم يتكافوا عن التعرض لهذا الزمام وأخذوه بغير حق، وغير كفائة، بل عدواناً وظلماً. فهي (روحي فداها).

كما تُبين عليه السلام في هذا المقطع النتائج المترتبة على تسليم زمام الأمور إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وتذكر في هذا المقطع أربعة أمور:

١- (لا عتلقه)

وهذا هو الأمر الأول من الأمور الأربعة.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها عليه السلام: (لا عتلقه)

الاعتلاق: بمعنى تعلق به وأمسكه بشدة، كالمعلق بالشيء.

قال ابن منظور في لسان العرب: «عَلَقَ بالشيء عِلْقاً وَعَلَقَهُ: نَشَبَ فيه. قال جرير:

إِذَا عَلِقْتُ مُخَالِبُهُ بِقُرْنٍ أَصَابَ الْقَلْبَ أَوْ هَتَكَ الْحِجَابَا
...وقال أبو زيد:

إِذَا عَلِقْتُ قِرْنًا خَطَاطِيفُ كَفِّهِ رَأَى الْمَوْتَ رَأَى الْعَيْنِ أَسْوَدَ أَحْمَرَا
وهو عالقٌ به: أي نَشِبٌ فيه، وقال اللحياني: العَلَقُ: النَّشُوبُ في الشيء، يكون
في جبل أو أرض أو ما أشبهها... وَعَلِقَ الشيءُ غَلَقًا، وَعَلِقَ به عِلَاقَةً وَغُلُوقًا: لزمه،
... ويقال للأمر إذا وقع وثبت:
عَلِقْتُ مَعَالِقَهَا وَصَرَ الْجُنْدُبُ

وهو كما يقال: جَفَّ القلم فلا تَتَعَنَّ. قال ابن سيده: وفي المثل عَلِقْتُ مَعَالِقَهَا
وَصَرَ الْجُنْدُبُ، يضرب هذا للشيء تأخذه فلا تريد أن يُفْلِتَكَ. ^(١) انتهى.
أي أَنَّ الأُمَّة لو تكافوا عن الزمام وقيادة الأمة وتركوه لأُمير المؤمنين عليه السلام
لتعلّق به تعلقاً وأمسكه بقوة شديدة.

٢- (وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا، لَا يَكْلُمُ خِشَاشُهُ، وَلَا يُتَعَتِّعُ رَاكِبُهُ)

هذا هو الأمر الثاني من الأمور الأربعة، المترتبة على تسليم الزمام إلى أمير
المؤمنين عليه السلام.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها عليها السلام: (لَسَارَ بِهِمْ)

وَالسَّيْرُ: الذَّهَابُ نَهَارًا وَلَيْلًا.

قال الزُّبَيْدِيُّ في تاج العروس: «السَّيْرُ: الذَّهَابُ نَهَارًا وَلَيْلًا، وَأَمَّا السَّرَى فلا

يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا، كَالْمَسِيرِ. يقال: سَارَ الْقَوْمُ يَسِيرُونَ سَيْرًا وَمَسِيرًا: إِذَا امْتَدَّ بِهِم السَّيْرُ فِي جِهَةٍ تَوَجَّهُوا لَهَا، وَيُقَالُ: بَارَكَ اللَّهُ فِي مَسِيرِكَ، أَي سَيْرِكَ... وَالتَّسَارِ - بِالْفَتْحِ - يَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْكَثْرَةِ، وَهُوَ تَفْعَالٌ مِنَ السَّيْرِ، قَالَ:

فَأَلْقَيْتُ عَصَا التَّسَارِ مِنْهَا وَخَيَّمْتُ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ بَيْضَ مُحَافِرُهُ

... وَمِنَ الْمَجَازِ: السَّيْرَةُ - بِالْكَسْرِ -: السُّنَّةُ، وَقَدْ سَارَتْ وَسِيرَتْهَا. ^(١) انْتَهَى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ^(٣).

والضمير في هذه الفقرة (بِهِمْ) راجع للأمة.

معنى قولها **عَلَيْهَا**: (سُجْحًا)

السُّجْحُ: اللَّيْنُ السَّهْلُ.

قال الخليل في كتاب العين: «الإِسْجَاحُ: حُسْنُ الْعَفْوِ، كَقَوْلِهِمْ: مَلَكَتْ فَأَسْجَحَ.

ويقال: مَشَى مَشْيًا سَجِيحًا وَسُجْحًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

ذَرُّوا التَّخَاجِيَّ وَامْشُوا مِشْيَةً سُجْحًا إِنَّ الرِّجَالَ ذَوُوعَظٍ وَتَذْكِيرِ

ويقال: سَجَحَتِ الْحَمَامَةُ وَسَجَعَتْ... وَالسَّجْحُ: لَيْنُ الْحَدِّ، وَالتَّعْتُ: أَسْجَحَ

وَسَجَحَاءُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

وَحَدَّ كَمِرَآةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحَ ^(٤).

(١) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِي ١٢ : ١١٥.

(٢) يَوْسُفُ: ١٠٩.

(٣) سَبَأُ: ١٨.

(٤) الْعَيْنُ، الْفَرَاهِيدِي ٣ : ٧٠.

وقال ابن منظور في لسان العرب: «السَّجْحُ: لَيْنُ الْحَدِّ، وَحَدُّ أَسْجَحٍ: سَهْلٌ طَوِيلٌ قَلِيلُ اللَّحْمِ وَاسِعٌ، وَقَدْ سَجَحَ سَجْحًا وَسَجَاحَةً، وَخُلِقَ سَجِيحٌ: لَيِّنٌ سَهْلٌ، وَكَذَلِكَ الْمِشْيَةُ - بغير هاء - يقال: مَشَى فُلَانٌ مَشْيًا سُجْحًا وَسَجِيحًا، وَمِشْيَةُ سُجْحٍ، أَيْ سَهْلَةٍ. وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَالِ: وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مِشْيَةً سُجْحًا»^(١)...^(٢) انتهى.

معنى قولها ﷺ: (لَا يَكْلُمُ خِشَاشُهُ)

والكَلْمُ: الجرح.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «الكَلْمُ: الجَرْحُ، وَالْجَمْعُ: كُؤْمٌ، وَقَوْلُ: كَلَّمْتُهُ، وَأَنَا أَكَلِمُهُ كَلْمًا، وَأَنَا كَالِمٌ، وَهُوَ مَكْلُومٌ»^(٣) انتهى.

وقال الفيومي في المصباح المنير: «وَكَلَّمْتُهُ كَلْمًا - مِنْ بَابِ قَتَلَ -: جَرَحْتُهُ - وَمِنْ بَابِ صَرَبَ لُغَةً - ثُمَّ أَطْلَقَ الْمَصْدَرُ عَلَى الْجَرْحِ، وَجُمِعَ عَلَى كُؤْمٍ وَكَلَامٍ، مِثْلُ بَحْرِ وَبُحُورٍ وَبَحَارٍ، وَالتَّنْقِيلُ مُبَالَغَةٌ، وَرَجُلٌ كَلِيمٌ، وَالْجَمْعُ: كَلَمَى، مِثْلُ جَرِيحٍ وَجَرَحَى»^(٤) انتهى.

والخِشَاشُ: ما يجعل في أنف البعير من خَشَبٍ، ويشد به الزمام، ليكون أسرع لانقياده.

(١) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، فِي خُطْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ، ص: ٩٧. بِشَارَةُ الْمُصْطَفَى

لِشَيْعَةِ الْمُرْتَضَى، الظَّهْرِيُّ الْأَمَلِيُّ، ص: ١٤١، وَعَنْهُ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ، الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ ٣٢ : ٥٥٧.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٢ : ٤٧٥.

(٣) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٠ : ٢٦٤.

(٤) الْيَصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُومِيُّ ص: ٥٣٩.

قال الفيومي في المصباح المنير: «الْخِشَاشُ: عُودٌ يُجْعَلُ فِي عَظْمِ أَنْفِ الْبَعِيرِ، وَالْجَمْعُ: أَخِشَّةٌ، مِثْلُ: سِتَانٍ وَأَسِنَّةٍ، وَيُقَالُ فِي الْوَاحِدَةِ: خِشَاشَةٌ.»^(١) انتهى.

ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب له إلى معاوية عندما قال له بأنه بايع كالجمال المخشوش: «...وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَبَايَعُ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ وَلَا مُرْتَابًا بِبَيِّقِيهِ...»^(٢).

تَوْضِيحٌ

في هذه الفقرة وسابقتها تبين الصديقة عليها السلام مدى الدقة التي تمتاز بها قيادة أمير المؤمنين عليه السلام في السير بهذه الأمة نحو كل الكمالات الممكنة لها، بأنه يسير فيهم باللين والسهولة، وهذا ما أشارت إليه بقولها عليها السلام: (سَيَرًا سُجْحًا)، وكذلك الدقة في ضبط الأمور، وعدم الإفراط والتفريط، وهذا ما أشارت إليه بقولها عليها السلام: (لَا يَكْلُمُ خِشَاشَةً).

معنى قولها عليها السلام: (وَلَا يُتَتَعَّعُ رَاكِبُهُ)

وَالْتَتَعَّعَ: الإزعاج، وتقول: تَتَعَّعْتُ الرَّجُلَ، أَي أَفْلَقْتُهُ وَأَزَعَجْتُهُ.

قال الزبيدي في تاج العروس: «التَّعَّعَ، كَجَفَعَرٍ: الْفَافَاءُ عَنْ أَبِي عُمَرَ. قَالَ:

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ص: ١٦٩.

(٢) نهج البلاغة، في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، الشريف الرضي، ص: ٣٨٧، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٣٣: ٥٩.

وَوَقَعُوا فِي تَعَاتٍ، أَيُّ فِي أَرَاخِيفٍ وَتَخْلِيظٍ، نَقَلَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَتَعَتَّعَهُ: تَلَتَّلَهُ، بِأَنْ أَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ بِهِ وَعَنْفَ عَلَيْهِ، قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو. وَقِيلَ: تَعَتَّعَهُ: حَرَّكَهُ بَعْنَفٍ، عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ، أَوْ تَعَتَّعَهُ: أَكْرَهَهُ فِي الْأَمْرِ حَتَّى قَلِقَ، عَنْ ابْنِ فَارِيسٍ. وَفِي الصَّحَاحِ: تَعَتَّعْتُ الرَّجُلَ: إِذَا عَتَلْتَهُ وَأَقْلَقْتَهُ... قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَرُبَّمَا قَالُوا: تَعَتَّعْتُ الدَّابَّةَ، وَذَلِكَ إِذَا ارْتَضَمَتْ فِي الرَّمْلِ، زَادَ غَيْرُهُ: وَالحَبَّارِ وَالْوَحْلِ، وَقَدْ تَعَتَّعَ البَعِيرُ وَغَيْرُهُ: إِذَا سَاخَ فِي الحَبَّارِ، أَيِ فِي وُغُوئَةِ الرَّمَالِ. قَالَ أَعَشَى هَمْدَانٌ يَصِفُ بَغْلَ خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ وَرْقَاءَ:

أَتَذْكُرُنَا وَمُرَّةً إِذْ غَزَوْنَا وَأَنْتَ عَلَى بُعَيْلِكَ ذِي الْوُشُومِ
يُتَعَتِّعُ فِي الحَبَّارِ إِذَا عَلَا وَيَعْتُرُّ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ^(١)

تَوْضِيحٌ

في هذه الفقرة (وَلَا يُتَعَتِّعُ رَاكِبُهُ) تبعاً للفقرتين السابقتين، تبين الصديقة عليها السلام نتيجة الثالثة لتسليم الزمام بيد أمير المؤمنين عليه السلام، في إدارة شئون الأمة بما يخدم مصالحها ويجعلها في عيش رغيد، دون حصول إزعاج في أي من جوانب الحياة، وهذا ما استعارت له معنى (تعتتعه الراكب).

وهذا المعنى صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من موضع من خلال مخاطباته، مستشهداً بقوله تبارك وتعالى: ﴿لَأَكْلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْ ثَمَرِ أَرْجُلِهِمْ..﴾^(٢).
منها: ما صرح به عليه السلام في مخاطبته لطلحة: «...وَلَوْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُنْذُ قُبِضَ رَسُولُ

(١) تَأْجُ العَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرُّيْدِيُّ ١١ : ٤٦.

(٢) المائدة: ٦٦.

اللَّهُ ﷻ أَتَّبِعُونِي وَأَطَاعُوايَ ﴿لَأَكْلُوا مِنْ قَوْتِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾...»^(١).

ومنها: ما صرح به عليه السلام في مكاتبة معاوية: «...وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَلَّمُوا لَنَا وَاتَّبَعُونَا وَقَلَّدُونَا أُمُورَهُمْ، ﴿لَأَكْلُوا مِنْ قَوْتِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، وَلَمَا طَمِعْتَ أَنْتَ يَا مُعَاوِيَةُ، فَمَا فَاتَهُمْ مِنَّا أَكْثَرُ مِنَّا فَاتَنَا مِنْهُمْ...»^(٢).

٣- (وَلَا وَرَدَهُمْ مِنْهَلًا، نَمِيرًا، فَضْفَاضًا، تَطْفَحُ صَفَّتَاهُ)

هذا هو الأمر الثالث المترتب على تسليم الزمام إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تبين الصديقة الكبرى عليه السلام في هذه الفقرة الأمر الثالث المترتب على تسليم الزمام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا استعارة لمعاني في غاية البلاغة، حيث استعارت عليه السلام الإيراد إلى المنهل، بقولها: (لأوردتهم منهلًا)، للخير الذي سوف يحصل للأمة على يدي أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك بمعنى أنه سوف يدخلهم ويوردهم في الخيرات، ووجه قوة بلاغة هذه الاستعارة تكمن في هذه الجهة، كما أن الراعي لا يمكن أن يورد ويدخل إبله إلى فيما يراه صالحاً ومفيداً لها، فكذلك أمير المؤمنين عليه السلام لو قدر لهذه الأمة أن تسلمه الزمام فلا يمكن أن يدخلهم فيما هو ضرر عليهم. ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام لن يوردهم في أي منهل كان، وإنما يكون هذا المنهل متصفاً بصفات ثلاث: (نميراً) (فضفاضاً) (تطفح صفته)، وسيأتي بيان هذه الأوصاف

(١) الاختيجاج على أهل اللجاج، الشيخ الطبرسي ١: ١٥٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٣٣: ١٥٦.

الثلاثة في شرح المفردات التالي.

وهذا المعنى قد أشارت إليه الصديقة الكبرى عليها السلام في خطبتها الفدكية في وصف حال الأمة قبل مجيء النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله بقولها: «...وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مَذَقَّةَ الشَّارِبِ، وَنَهْرَةَ الطَّامِعِ، وَقَبْسَةَ الْعَجَلَانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ، أَذِلَّةَ خَاسِيَيْنِ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ ص بَعْدَ اللَّتَايَا وَالَّتِي...»^(١).

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ

معنى قولها عليها السلام: (وَلَا وَرَدَهُمْ مِنْهَا، نَمِيرًا قُضْفَاضًا، تَظْفَحُ ضَفَّتَاهُ)

الْوُرُودُ: من الورد - بالكسر - وهو مكان شرب الماء.

قال الفيومي في المصباح المنير: «وَرَدَ الْبَعِيرُ وَغَيْرُهُ الْمَاءَ يَرِدُهُ وَرُودًا: بَلَغَهُ وَوَافَاهُ مِنْ غَيْرِ دُخُولٍ، وَقَدْ يَحْضُلُ دُخُولُ فِيهِ، وَالِاسْمُ: الْوَرْدُ - بِالْكَسْرِ - وَأُورِدَتْهُ الْمَاءَ. فَالْوَرْدُ خِلَافُ الصَّدرِ، وَالْإِيرَادُ خِلَافُ الْإِصْدَارِ، وَالْمُورِدُ مِثْلُ مَسْجِدٍ: مَوْضِعُ الْوُرُودِ، وَوَرَدَ زَيْدٌ الْمَاءَ، فَهُوَ وَارِدٌ، وَجَمَاعَةٌ وَارِدَةٌ وَوَرَادٌ وَوَرْدٌ، تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ، وَوَرَدَ زَيْدٌ عَلَيْنَا وَرُودًا: حَضَرَ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تبارك وتعالى، في خبر نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا

(١) الاختِجَاجُ عَلَى أَهْلِ اللَّجَاجِ، الشَّيْخُ الطَّبْرِي ١: ١٠٠.

(٢) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُومِيُّ ص: ٦٥٤.

قَالَنَا لَا نَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ^(١).

وقوله جل شأنه في خبر نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).
وقد يطلق الوردُ على غير الماء، كما في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(٣).

والمَنْهَلُ: المورد، وهو الماء الذي ترده الإبل في المراعي.

قال الجوهري في صحاح اللغة: «الْمَنْهَلُ: الْمَوْرِدُ، وَهُوَ عَيْنُ مَاءٍ تَرِدُهُ الْإِبِلُ فِي الْمَرَاعِي. وَتُسَمَّى الْمَنَازِلُ الَّتِي فِي الْمَقَاوِزِ عَلَى طُرُقِ السُّفَارِ: مَنَاهِلَ، لِأَنَّ فِيهَا مَاءً. وَالتَّاهِلَةُ: الْمُخْتَلِفَةُ إِلَى الْمَنْهَلِ. أَبُو زَيْدٍ: التَّاهِلُ: الْعُطْشَانُ. وَالتَّاهِلُ: الرِّيَّانُ، وَهُوَ مِنَ الْأَصْدَادِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَنْهَلُ مِنْهَا الْأَسْلُ النَّاهِلُ

قال أبو عبيد: هو هَاهُنَا الشَّارِبُ، وَإِنْ شِئْتَ الْعُطْشَانُ. وَجَمْعُ التَّاهِلِ: نَهْلٌ، وَجَمْعُ النَّهْلِ نِهَالٌ. وَالتَّهْلُ: الشُّرْبُ الْأَوَّلُ. وَقَدْ نَهَلَ - بالكسر - وَأَنْهَلْتُهُ أَنَا، لِأَنَّ الْإِبِلَ تُسْقَى فِي أَوَّلِ الْوَرْدِ فَتُرَدُّ إِلَى الْعَطَنِ، ثُمَّ تُسْقَى الثَّانِيَةَ وَهِيَ الْعَلَلُ، فَتُرَدُّ إِلَى الْمَرْعَى^(٤). انتهى.

ثم تصف عليه السلام هذا المنهل بثلاثة أوصاف:

أ- (نَمِيرًا) هذا هو الوصف الأول من الأوصاف الثلاثة للمنهل.

(١) القصص: ٢٣.

(٢) يوسف: ١٩.

(٣) هود: ٩٨.

(٤) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٥: ١٨٣٧.

والتَّمِيرُ: من الماء: العذب الهنيء المريء، المُسَمِّنُ النَّاجِعُ.
قال الخليل في كتاب العين: «التَّمِيرُ من الماء: العَذْبُ الهَنِيُّ المَرِيءُ، المُسَمِّنُ النَّاجِعُ، قال:

كَبِكرٍ مُقَنَّاةَ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلِّلِ
أي: لم يَنْزِلْ به أَحَدٌ»^(١) انتهى.

ب- (فَضْفَاضًا) هذا هو الوصف الثاني من الأوصاف الثلاثة للمنهل.
وَالْفَضْفَاضُ: الواسع، يقال: ثوب فضفاض، وعيش فضفاض، ودرع فضفاضة.
قال ابن منظور في لسان العرب: «الْفَضْفَضَةُ: سَعَةُ الثَّوبِ والدَّرْعِ والعَيْشِ، وِدْرَعٌ فَضْفَاضٌ وَفَضْفَاضَةٌ وَفَضْفِضَةٌ: وَاسِعَةٌ، وكذلك الثَّوبُ. قال عمرو بن مَعْدٍ يَكْرِبُ:

وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ فَضْفَاضَةً كَأَنَّ مَطَاوِيَهَا مِبرْدُ
وَقَمِيصٌ فَضْفَاضٌ: وَاسِعٌ... ومنه حديث ابن سيرين قال: كنت مع أنس في يوم
مطر والأرض فَضْفَاضٌ، أي قد علاها الماء من كثرة المطر. وقد فَضْفَضَ الثَّوبَ
والدَّرْعَ: وَسَعَهُمَا. قَالَ كُثَيْبُ:

فَنَبَذْتُ ثُمَّ حَيَّةً فَأَعَادَهَا غَمَرُ الرِّدَاءِ مُفَضِّضُ السَّرْبَالِ
وَالْفَضْفَاضُ: الكثير الواسع... وَسَحَابَةٌ فَضْفَاضَةٌ: كَثِيرَةٌ الْمَاءِ»^(٢) انتهى.

ج- (تَطْفَحُ صَفَّتَاةً) وهذا هو الوصف الثالث من الأوصاف الثلاثة للمنهل.
(وَتَطْفَحُ): أي تمتلئ حتى تفيض.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «قَالَ اللَّيْثُ: طَفَحَ النُّهْرُ إِذَا امْتَلَأَ، وَرَأَيْتُهُ طَافِحًا:

(١) الْعَيْنُ، الْفَرَاهِيدِي ٥ : ٢١٨.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُور ٧ : ٢٠٩.

مُمْتَلِئًا. أبو عبيد عن الأصمعي: الطَّفَاحَةُ: رَبْدُ الْقِدْرِ وَمَا عَلَا مِنْهَا. ويقال: أَطْفَحْتُ طَفَاحَةَ الْقِدْرِ: إِذَا أَخَذْتُهَا، وَأَنْشَدَ شَمْرُ:

أَتَتْكُمْ الْجَوْفَاءُ جَوْعَى تَطْفَحُ طَفَاحَةُ الْإِثْرِ وَطَوْرًا تَجْتَدِحُ
وقال غيره: نَاقَةُ طَفَاحَةِ الْقَوَائِمِ أَيِ سَرِيعَتِهَا، وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:

طَفَاحَةُ الرَّجْلَيْنِ مَيْلَعَةٌ سُرْحُ الْإِلَاطِ بَعِيدَةُ الْقَدْرِ

أبو عبيد عن أبي عُبَيْدَةَ: الطَّافِخُ وَالذَّهَاقُ وَالْمَلَّانُ وَاحِدٌ، قَالَ: وَالطَّافِخُ الْمَمْتَلِئُ الْمَرْتَفِعُ. ^(١) انْتَهَى.

وَالضَّفَّةُ: جَانِبُ النَّهْرِ.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «قَالَ اللَّيْثُ: الضَّفَّةُ، وَالضَّفَّةُ، لُغَتَانِ، وَهُمَا: جَانِبَا النَّهْرِ اللَّذَانِ يَقَعُ عَلَيْهَا التَّبَائِثُ، وَالْجَمِيعُ الضَّفَّاتِ، وَالضَّفَّاتُ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ: ضَفَّةُ الْوَادِي، وَضَيْفُهُ جَانِبُهُ. وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: الصَّوَابُ الضَّفَّةُ بِالْكَسْرِ. قُلْتُ: الضَّفَّةُ لُغَةٌ عَالِيَةٌ جَيِّدَةٌ... وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَاءٌ مَضْفُوفٌ، وَهُوَ الَّذِي كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَنْشَدَ:

لَا يَسْتَقِي فِي التَّرَجِ الْمَضْفُوفِ إِلَّا مُدَارَاتُ الْغُرُوبِ الْجُوفِ ^(٢)

تَعْلِيلٌ

في هذه الفقرة تذكر الصديقة الكبرى عليها السلام الأمر الثالث والنتيجة الثالثة التي تحصل عليها الأمة لو سلمت الزمام بيد أمير المؤمنين عليه السلام، بقولها: (لأوردهم

(١) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ٤: ٢٢٧.

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١١: ٣٢٣.

منهلاً)، أي أن الإمام الذي هو خليفة الله في الأرض، هو تجلّي لطف ورحمة وكرم وخير الله سبحانه وتعالى للعالمين، وهذا المعنى هو ما أرادتة الصديقة الشهيدة بهذه الفقرة من خطبتها، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١). فإنّ مما لا شك فيه والثابت عقدياً أنّ الأنبياء والأوصياء هم تجلّي رحمة رب العالمين للخلق، التشريعية والتكوينية، فتكون هذه الفقرة في كلام الصديقة عليها السلام إشارة لهذا المعنى، الذي استعارت له هذه الاستعارة البليغة.

٤- (وَلَا ضَرْهُمْ بِطَانًا، قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ)

هذا هو الأمر الرابع المترتب على تسليم الزمام إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تبين الزهراء عليها السلام في هذه الفقرة الأمر الرابع المترتب على تسليم الزمام لأمر المؤمنين عليهم السلام، وفي هذه الفقرة تبين نتيجة الأمر الثالث: (لأوردهم منهلاً) فنتيجة ذلك (لأصدرهم)، حيث إنّ الورود يتعقبه الصدور، كما تبين حال هذا الصدور، وهو كونهم (بطاناً) وهذا في مقام الوصف لحالة الصدور، ثم تذكر وصفاً آخر، بقولها: (قد تحير بهم الري) وهذه الجملة منصوبة على الحالية، أي يصدر عن بعد الورود حالة كونهم (بطاناً) وحالة كونهم (قد تحير بهم الري). وسيأتي بيان هذه الفقرات، في شرح المفردات التالي.

شرح المفردات

معنى قولها ﷺ: (وَأَصْدَرَهُمْ)

الصُّدُورُ: الخروج، وهو عكس (الورود): الدخول؛ وقد تقدم بيان معنى (الورود).

قال الفيومي في المصباح المنير: «صَدَرَ الْقَوْمُ صُدُورًا - مِنْ بَابِ قَعَدَ - وَأَصْدَرْتُهُ - بِالْأَلِفِ - وَأَصْلُهُ الْإِنْصِرَافُ، يُقَالُ: صَدَرَ الْقَوْمُ، وَأَصْدَرْنَاهُمْ، إِذَا صَرَفْتَهُمْ، وَصَدَرْتُ عَنْ الْمَوْضِعِ صَدْرًا - مِنْ بَابِ قَتَلَ -: رَجَعْتُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَيْلَةٍ قَدْ جَعَلْتُ الصُّبْحَ مَوْعِدَهَا صَدَرَ الْمَطِيَّةِ حَتَّى تَعْرِفَ السَّدْفَا

فَصَدْرٌ مَصْدَرٌ وَالْإِسْمُ الصَّدْرُ يَفْتَحَتَيْنِ»^(١) انتهى.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «قَالَ اللَّيْثُ: الصَّدْرُ: الْإِنْصِرَافُ عَنِ الْوَرْدِ وَعَنِ كُلِّ أَمْرٍ، يُقَالُ: صَدَرُوا، وَأَصْدَرْنَاهُمْ، وَطَرِيقٌ صَادِرٌ، مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَصْدُرُ بِأَهْلِهِ عَنِ الْمَاءِ. وَطَرِيقٌ وَارِدٌ، يَرِدُ بِهِمْ، وَقَالَ لَبِيدٌ يَذْكُرُ نَاقَتَيْنِ:

ثُمَّ أَصْدَرْنَاهُمَا فِي وَارِدٍ صَادِرٍ وَهُمُ صُؤَاهُ قَدْ مَثَلُ

أَرَادَ: فِي طَرِيقٍ يُورَدُ فِيهِ وَيُصْدَرُ عَنِ الْمَاءِ فِيهِ. وَالْوَهُمُ: الصَّخْمُ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تعالى حكاية عن جواب ابْنَتَيْ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ لِنَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ:

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٣).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ص: ٣٣٥.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري ١٢: ٩٥.

(٣) القصص: ٢٣.

تَوْضِيحٌ

المراد: أنه عليه السلام بعد أن (أوردتهم منها...) في قولها عليه السلام: (وَلَا وَرَدَهُمْ مِنْهَا، نَمِيرًا، فَضْفَاضًا، تَطْفَحُ صَفْقَتَاهُ) فلا بُدَّ وأن (يصدرهم من هذا المنهل). وهذا ما عَبَّرَتْ عنه الزهراء عليه السلام في هذا الأمر الرابع بقولها: (وَلَا صَدَرَهُمْ بِطَانًا، قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ)، فحالة الصدور من المنهل (بِطَانًا، قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ).

معنى قولها عليه السلام: (بِطَانًا)

من البَطْنِ، ومنه البِطْنَةُ: وهي امتلاء البطن من الطعام.
قال الزبيدي في تاج العروس: «البِطَانُ - بالكسر - : جَمْعُ البَطِينِ، ومنه الحديث : «وَتَرَوْحُ بِطَانًا»، أي ممتلئة البطن. والمِبْطَانُ: العَظِيمُ البَطْنِ. وقالوا: كَيْسٌ بَطِينٌ: أي مَلَانٌ، على المَثَلِ؛ أَنْشَدَ نَعْلَبُ لِبَعْضِ اللُّصُوصِ:

فَأَصْدَرْتُ مِنْهَا عَيْبَةً ذَاتَ حُلَّةٍ وَكَيْسُ أَبِي الْجَارُودِ غَيْرُ بَطِينٍ
وَقَوْلُ الرَّاعِي يَصِفُ إِبِلًا وَحَالِيَهَا:

إِذَا سَرَحْتَ مِنْ مَبْرَكٍ نَامَ خَلَقَهَا بِمِثْنَاءِ مِبْطَانُ الصُّحَى غَيْرَ أَرْوَعَا
يُعْنِي رَاعِيًا يُبَادِرُ الصُّبُوحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَمِيلَ مِنَ اللَّبَنِ»^(١) انتهى.

ومنه ما رَوَى عن النبي ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ: تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرَوْحُ بِطَانًا»^(٢). ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: «أَوْ أَنْ أُبَيَّتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرَّتْ وَأَكْبَادٌ حَرَّتْ، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

(١) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ١٨ : ٦٤.

(٢) مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلِ وَمُسْتَنْبَطُ الْمَسَائِلِ، الْمَحْدَثُ الثُّورِيُّ ١١ : ٢١٧.

وَحَسْبُكَ ذَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِبُطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ^(١)

تَعْلِيلٌ

هنا تبين الصديقة الكبرى عليها السلام أن الأمة لو تكافؤوا عن الزمام الذي نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام لعمت النعمة الناس بأجمعهم، لأصبحوا في حالة من الخيرات والشعب ولما جاع الناس. وقد روي عنه عليه السلام قوله: «وَلَوْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُنْذُ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله اتَّبَعُونِي وَأَطَاعُونِي لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»^(٢).

وهنا تشير الصديقة عليها السلام إلى سنة تأريخية، أشار إليها القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ»^(٣).

وذلك بمعنى أن الحق تبارك وتعالى أنزل الخير للبشر مقروناً بالقانون الإلهي، ومشروطاً بتطبيق ذلك القانون، وما ذلك إلا لأن الحق سبحانه وتعالى يعلم أن ذلك الاشتراط هو الذي يصلح حال الإنسان في هذه الدنيا، ويفوز بسعادة الدارين، وهذا المعنى هو ولاية الله في الأرض، المتمثلة في ولاية أولياء الله جل شأنه، إلى هذا المعنى أشارت مجموعة من الروايات:

منها: ما رواه الشيخ الصفار في «بصائر الدرجات»، بإسناده إلى محمد بن مسلم،

(١) نهج البلاغة، في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، الشريف الرضي، ص: ٤١٨، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٣٣ : ٤٧٤.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج، الشيخ الطبرسي ١ : ١٥٣. وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٣١ : ٤٢٥.

(٣) المائدة: ٦٦.

ورواه أيضاً الشيخ الكليني في أصول الكافي بإسناده إلى رُبَيْعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ «فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؟ قَالَ: الْوَلَايَةُ»^(١).

تَخْصِصُ الْمَوْرِدِ لَا يُخْصَصُ الْوَارِدُ

ومن هنا يتضح أن خصوص المورد لا يخصص الوارد، باعتبار أن الآية الكريمة وإن كانت واردة في أهل الكتاب من اليهود والنصارى، إلا أن ذلك لا يخصصها بهم، وذلك لأنَّ لسان الخطاب في الآية الكريمة عام لكل مكان وزمان، ولا نحتمل الخصوصية فيه لمكان أو زمان معين، فلا نحتمل أن غير اليهود والنصارى من أصحاب الديانات الأخرى، بما فيهم المسلمين، لو لم يقيموا قانون الحق تبارك وتعالى، وما أنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم!

معنى قولها عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قَدْ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ)

التَّحَيَّرُ: يقال: تَحَيَّرَ الماء، أي اجتمع ودار كالتحير يرجع أقصاه إلى أدناه، ويقال: تحيرت الأرض بالماء، إذا امتلأت.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: «الحَائِرُ: حَوْضٌ يَسِيْبُ إِلَيْهِ مَسِيْلُ الْمَاءِ مِنَ الْأَمْصَارِ، يَسْمَى هَذَا الْأَسْمُ بِالْمَاءِ... وَإِنَّمَا سُمِّيَ حَائِرًا؛ لِأَنَّ الْمَاءَ يَتَحَيَّرُ فِيهِ يَرْجِعُ أَقْصَاهُ إِلَى أَدْنَاهُ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يَقَالُ لِلْمَكَانِ الْمُطْمَئِنِّ الْوَسْطِ الْمُرْتَفِعِ الْحُرُوفُ: حَائِرٌ، وَجَمْعُهُ حُورَانٌ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْحَائِرُ: مَجْتَمِعُ الْمَاءِ، وَأُنْشِدَ:

مِمَّا تَرَبَّبَ حَائِرَ الْبَحْرِ

(١) أَصُولُ الْكَافِي، الشَّيْخُ الْكَلِّينِيُّ ١: ٤١٣، بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ، الشَّيْخُ الصَّفَّارُ ١: ٧٦.

... وقال الأصمعي: حَارَ يَحَارُ حَيْرَةً وَحَيْرًا. وقال الليث: يقال الماء يتحير في الغيم، وتحيرت الروضة بالماء: إذا امتلأت. ^(١) انتهى.

ومنه سُمِّيَ الحائر الحسيني بالحائر، وذلك لأن المتوكل العباسي أمر بإطلاق الماء على قبر الحسين عليه السلام ليُعْفَى موضعه، فحار الماء ولم يبلغ القبر الشريف ^(٢).
والرِّيُّ: الارتواء، وهو ضدُّ العطش.

قال الفيومي في المصباح المنير: «رَوِيَ مِنَ الْمَاءِ يَرَوِي رَيًّا، وَالْإِسْمُ: الرَّيُّ - بِالْكَسْرِ - فَهُوَ رَيَّانٌ، وَالْمَرْأَةُ رَيًّا، وَرَأْنُ غَضْبَانَ وَعَظْبِي، وَالْجُمُعُ فِي الْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ: رِوَاءٌ، وَرَأْنُ كِتَابٍ، وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ، فَيُقَالُ: أَرَوَيْتُهُ وَرَوَيْتُهُ فَارْتَوَى مِنْهُ وَتَرَوَى. وَيَوْمُ التَّرْوِيَةِ: ثَامِنُ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ كَانَ قَلِيلًا بِمِئَى، فَكَانُوا يَرْتَوُونَ مِنَ الْمَاءِ لِمَا بَعْدُ. وَرَوَى الْبَعِيرُ الْمَاءَ يَرْوِيهِ - مِنْ بَابِ رَمَى -: حَمَلَهُ، فَهُوَ رَاوِيَةٌ، الْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ، ثُمَّ أُطْلِقَتِ الرَّاوِيَةُ عَلَى كُلِّ دَابَّةٍ يُسْتَقَى الْمَاءُ عَلَيْهَا، وَمِنْهُ يُقَالُ: رَوَيْتُ الْحَدِيثَ، إِذَا حَمَلْتَهُ وَنَقَلْتَهُ، وَيُعَدَّى بِالتَّضْعِيفِ، فَيُقَالُ رَوَيْتُ زَيْدًا الْحَدِيثَ، وَيُبْنَى لِلْمَفْعُولِ، فَيُقَالُ: رَوَيْنَا الْحَدِيثَ.» ^(٣) انتهى.

والمراد: أن يصلون إلى الحالة التامة من الارتواء، فكما أنه عليه السلام يصدرهم من المنهل (بطاناً) وفي الحالة التامة من الشبع، كذلك يصدرهم من (الري) في الحالة التامة من الارتواء.

(١) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الْأَزْهَرِي ٥ : ١٤٩.

(٢) ذكره جمع من أعلامنا، منهم العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٨٦ : ٨٩، في بيان حَدِّ الحائِرِ.

(٣) الْيَصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِي ص: ٢٤٦.

تَحْلِيلُ

في هذه الأمر الرابع تبين الزهراء عليها السلام ما يترتب على تسليم الزمام إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حالة الرخاء ورغد العيش والنعم الإلهية التي تعم جميع الناس. ويكون وجه البلاغة في كلامها عليها السلام ما يشمل الشيع الذي عبرت عنه بقولها: (لأصدرهم بطاناً)، ويشمل الري والارتواء، الذي عبرت عنه بقولها: (قد تحرير بهم الري). هذا كله بالنسبة إلى النعم المادية.

وأما بالنسبة للنعم المعنوية، فقد روى الشيخ الكليني بإسناده إلى الأصبغ بن بُبَاة، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ غَيَّرُوا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَدَلُوا عَنْ وَصِيَّهِ لَا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ..﴾، ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ النَّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ عِبَادِهِ، وَبِنَا يَفُوزُ مَنْ قَارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

بِحَمْدِ اللَّهِ

المقطع السادس

((غَيْرَ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ، إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَرَدْعِهِ شَرَرَهُ السَّاعِبَ، وَلَفُتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١)))

اختلاف النسخ

جاء هذا المقطع في نسخة «الاحتجاج» هكذا: (وَلَمْ يَكُنْ يُحَلَّى مِنَ الْغَىِّ بِطَائِلٍ، وَلَا يَحْظَى مِنَ الدُّنْيَا بِنَائِلٍ، غَيْرَ رَيِّ التَّاهِلِ، وَشُبْعَةِ الْكَلِّ، وَلَبَانَ لَهُمُ الرَّاهِدُ مِنَ الرَّاعِبِ، وَالصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٣)، حيث يوجد اختلاف بينه وبين نسخة «معاني الأخبار» بالنسبة

(١) الفقرتان الأخيرتان مقتنصتان من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف: ٩٦.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) الزمر: ٥١.

لكلامها قبل الآية الكريمة، وبالنسبة للآية الكريمة، نقل «الاحتجاج» آيتين من الذكر الحكيم: آية من سورة الأعراف، وآية من سورة الزمر، بينما في نسخة «معاني الأخبار» نقل الفقرة الأخيرة من آية واحدة وهي آية سورة الأعراف، والفقر بينهما فقط في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ حيث جاءت في المقطع هكذا: (وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ). وأما في نسخة «الأمالى» فقد جاء هذا المقطع بشكل يتقارب من نسخة «معاني الأخبار»، هكذا: (غَيْرُ مُتَحَلٍّ بِطَائِلٍ إِلَّا تَغْمَرُ النَّاهِلُ وَرَدَّعَ سُورَةَ سَعْبٍ وَلَفَّتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). ونحن سوف نقتصر في الشرح على ما جاء في نسخة «معاني الأخبار».

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

في هذا المقطع تبين الصديقة عليها السلام أمرين:

الأول: حال أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع ممتلكات الدولة الإسلامية. وذلك في قولها: (غَيْرُ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ، إِلَّا يَغْمَرُ الْمَاءُ وَرَدَّعِهِ شَرَرُهُ السَّاعِبِ)
الثاني: هو الأثر والنتيجة الخامسة المترتبة على تولي أمير المؤمنين عليه السلام زمام الأمة. وذلك في قولها: (وَلَفَّتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). حيث ذكرت عليها السلام أربع نتائج تقدم شرحها:

١- (لاعتلقه...)

٢- (ولسار بهم...)

٣- (ولأوردتهم منهلاً...)

٤- (ولأصدرهم بطاناً...)

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها **عَلَيْهَا** : (غَيْرُ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ)

التَّحَلِّيُّ : التَّزَيُّنُ بِالْحُلِيِّ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «حَلِيَ الشَّيْءُ بِعَيْنِي وَبَصْدَرِي يَحْلَى - مِنْ بَابِ تَعَبَ - حَلَاوَةً: حَسَنَ عِنْدِي وَأَعْجَبَنِي، وَحَلَيْتُ الْمَرْأَةَ حَلِيًّا - سَاكِنُ اللَّامِ -: لَيْسَتْ الْحُلِيِّ، وَجَمْعُهُ حُلِيٌّ، وَالْأَصْلُ عَلَى فُعُولٍ، مِثْلُ: فَلَسَ وَفُلُوسٌ، وَالْحَلِيَّةُ - بِالْكَسْرِ -: الصَّفَةُ، وَالْجَمْعُ: حَلَى - مَقْصُورٌ وَتَضَمُّ الْحَاءِ وَتُكْسَرُ - وَحَلِيَّةُ السَّيْفِ: زِينَتُهُ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَلَا تُجْمَعُ، وَتَحَلَّتِ الْمَرْأَةُ: لَيْسَتْ الْحُلِيِّ، أَوْ اتَّخَذَتْهُ، وَحَلَيْتُهَا - بِالتَّشْدِيدِ -: أَلْبَسْتُهَا الْحُلِيَّ، أَوْ اتَّخَذْتُهَا لَهَا لِيَلْبَسَهُ»^(١) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾^(٢).

قوله سبحانه: ﴿أَمْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣).

وَالطَّائِلُ: مِنَ الطَّوْلِ، وَهُوَ السَّعَةُ وَالْفَضْلُ وَالْغِنَى.

قال الفيومي في المصباح المنير: «طَالَ عَلَى الْقَوْمِ يَطُولُ طَوْلًا - مِنْ بَابِ قَالَ -: إِذَا أَفْضَلَ، فَهُوَ طَائِلٌ، وَأَطَالَ - بِالْأَلِفِ - وَتَطَوَّلَ: كَذَلِكَ... وَقِيلَ: الطَّوْلُ: الْغِنَى»^(٤) انتهى.

وقال الجوهري في الصحاح: «يقال: هذا أمرٌ لا طائِلَ فيه، إذا لم يكن فيه غناءٌ

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِيُّ ص: ١٤٩.

(٢) الأعراف: ١٤٨.

(٣) الزخرف: ١٨.

(٤) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِيُّ ص: ٣٨١.

ومرّة. يقال ذلك في التذكير والتأنيث. ولم يَحَلَّ منه بطائل، لا يتكلم به إلا في الجحد. وبينهم طائفة، أي عداوة وزيرة. والطول بالفتح: المن. يقال منه: طال عليه وتَطَوَّلَ عليه، إذا امتنَّ عليه.^(١) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿..اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾^(٢)، و(أُولُوا الطَّوْلِ) أي الأغنياء وأهل السعة.

وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾^(٣).

وهذه الفقرة منصوبة على الحالية، أي: حالة كونه (غَيْرُ مُتَحَلٍّ..).

والضمير في قولها (مِنْهُ) راجع إلى المنهل، في قولها المتقدم: (وَلَا وَرَدَهُمْ مِنْهَا نَمِيراً)، ويمكن عود الضمير إلى أصل الزمام وقيادة الأمة. أي: أَنَّ الأُمَّةَ لو تركت الزمام والقيادة لأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ليتحلَّى بطائل من تولّيه القيادة وأخذه زمام الأمور.

فإنَّ مركز القيادة في حدِّ ذاته لا يعني لأمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، إلا بمقدار ما يقوم به من أداء الوظيفة الإلهية الملقاة على عاتقه، وقد صرَّح بذلك في مواضع من كلماته، منها ما نقله عنه عبد الله بن عباس: «قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: مَا قِيَمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيَمَةَ لَهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً».

(١) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللُّغَةُ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٦ : ٣٣.

(٢) التوبة: ٨٦.

(٣) النساء: ٢٥.

فقيمة القيادة والإمرة عند أمير المؤمنين عليه السلام هي في إقامة الحق ودفع الباطل، لا أكثر.

معنى قولها عليها السلام : (إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَرَدْعِهِ سَوْرَةَ السَّاعِبِ).

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

في هذه الفقرة استثناء مما تقدّم في الفقرة السابقة، فإنّها عليها السلام بعد أن نَفَتْ تحليّ أمير المؤمنين عليه السلام بشيء من المنهل أو موقع القيادة بقولها: (غَيْرَ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ)، استثنت هذا المقدار المذكور في هذه الفقرة: (إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَرَدْعِهِ سَوْرَةَ السَّاعِبِ).

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ

والتَّغْمُرُ: في قولها: (بِغَمْرِ الْمَاءِ): الشرب دون الرّي، مأخوذ من الغمر: وهو القدح الصغير.

قال الجوهري في الصحاح: «الغمر: الماء الكثير. وقد غمره الماء يغمره، أي علاه. ومنه قيل للرجل: غمره القوم، إذا علوه شرفاً. والغمر: الفرس الجواد. ورجل غمر الخلق وغمر الرداء، إذا كان سخيّاً بين الغمورة، من قوم غمارٍ وغُمورٍ. قال كثير:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ صَاحِكًا غَلِقْتُ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

وبجر غمر، وجرّ غمارٌ وغُمورٌ أيضاً. يقال: ما أشدّ غمورة هذا النهر. والغمرة: الشدة، والجمع: غُمُرٌ. وغمرات الموت: شدائده. والغمر أيضاً: القدح الصغير. قال أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر بن وهب الباهلي:

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذَا نِ الْمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبُهُ الْغَمْرُ

ومنه التَّعْمُرُ، وهو الشربُ دُونَ الرَّيِّ. ^(١) انتهى.

وَالرَّذْغُ: في قولها: (وَرَذَعِهِ) الكُفَّ والمَنْعُ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «رَذَعْتُهُ عَنِ الشَّيْءِ أَرَدَعُهُ رَذْعًا: مَنَعْتُهُ وَرَجَرْتُهُ،

وَارْتَدَعَ بِرَوَادِعِ الْقُرْآنِ.» ^(٢) انتهى.

وَسُورَةُ الشَّيْءِ: في قولها: (سُورَةَ السَّاعِبِ): حَدَّثَهُ وَشَدَّثَهُ.

قال الفيومي في المصباح المنير: «سَارَى سُرُوزُ: إِذَا غَضِبَ، وَالسَّورَةُ اسْمٌ مِنْهُ، وَالْجَمْعُ

سَوَارَتْ - بِالسُّكُونِ لِلتَّخْفِيفِ - وَقَالَ الرُّبَيْدِيُّ: السَّورَةُ: الْحِدَّةُ، وَالسَّورَةُ: الْبَطْشُ...

وَسُورَةُ الْجُوعِ وَالْحُمُرِ الْحِدَّةُ أَيْضًا، وَمِنْهُ الْمُسَاوَرَةُ وَهِيَ الْمَوَابَّةُ، وَفِي التَّهْذِيبِ:

وَالْإِنْسَانُ يُسَاوِرُ إِنْسَانًا: إِذَا تَنَاوَلَ رَأْسَهُ، وَمَعْنَاهُ الْمُغَالَبَةُ.» ^(٣) انتهى.

وَالسَّعْبُ: في قولها: (السَّاعِبِ): الْجُوعُ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «سَعِبَ الرَّجُلُ يَسْعَبُ، وَسَعَبَ يَسْعُبُ سَعْبًا

وَسَعْبًا وَسَعَابَةً وَسُعُوبًا وَمَسْعَبَةً: جَاعَ. وَالسَّعْبَةُ: الْجُوعُ، وَقِيلَ: هُوَ الْجُوعُ مَعَ التَّعَبِ،

وَرَبْمَا سُمِّيَ الْعَطَشُ سَعْبًا، وَلَيْسَ بِمُسْتَعْمَلٍ، وَرَجُلٌ سَاعِبٌ لَأَغْبُ ذُو مَسْعَبَةٍ

وَسَعِبٌ وَسَعْبَانُ لَعْبَانُ: جَوْعَانُ أَوْ عَطْشَانُ... وَأَسْعَبَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُسْعِبٌ: إِذَا دَخَلَ

فِي الْمَجَاعَةِ، كَمَا تَقُولُ أَفْحَظَ الرَّجُلُ: إِذَا دَخَلَ فِي الْقَحْطِ... وَقِيلَ: لَا يَكُونُ

السَّعْبُ إِلَّا مَعَ التَّعَبِ.» ^(٤) انتهى.

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٣: ٣٣٦.

(٢) البصباحُ المُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُّومِي ص: ٢٢٤.

(٣) البصباحُ المُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُّومِي ص: ٢٩٤.

(٤) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُور ١: ٤٦٨.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾^(١).

تَعْلِيلٌ

تَصِفُ الصَّدِيقَةُ عليها السلام حَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى زِمَامَ الْأُمُورِ وَقِيَادَةَ الْأُمَّةِ، لَمْ يَكُنْ لِيَتَحَلَّى مِنْ ذَلِكَ بِطَائِلٍ، إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَسُدُّ الضَّرُورَةَ مِنْ عَطَشِهِ، وَهَذَا مَا عَبَرَتْ عَنْهُ بِقَوْلِهَا عليها السلام: (إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ). وَمِنْ جُوعِهِ بِمَقْدَارِ مَا يَرُدُّ شِدَّةَ جُوعِهِ، وَهَذَا مَا عَبَرَتْ عَنْهُ بِقَوْلِهَا عليها السلام: (رَدَعَهُ سُورَةُ السَّاعِبِ).

قَالَ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ رحمته الله: «وَحَاصِلُ الْمَعْنَى: أَنَّهُ لَوْ مَنَعَ كُلُّ مَنْهُمْ الْآخَرِينَ عَنِ الزِّمَامِ الَّذِي نَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ تَوَلَّى أَمْرَ الْأُمَّةِ، لَتَعَلَّقَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَوْ أَخَذَهُ مَحْبَأً لَهُ، وَلَسَلَّكَ بِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرَكَ شَيْئاً مِنْ أَوْامِرِ اللَّهِ أَوْ يَتَعَدَّى حَدّاً مِنْ حُدُودِهِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْأُمَّةِ وَيَكْلِفَهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ وَوُسْعِهِمْ، وَلِفَازُوا بِالْعَيْشِ الرَّغِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَفِعُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَمَا يَتَوَلَّى مِنْ أَمْرِهِمْ إِلَّا بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ وَسَدِّ الْخَلَّةِ.»^(٢) انْتَهَى.

مَعْنَى قَوْلِهَا عليها السلام: (وَلَفْتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تَحْتَمِ الصَّدِيقَةُ عليها السلام هَذَا الْمَقْطَعِ مُسْتَشْهَدَةً بِفَقْرَتَيْنِ اقْتَنَصْتَهُمَا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ

(١) البلد: ١٤.

(٢) حِجَارُ الْأَنْوَارِ، الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ ٤٣ : ١٦٧.

بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١)،
حيث اقتنصت من صدر الآية الكريمة قولها: (وَلَفُتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ)، كما اقتنصت من ذيل الآية الكريمة قولها: (وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ).

وقلنا فيما تقدم: بأن هذا المقطع أثرٌ يترتب على تولي أمير المؤمنين عليه السلام زمام
الأُمور. وهذا الأثر هو الخامس المترتب على ذلك، وهو معطوف على ما تقدم من
الآثار الأربعة المتقدم ذكرها وشرحها:

١- (لَا عَتَلَقَهُ)

٢- (وَلَسَارِ بِهِمْ..)

٣- (وَلَا وَرَدَهُمْ مَنَهْلًا..)

٤- (وَلَا صَدَرَهُمْ بَطْناً..)

٥- (وَلَفُتِحَتْ عَلَيْهِمْ..).

شَرَحُ الْمَفْرَدَاتِ

في شرح الآية الكريمة والمعاني التي اقتنصتها منها الصديقة عليها السلام نقتصر على
المهم منها لبيان الفائدة.

وَلَفُتِحَتْ: هذه الفقرة جاءت بالبناء للمفعول، بينما جاءت في الآية الكريمة
بالبناء للفاعل «لَفُتِحْنَا». وهي مأخوذة من الفتح مقابل الإغلاق، ونسبة الفتح
هنا إلى الحق تبارك وتعالى، ومعناه إعطاء خيرات السماوات والأرض، المعبر عنها
بالبركات في هذه الآية.

ومما جاء في الذكر الحكيم قريب من هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وقد يطلق الفتح ويراد منه معاني آخر، منها فتح باب العذاب، كما في قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٢). ومنها فتح أبواب النار في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٣).

ومنها الفتح بمعنى النصر في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٤). **بَرَكَاتٌ**: جمع: بركة، وهي الزيادة، والخير الكثير، مادياً أو معنوياً. قال الفيومي في المصباح المنير: «الْبَرْكَةُ: الزِّيَادَةُ وَالتَّمَاءُ، وَبَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، فَهُوَ مُبَارَكٌ، وَالْأَصْلُ مُبَارَكٌ فِيهِ، وَجُمِعَ جَمْعٌ مَا لَا يَعْقِلُ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ، وَمِنْهُ: التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ.»^(٥) انتهى.

وقد جاء ذكر البركة في مواضع من القرآن الكريم: منها قوله تعالى في شأن نبي الله نوح عليه السلام: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾^(٦).

(١) فاطر: ٢.

(٢) المؤمنون: ٧٧.

(٣) الزمر: ٧١.

(٤) الفتح: ١.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ص: ٤٥.

(٦) هود: ٤٨.

ومنها قوله سبحانه: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(١).

ومنها قوله تقدس ذكره: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٢).

وغيرها من الآيات الكريمة.

وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ: جاءت هذه الفقرة في الآية الكريمة هكذا: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾.

ولا اختلاف في المعنى ظاهراً، والأخذ هنا جاء عقاباً للتكذيب وعدم الإيمان والتقوى، حيث كانت الآية الكريمة هكذا: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾. فيكون الأخذ هنا بمعنى العقاب.

وقد تكرر لفظ الأخذ بمعنى العقاب في القرآن الكريم في عدة مواضع:

منها قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالنَّاسِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^(٤).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ

مُبْلِسُونَ﴾^(٥).

وغيرها من الآيات الكريمة.

يَكْسِبُونَ: من الكسب، وهو هنا بمعنى الارتكاب والتحمل، وأصله الجمع،

ويكون الكسب في الأمور المادية والمعنوية، وقد يفرق بين الكسب والاكتساب،

كما ذكر ذلك بعض علماء اللغة.

(١) هود: ٧٣.

(٢) الأنعام: ١٥٥.

(٣) النحل: ٤٦.

(٤) الأنعام: ٤٢.

(٥) الأنعام: ٤٤.

قال ابن منظور في لسان العرب: «الْكَسْبُ طَلْبُ الرِّزْقِ، وَأَصْلُهُ: الْجَمْعُ. كَسَبَ يَكْسِبُ كَسْبًا وَتَكَسَّبَ وَاكْتَسَبَ. قال سيبويه: كَسَبَ أَصَابَ، وَاكْتَسَبَ تَصَرَّفَ وَاجْتَهَدَ. قال ابن جني: قوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ عَنَّا عَنْ الْحَسَنَةِ بِكَسَبَتْ وَعَنِ السَّيِّئَةِ بِاكْتَسَبَتْ؛ لِأَنَّ مَعْنَى «كَسَبَ» دُونَ مَعْنَى «اكْتَسَبَ» لِمَا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَذَلِكَ أَنَّ كَسَبَ الْحَسَنَةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى اكْتِسَابِ السَّيِّئَةِ أَمْرٌ يَسِيرٌ وَمُسْتَضَعٌّ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ أَفَلَا تَرَى أَنَّ الْحَسَنَةَ تَصْغُرُ بِإِضَافَتِهَا إِلَى جَزَائِهَا ضِعْفُ الْوَاحِدِ إِلَى الْعَشْرَةِ؟ وَلِمَا كَانَ جَزَاءُ السَّيِّئَةِ إِنَّمَا هُوَ بِمِثْلِهَا لَمْ تُخْتَقَرْ إِلَى الْجَزَاءِ عَنْهَا، فَعُلِمَ بِذَلِكَ قُوَّةُ فِعْلِ السَّيِّئَةِ عَلَى فِعْلِ الْحَسَنَةِ، فَإِذَا كَانَ فِعْلُ السَّيِّئَةِ ذَاهِبًا بِصَاحِبِهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ الْمُتَرَامِيَةِ عَظُمَ قَدْرُهَا وَفُتِحَ لَفْظُ الْعِبَارَةِ عَنْهَا، فَقِيلَ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، فزِيدَ فِي لَفْظِ فِعْلِ السَّيِّئَةِ وَانْتَقِصَ مِنْ لَفْظِ فِعْلِ الْحَسَنَةِ لِمَا ذَكَرْنَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ قِيلَ: مَا كَسَبَ هُنَا وَلَهُ إِنَّهُ لَطَيَّبَ الْكَسْبَ وَالْكِسْبَةَ وَالْمَكْسِبَةَ وَالْمَكْسَبَةَ وَالْكَسْبِيَّةَ وَكَسَبَتْ الرَّجُلَ خَيْرًا فَكَسَبَهُ وَاكْتَسَبَهُ إِيَّاهُ وَالْأُولَى أَعْلَى، قَالَ: يُعَاتِيَنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُبُونِي فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا^(١)

وقد جاء «الكسب» و«الاكتساب» في عدة مواضع من القرآن الكريم، الغالب فيها مجيئه في ارتكاب المخالفة لأوامر الله تقدست آلاؤه:

منها قوله تعالى: ﴿قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِنَّمَا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٣).

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١: ٧١٦.

(٢) البقرة: ٧٩.

(٣) النساء: ١١١.

وقوله جل شأنه: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(١).

وجاء في بعضها بمعنى الخير، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(٣).

تعليل

والمعنى: أن الأمة لو تكافوا عن الزمام الذي نبذه رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام لترتب هذا الأثر الخامس المذكور في الآية الكريمة، ويكون المعنى في كلامها عليه السلام هكذا: (وَاللَّهِ لَوْ تَكَافَوْا عَنْ زِمَامِ نَبِيِّكُمْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ)... (لَفُتِحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)

وهنا تشير الزهراء عليه السلام إلى حقيقة قرآنية وسنة تاريخية، وهي ترتب الآثار على التقوى والإيمان والاستقامة. والأثر المترتب على التكذيب بذلك. وهنا تؤكد بالخصوص على الأثر المترتب على تولي من نصبه الله لقيادة الأمة والإمساك بزمام الأمور، فإن في توليه تُخرج الأرض والسماء بركاتهما، وفي إبعاده وعزله تمنع الأرض والسماء بركاتهما.

وهذا المعنى اقتنصته الصديقة عليها السلام من آيات القرآن الكريم، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤). وقال جل شأنه: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا

(١) البقرة: ٢٢٥.

(٢) الأنعام: ١٥٨.

(٣) البقرة: ٢٦٧.

(٤) الأعراف: ٩٧.

عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا^(١).

وروى الشيخ الكليني عليه السلام بإسناده إلى يونس بن يعقوب عن زكريا عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٢) قَالَ: «يَعْنِي لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى وَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ عليهم السلام وَقَبِلُوا طَاعَتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ، لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا، يَقُولُ: لَأَشْرَبْنَا قُلُوبَهُمُ الْإِيمَانَ وَالطَّرِيقَةَ هِيَ الْإِيمَانُ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءِ».

وروى أيضاً بإسناده إلى محمد بن مسلم، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٣) فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اسْتَقَامُوا عَلَى الْأَيْمَةِ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(٤)^(٥).

ثم إنها عليه السلام بعد أن ذكرت النتيجة والأثر المترتب على تولي أمير المؤمنين عليه السلام زمام وقيادة الأمة، ذكرت أيضاً الأثر المترتب على زحزحة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو المعنى الذي اقتنصته من الآية الكريمة، بقولها: (وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) المقتنص من ذيل الآية الكريمة قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ

بِجَمَلِ اللَّهِ

(١) الجن: ١٦.

(٢) الجن: ١٦.

(٣) فصلت: ٣٠.

(٤) فصلت: ٣٠.

(٥) أصول الكافي، الشيخ الكليني ١: ٢٢٠.

الْمَقْطَعُ السَّابِعُ

((أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعْ، وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ!، وَإِنْ تَعَجَّبَ فَقَدْ
أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ!، إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنْدُوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟،
اسْتَبْدَلُوا الدُّنَابِي وَاللَّهِ بِالْقَوَادِمِ، وَالْعَجَزُ بِالْكَاهِلِ!)).

اِخْتِلَافُ النَّسَخِ

جاء هذا المقطع في نسخة «الاحتجاج»، باختلاف يسير في بعض الفقرات، مع
زيادة بعض الفقرات وكذلك زيادة بعض الآيات الكريمة، هكذا: (أَلَا هَلُمَّ
فَاسْمَعْ، وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا، وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ، لَيْتَ شَعْرِي، إِلَى
أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنْدُوا، وَعَلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا، وَعَلَى أَيْةٍ دُرِّيَّةٍ
أَقْدَمُوا وَاحْتَنَكُوا، ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾. و﴿يُنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾
اسْتَبْدَلُوا وَاللَّهِ الدُّنَابِي بِالْقَوَادِمِ وَالْعَجَزُ بِالْكَاهِلِ). وأما نسخة «الأمالي» فتختلف
أيضاً عن نسخة «معاني الأخبار»، وهي أقرب إلى نسخة «الاحتجاج»، من حيث ذكر
الآيتين الكريمتين، حيث ذكر هذا المقطع هكذا: (فَهَلُمَّ فَاسْمَعْ، فَمَا عِشْتَ أَرَاكَ
الدَّهْرُ عَجَبًا، وَإِنْ تَعَجَّبَ بَعْدَ الْحَادِثِ، فَمَا بِالْهَمِّ بِأَيِّ سِنَدٍ اسْتَنْدُوا، أَمْ بِأَيِّ عُرْوَةٍ
تَمَسَّكُوا) ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ و﴿يُنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾. استبدلوا
الدُّنَابِي بِالْقَوَادِمِ، وَالْخُرُونِ بِالْقَاجِمِ، وَالْعَجَزُ بِالْكَاهِلِ). وحاصل الاختلاف بين

نسخة «معاني الأخبار»، ونسخي «الاحتجاج» و«الأمالي»، من حيث وجود الآيتين الكريمتين، وكذلك زيادة بعض الفقرات.

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

في صَدْرِ هذا المقطع تُظْهِرُ الصَّدِيقَةُ عليها السلام لَوْنًا من التعجّب الشديد، بعبارات مختلفة، الذي يكشف عن وضوح أحقية أمير المؤمنين عليه السلام بتوليّ زمام قيادة الأمة، عند كافة الأمة بشكل عام، وإلا لا معنى لصدور التعجّب منها عليها السلام بصياغات ثلاث، وبهذه الشدّة، لو فرض عدم وضوح الأمر عند الأمة، وفقرات التعجب الثلاث في قولها هي:

١- (أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعْ.!)

٢- (وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا.!)

٣- (وَأِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ.!)

ثم في وسط المقطع تُبْدِي عليها السلام الاستنكار بصيغة الاستفهام، وهو ما يعبر عنه بالاستفهام الاستنكاري، وذلك بعبارتين في قولها:

١- (إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنْدُوا)

٢- (وَبِأَيِّ غُرُوزَةٍ تَمَسَّكُوا؟.)

ثم في آخر المقطع تحجب عليها السلام عن الاستفهام بكناية واستعارة بليغة، من خلال فقرتين في كلامها عليها السلام في قولها:

١- (اسْتَبْدَلُوا الدُّنْيَا بِاللَّهِ بِالْقَوَادِمِ)

٢- (وَالْعَجَزُ بِالْكَاهِلِ).

شَرْمُ الْمَفْرَدَاتِ

معنى قولها ﷺ: (أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعْ!)

أَلَا هَلُمَّ: وفيها بحث لغوي، أذكره باختصار؛ لتعم الفائدة.

بَحْثُ لُغَوِيٍّ

أَلَا هَلُمَّ: مركبة من كلمتين: (ألا) و(هَلُمَّ). أما (ألا) ففيها قولان: الأول: أنها مركبة من كلمتين: همزة الاستفهام (أ)، وحرف النفي (لا)، وبتركبها من أداة الاستفهام وأداة النفي تُفِيدُ التَّحَقُّقَ. القول الثاني: أنها غير مركبة، وهمزتها نظير الهمزة الداخلة على (ليس) تقول: (أليس). وتأتي (ألا) للتنبيه وإفادة التحقق لما بعدها. انتهى.

وهَلُمَّ: أيضاً مركبة من كلمتين: (ها) التنبيه، ومن (لم)، واستعملت بمجموعها استعمال البسيطة. وفيها لغتان: الأولى: لغة أهل الحجاز، وهي عندهم اسم فعل، ويستوي فيها عندهم الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. والثانية: لغة تميم: وهي عندهم فعل، يؤنث ويجمع ويثنى. انتهى مختصراً.

قال الفيومي في المصباح المنير: «هَلُمَّ: كَلِمَةٌ بِمَعْنَى الدُّعَاءِ إِلَى الشَّيْءِ، كَمَا يُقَالُ: تَعَالَ. قَالَ الْحَلِيلُ: أَصْلُهُ لَمْ مِنْ الصَّمِّ وَالْجُمُعِ، وَمِنْهُ: لَمْ اللَّهُ شَعْنُهُ، وَكَأَنَّ الْمُنَادِيَ أَرَادَ: لَمْ نَفْسَكَ إِلَيْنَا، وَهَذَا لِلتَّنْبِيهِ وَحَذَفَتْ الْأَلِفُ تَخْفِيفاً لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَجُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا. وَقِيلَ: أَصْلُهَا هَلْ أَمْ؟، أَيُّ قُصِدَ، فَتَقَلَّتْ حَرَكَةُ الهمزة إِلَى اللَّامِ وَسَقَطَتْ ثُمَّ جُعِلَا كَلِمَةً وَاحِدَةً لِلدُّعَاءِ. وَأَهْلُ الْحِجَازِ يُنَادُونَ بِهَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْمَفْرَدِ وَالْجُمُعِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾. وَفِي لُغَةِ نَجْدٍ تَلَحُّقُهَا الصَّمَايِرُ وَتُطَابِقُ، فَيُقَالُ: هَلَمِّي وَهَلْمَا وَهَلْمُوا

وَهَلُمُنْ، لِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَهَا فِعْلًا فَيُلْحِقُونَهَا الصَّمَائِرَ، كَمَا يُلْحِقُونَهَا قُمْ وَقَوْمًا وَقَوْمًا وَقُمْنٌ. ^(١) انتهى.

وقال الكفوي في الكلّيات: «هَلُمْ: هي مركبة من (ها) التنبيه، ومن (لم) واستعملت استعمال البسيطة، وهي اسم فعل يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين، وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم. وهَلُمَّ الشيء أي: قرّبه وأحضره. وهَلُمَّ إلينا بمعنى ائت وتعال، وليس المراد بالإتيان هنا المجيء الحسي بل الاستمرار على الشيء والمداومة عليه..» ^(٢) انتهى.

فَاسْمَعْ: أمر بالاستماع، ومعنى السمع واضح، وهو على الحقيقة ما يكون بالجراحة المعروفة وهي الأذن، ويظهر أنّ مراد الصديقة هنا ليس هو خصوص الاستماع بالجراحة فقط، وإنما ما يشمل العلم.

فيكون المراد من قولها ﷺ: (أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعْ!): الإتيان للاستماع بنحو المداومة، وهذا فيه إشارة دقيقة إلى أنّ ما تدعو إلى الاستماع إليه ﷺ مع التأكيد عليه والتنبيه عليه بأكثر من منبه، هو من الأمور التي لها خطورتها!، ولا سيما إذا لاحظنا عبارات التعجب في كلامها ﷺ، التي سيأتي شرحها.

وقد جاءت (هَلُمَّ) في القرآن الكريم منفردة عن (أَلَا) في موضعين:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءُكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ ^(٣).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ^(٤).

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْقَيْسِيُّ، ص: ٦٣٩.

(٢) الْكَلِّيَّاتُ، الْكَفَوِيُّ، ص: ٩٥٩.

(٣) الْأَنْعَام: ١٥٠.

(٤) الْأَحْزَاب: ١٨.

معنى قولها **عَلَيْهَا**: (وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ!).

تَوْضِيحٌ إِجْمَالِيٌّ

بعد أَنْ نَبَّهَتْ الصَّدِيقَةُ **عَلَيْهَا** بالجملة السابقة (أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعُ!) بَيَّنَتْ أمراً آخر، وهو شِدَّةُ التَّعَجُّبِ، وذلك باستخدام هذه الفقرة (وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ!) الدالة على ذلك، ومعنى هذه الفقرة: بيان شدة التعجب، بتوجيه الخطاب إلى أن الشخص الذي يعيش في هذه الدنيا يرى العجب، وهذا فيه إشارة واضحة إلى أَنَّ ما حدث من الأمة أمر يستحق شدة التعجب منه، حيث لم يتكافؤوا عن الزمام الذي نبذه رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين **عَلَيْهِ**، مع أنه من أوضح الواضحات لديهم.

شَرَحُ الْمُفْرَدَاتِ

الْعَجَبُ: إنكار ما يرد على الشخص لعدم اعتياده أو قلته.
قال ابن منظور في لسان العرب: «**الْعُجْبُ** و**الْعَجَبُ**: إنكار ما يَرِدُ عليك لِقِلَّةِ اغْتِيادِهِ، وجمع **الْعَجَبِ** أَعْجَابٌ، قال:
يَا عَجَباً لِّلْدَّهْرِ ذِي الْأَعْجَابِ الْأَخْدَبِ الْبُرْعُوثِ ذِي الْأُنْيَابِ
وقد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَباً وَتَعَجَّبَ وَاسْتَعْجَبَ، قال:
وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا وَلَوْزَبَتْهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرْمَرَمِ
والاستيعجاب: شِدَّةُ التَّعَجُّبِ... قال الزجاج: أَصْلُ الْعَجَبِ فِي اللُّغَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَا يَنْكَرُهُ وَيَقِلُّ مِثْلُهُ قَالَ: قَدْ عَجِبْتُ مِنْ كَذَا... ابن الأعرابي **الْعَجَبُ**: النَّظَرُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ وَلَا مُعْتَادٍ... وَأُعْجِبَ بِهِ عَجِبَ وَعَجَّبَهُ بِالشَّيْءِ تَعْجِيباً

نَبَّهَهُ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْهُ، وَقِصَّةُ عَجَبٍ وَشَيْءٍ مُعْجِبٍ إِذَا كَانَ حَسَنًا مَعْدًّا، وَالتَّعَجُّبُ أَنْ تَرَى الشَّيْءَ يُعْجِبُكَ تَظُنُّ أَنَّكَ لَمْ تَرَ مِثْلَهُ، وَقَوْلُهُمْ: لِلَّهِ زَيْدٌ، كَأَنَّهُ جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ عَجِيبٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: لِلَّهِ دَرَّةٌ، أَيْ جَاءَ اللَّهُ بِدَرَّةٍ مِنْ أَمْرِ عَجِيبٍ لِكَثْرَتِهِ، وَأَمْرٌ عَجَابٌ وَعُجَابٌ وَعَجَبٌ وَعَجِيبٌ وَعَجَبٌ عَاجِبٌ وَعُجَابٌ عَلَى الْمُبَالَغَةِ يُؤَكِّدُ بِهِ...
وَقَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ: بَيْنَ الْعَجِيبِ وَالْعُجَابِ فَرْقٌ، أَمَّا الْعَجِيبُ: فَالْعَجَبُ يَكُونُ مِثْلَهُ، وَأَمَّا الْعُجَابُ: فَالَّذِي تَجَاوَزَ حَدَّ الْعَجَبِ. وَأَعْجَبَهُ الْأَمْرُ سَرَّهُ وَأُعْجِبَ بِهِ كَذَلِكَ عَلَى لَفْظٍ مَا تَقَدَّمَ فِي الْعَجَبِ وَالْعَجِيبِ، الْأَمْرُ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ، وَأَمْرٌ عَجِيبٌ مُعْجِبٌ، وَقَوْلُهُمْ: عَجَبٌ عَاجِبٌ، كَقَوْلِهِمْ: لَيْلٌ لَائِلٌ، يُؤَكِّدُ بِهِ، وَقَوْلُهُ أَنْشَدَهُ ثَعْلَبُ:
وَمَا الْبُخْلُ يَنْهَانِي وَلَا الْجُودُ قَادَنِي وَلَكِنَّهَا ضَرَبُ إِلَيَّ عَجِيبُ
أَرَادَ يَنْهَانِي وَيَقُودُنِي أَوْ نَهَانِي وَقَادَنِي. ^(١) انتهى.

معنى قولها **عَجَبٌ**: (وَإِنْ تَعَجَّبَ فَقَدْ أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ!).

تَوْضِيحٌ وَتَعْلِيلٌ

تَقْتَنِصُ الصَّدِيقَةُ **عليها السلام** هَذِهِ الْفَقْرَةَ مِنْ صَدْرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ إِنَّا لَنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْيَهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٢).
وَتَقَدَّمَ أَنْ أَشْرْنَا فِي اخْتِلَافِ النِّسْخِ إِلَى أَنَّ نَسْخَةَ الْإِحْتِجَاجِ ذَكَرْتُ نَصَ الْمَقْطَعِ مِنَ الْآيَةِ ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١: ٥٨٠.

(٢) الرِّعْدُ: ٥.

والمعنى في كلامها ﷺ هو نفس المعنى الظاهر من الآية الكريمة، حيث إنّ التعجّب في الآية الكريمة، جاء خطاباً للنبي الأكرم ﷺ، أي: (وإن تعجب يا محمد فعجب قولهم)، المراد بهم الدهريّة من قریش، ثم تذكر الآية الكريمة قولهم الذي هو مثار للتعجب، وهو إنكارهم للمعاد، بحجة أنّهم إذا ماتوا وتحولوا إلى تُراب كيف يمكن إعادتهم من جديد: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. وبيان وجه التعجّب في الآية الكريمة من قولهم هذا، بأنّ من قدر على الإنشاء والإبداع للخلق من العدم كانت الإعادة والمعاد والبعث بعد الموت أهون عليه. ومناسبة الاستشهاد بهذه الآية أو اقتناص المعنى منها كما هو في هذه الفقرة، هو إبراز شدّة التعجّب، وإظهار التقارب بين القولين: أعني قَوْلُ القوم بإبعاد أمير المؤمنين ﷺ عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله ﷺ. وقَوْلُ الدهريّة الذين ذكّرتهم الآية الكريمة، الذين أنكروا أمر المعاد بقولهم: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١)، فكما أنّ حال هؤلاء المنكرين لأمر المعاد مثارٌ للتعجب الشديد والاستغراب الذي لا ينقطع، كذلك حال من أقصى أمير المؤمنين ﷺ عن أخذ زمام الأمة، الذي نبذه إليه رسول الله ﷺ.

معنى قولها ﷺ: (إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَدُّوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟).

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

في هذه الفقرة تُبَدِّي الصّديقةُ ﷺ استفهاماً استنكارياً بجملتين:

الأولى: الاستفهام عن المستند الذي استندوا إليه في زحزحة أمير المؤمنين ﷺ

عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله ﷺ، ومرادها من السناد والمستند: الحجة والدليل الذي سَوَّقَ لهم ارتكاب هذا العمل. ونتيجة ذلك أنها تستفهم مستنكرة من عملهم حيث لا يوجد لديهم مستند ولا حجة اعتمدوا عليها في ارتكاب ذلك. الثانية: الاستفهام والسؤال عن العروة التي تمسكوا بها في ارتكاب عملهم، وهذا الاستفهام فيه إشارة للآية الكريمة الآتية في شرح المفردات. فهي ﷺ تستفهم ومستنكرة عليهم ارتكاب هذا العمل، حيث إنَّه صدر منهم بلا عروة تمسكوا بها.

شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ

السَّنَادُ: ما يُسْتَنْدُ إليه، وهو اتكأ الظهر، أي يُعْتَمَدُ عليه ليكون سَانِدًا للظهر.

قال ابن منظور في لسان العرب: «السَّنَدُ ما ارتَفَعَ من الأرض في قُبُلِ الجبل أو الوادي، والجمع: أَسْنَادٌ، لا يُكْسَرُ على غير ذلك، وكلُّ شيءٍ أَسَدَتْ إليه شيئاً فهو مُسْنَدٌ، وقد سَنَدَ إلى الشيءِ يَسْنُدُ سُنُوداً، واستَنَدَ وتَسَانَدَ وأَسْنَدَ وأَسْنَدَ غيره، ويقال: ساندته إلى الشيء، فهو يَتَسَانَدُ إليه، أي أَسَدَتْهُ إليه، قال أبو زيد:

سَانَدُوهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَوْهُ شُدَّ أَجْلَادُهُ عَلَى التَّسْنِيدِ

وما يُسْنَدُ إليه يُسَمَّى: مِسْنَدًا، وجمعه: الْمَسَانِدُ.»^(١) انتهى.

ومنه الدعاء: «يَا سَنَدَ مَنْ لَا سَنَدَ لَهُ».

العُرْوَةُ: ما يَتَمَسَّكُ به، فيقال: عروة الدلو، وعروة الكوز، وأمثالهما.

قال الطريحي في مجمع البحرين: «قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ

محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» أي بالعقد الوثيق. قال الشيخ أبو علي: أي ومن يخلص دينه لله ويقصد في أفعاله التقرب إليه وهو محسن فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع. وقيل: إن إسلام الوجه: الانقياد إلى الله في أوامره ونواهيه، وذلك يتضمن العلم والعمل، فقد استمسك بالعروة الوثقى: أي فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى انفصامها، والوثقى تأنيث الأوثق. قال الزمخشري: وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به. وفي الحديث: «العروة الوثقى الإيمان». وفي آخر: «التسليم لأهل البيت عليهم السلام». والعري جمع عروة، كمدية ومدى. وقوله: «ذلك أوثق عرى الإيمان»، على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها ويستوثق. وفيه: «عرى الإيمان الصلاة والزكاة والحج والعمرة وأوثق عرى الإيمان الحب في الله». وفيه: «لا تشد العرى إلا إلى ثلاثة»، هي جمع عروة، يريد عرى الأحمال والرواحل، وعروة الكوز معروفة.^(١) انتهى.

وقد جاء عنوان «العروة الوثقى» في الذكر الحكيم في موضعين:

أحدهما قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وثانيهما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٣).

(١) تَجَمُّعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ النَّبِيِّينَ، الطَّرِيجِي ٣: ١٦٩.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) لقمان: ٢٢.

أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ

قد تقدم أن جمع العروة: عُرى. وتبين مما تقدم استعمال التمسك بالعروة في الأمور المعنوية كما هو في المادية، كما جاء ذلك في القرآن الكريم، وقد ورد هذا العنوان في مجموعة من الروايات، تبين أوثق العرى، أي: ما يُتمسك به لثبات الإيمان، وظاهر هذه الروايات بيان مجموعة من الأمور التي تشكل عرى ومستمسكات لثبات الإيمان، وتُصرّح بأن أوثق وأقوى وأثبت هذه العرى هو الحب في الله والبغض في الله.

منها: ما رواه الشيخ الكليني في أصول الكافي في باب الحب في الله والبغض في الله، بإسناده عن عمرو بن مذكّر الطائي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِأَصْحَابِهِ: «أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الصَّلَاةُ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الزَّكَاةُ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الصِّيَامُ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الْجِهَادُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِكُلِّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ وَلَيْسَ بِهِ، وَلَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ وَتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالتَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ»^(١).

ومنها: ما رواه بإسناده عن سعيد الأعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ وَتُعْطِيَ فِي اللَّهِ وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ»^(٢). وفي بعض الروايات حصر الإيمان في الحب في الله والبغض في الله، وبعضها حصر الدين في ذلك.

(١) أصول الكافي، الشيخ الكليني ٢: ١٢٤.

(٢) أصول الكافي، الشيخ الكليني ٢: ١٢٤.

منها: ما رواه الشيخ الكليني بإسناده عَنْ فَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ أَمِنْ الْإِيمَانِ هُوَ؟ فَقَالَ: «وَهَلِ الْإِيمَانُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾»^(١).

ومنها ما رواه البرقي في المحاسن بإسناده عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ زِيَادٍ الْحَذَّاءِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ لَهُ قَالَ: «يَا زِيَادُ وَيُحْكُ، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أَلَا تَرَى قَوْلَ اللَّهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وَقَالَ: «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» فَقَالَ: الدِّينُ هُوَ الْحُبُّ وَالْحُبُّ هُوَ الدِّينُ»^(٢).

عَوْدٌ عَلَى بَدْءِ

ثم إِنَّ مرجع الضمير في كلامها عَلَيْهِ السَّلَامُ في قولها: (اسْتَنْدُوا) و(تَمَسَّكُوا) إلى الأُمَّة، كما هو حال بقية الضمائر المتقدمة، حيث إِنَّ مرجعها إلى بداية الخطبة في قولها عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَالِيَّةٌ لِرِجَالِكُمْ). فلا تغفل.

فهي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المقطع بكلا فقرتيه، تستفهم مستنكرة بعد التنبيه، أَنَّ الأُمَّة التي زَحَرَتْ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله ﷺ، إلى ماذا استندوا؟ وبأي عروة تمسكوا؟.

ثم تجيب عَلَيْهِ السَّلَامُ هي عن هذا الاستفهام بأن لا جواب لدى الأُمَّة، على هذا، حيث

(١) أَصُولُ الْكَلْبِيِّ، الشَّيْخُ الْكَلْبِيُّ ٢: ١٢٤.

(٢) الْمَحَاسِنُ، الْبَرْقِيُّ ١: ٢٦٢.

لا يوجد لديهم ما يستندون إليه ويتمسكون به، سوى ما ذكرته ﷺ بنحو الكناية والاستعارة في آخر المقطع، وهو قولها:

معنى قولها ﷺ: (اسْتَبْدَلُوا الذَّنَابِيَّ وَاللَّهَ بِالْقَوَادِمِ، وَالْعَجَزَ بِالْكَاهِلِ).

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

إنَّها ﷺ في هذا المقطع تبين: إِنَّ الأُمَّة استبدلوا أمرين بأمرين، وهذا الاستبدال يتضمن استبدال الأدنى بالذي هو خير، وهو المعنى المذكور في قوله تعالى: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(١). وقد أكدت على تحقق هذا الاستبدال منهم بتضمينه للقسم بلفظ الجلالة، حيث إنَّها تقسم جازمة على وقوع ذلك الإستبدال. وقد استعارت ﷺ لذلك أربعة ألفاظ: استبدلوا (الذَّنَابِيَّ) (بِالْقَوَادِمِ) واستبدلوا (الْعَجَزَ) (بِالْكَاهِلِ). وسيأتي شرح هذه الألفاظ مع بيان وجه الاستعارة.

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ

اسْتَبْدَلُوا: الضمير في هذه الجملة راجع إلى الأمة، وهو من البَدَل والتبديل. قال الفيومي في المصباح المنير: «الْبَدَلُ بِفَتْحَتَيْنِ، وَالْبَدْلُ بِالْكَسْرِ، وَالْبَدِيلُ كُلُّهَا بِمَعْنَى، وَالْجَمْعُ: أَبْدَالٌ، وَأَبْدَلْتُهُ بِكَذَا إِبْدَالًا: تَحَيَّتِ الْأَوَّلُ وَجَعَلْتُ الثَّانِي مَكَانَهُ، وَبَدَّلْتُهُ تَبْدِيلًا، بِمَعْنَى غَيَّرْتُ صُورَتَهُ تَغْيِيرًا، وَبَدَّلَ اللَّهُ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ... وَبَدَّلْتُ الثُّوبَ بِغَيْرِهِ أَبْدَلُهُ - مِنْ بَابِ قَتَلَ - وَاسْتَبْدَلْتُهُ بِغَيْرِهِ، بِمَعْنَاهُ وَهِيَ الْمُبَادَلَةُ أَيْضًا»^(٢). انتهى.

(١) البقرة: ٦١.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ص: ٣٩.

وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضع وبمعاني مختلفة.

منها: ما جاء في تبديل الوصية، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾^(١).

ومنها: ما جاء في قصة نبي الله موسى مع الخضر في شأن الغلام الذي قتله الخضر، في قوله تعالى: ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾^(٢).
ومنها: ما جاء في استبدال الخوف بالأمن، في قوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٣).

ومنها: ما جاء في استبدال السيئات بالحسنات، في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(٤).

الدُّنَابِيُّ: ذنب الطائر، والدَّئِبُ: الذيل في الحيوانات، وقيل: إِنَّ الذنابي أربع ريشات في آخر جناح الطائر.

قال الجوهري في الصحاح: «الدُّنَابِيُّ: ذَنْبُ الطَّائِرِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الدَّئِبِ. وَذَنْبُ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ وَدُنَابَاهُمَا، وَذَنْبٌ أَكْثَرُ مِنْ دُنَابِي فِيهِمَا. وَفِي جَنَاحِ الطَّائِرِ أَرْبَعُ دُنَابِي بَعْدَ الْخَوَافِي. وَالدُّنَابِيُّ: الْإِتْبَاعُ»^(٥) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «الدُّنَابِيُّ والدُّنْبِيُّ - بَضْمُهُمَا وَفَتْحُ النُّونِ فِي الْأَوَّلِ وَضَمُّهُمَا مَعَ تَشْدِيدِ الْمُوَحَّدَةِ فِي الثَّانِي، وَالدُّنْبِيُّ - بِالْكَسْرِ -: الدَّئِبُ، الْأَخِيرَانِ عَنِ

(١) البقرة: ١٨١.

(٢) الكهف: ٨١.

(٣) النور: ٥٥.

(٤) الفرقان: ٧٠.

(٥) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢: ١٤٤.

الهَجَرِيّ، وأنشد:

يُبَشِّرُنِي بِالْبَيْنِ مِنْ أَمِّ سَالِمٍ أَحَمُّ الدَّنْبِي حُطَّ بِالتَّنْفِيسِ حَاجِبُهُ
يُرَوِّى بِهِمَا، وَعَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

جَمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةٌ الدُّنَابِي

... والذي قاله الرِّبَاشِيُّ: الدُّنَابِي لِذِي جَنَاحٍ، والدَّنْبُ لِغَيْرِهِ، وَرَبَّمَا اسْتُعِيرَ الدُّنَابِي لِلْفَرَسِ... ومن المجاز: دَنَبُ الرَّجُلِ، وَأَذْنَابُ النَّاسِ وَدَنَبَاتُهُمْ - مُحَرَّكَةً - أَي: أَتْبَاعُهُمْ وَسَفِلَتُهُمْ... ويقال: جَاءَ فُلَانٌ بِدَنْبِهِ، أَي بِأَتْبَاعِهِ، وقال الحطيطه يمدح قومًا:

قَوْمٌ هُمُ الرُّأْسُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ الثَّاقَةِ الدَّنْبَا

... وَأَذْنَابُ الْأُمُورِ: مَا خِيَرَهَا، عَلَى الْمَثَلِ أَيْضًا.^(١) انتهى.

القَوَادِمُ: قيل: هي عشر ريشات في أول جناح الطائر، ويعتمد عليها الطائر في الطيران، وبدونها لا يتمكن أن يطير.

قال ابن منظور في لسان العرب: «القَوَادِمُ: أربع ريشات في مُقَدِّمِ الجناح، الواحدة قَادِمَةٌ، وهي القُدَامَى، والمناكب اللواتي بعدهن إلى أسفل الجناح، والحوافي ما بعد المناكب، والأباهر من بعد الحوافي. وقيل: قَوَادِمُ الطير مَقَادِيمُ ريشه، وهي عشر في كل جناح. ابن الأنباري: قُدَامَى الرِّيشِ الْمُقَدَّمِ.»^(٢) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «المَنَاكِبُ في الرِّيشِ من جَنَاحٍ نَسْرٍ أَوْ عُقَابٍ: بَعْدَ الْقَوَادِمِ، وهي أَقْوَى الرِّيشِ وَأَجُودُهُ. وفي اللِّسَانِ: الْمَنَكِبُ في جَنَاحِ الطَّائِرِ:

(١) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِي ٢: ٤٤٠.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١٢: ٤٦٩.

عِشْرُونَ رِيثَةً: أَوَّلُهَا الْقَوَادِمُ، ثُمَّ الْمَنَاقِبُ، ثُمَّ الْحَوَافِي، ثُمَّ الْأَبَاهِرُ، ثُمَّ الْكَلَى^(١). انتهى.

الْعَجْزُ: وَعَجَزَ الْإِنْسَانُ: مُؤَخَّرُهُ، وَبِهِ شُبَّةٌ مُؤَخَّرٌ غَيْرُهُ. وَالْعَجْزُ أَصْلُهُ التَّأَخَّرُ عَنِ الشَّيْءِ، وَصَارَ فِي التَّعَارُفِ اسْمًا لِلْقُصُورِ عَنْ فِعْلِ الشَّيْءِ، وَهُوَ ضِدُّ الْقُدْرَةِ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ: «الْعَجْزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، يُؤْتَى وَيَذْكَرُ.... وَالْعَجْزُ: الضَّعْفُ. تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجِزُ - بِالْكَسْرِ - عَجْزًا وَمَعْجِزَةً وَمَعْجِزَةً وَمَعْجِزًا وَمَعْجِزًا - بِالْفَتْحِ - أَيْضًا عَلَى الْقِيَاسِ. وَعَجَزَتِ الْمَرْأَةُ تَعْجِزُ - بِالضَّمِّ - عَجُوزًا، أَيْ صَارَتْ عَجُوزًا... قَالَ ثَعْلَبٌ: سَمِعْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ: لَا يَقَالُ: عَجَزَ الرَّجُلُ - بِالْكَسْرِ - إِلَّا إِذَا عَظُمَ عَجْزُهُ... وَأَعْجِزْتُ الرَّجُلَ: وَجَدْتُهُ عَاجِزًا. وَأَعْجِزُهُ الشَّيْءُ: أَيْ فَاتَهُ... وَالتَّعْجِيزُ: التَّثْبِيطُ، وَكَذَلِكَ إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الْعَجْزِ. وَعَاجَزَ فُلَانٌ، إِذَا ذَهَبَ فَلَمْ يَوْصِلْ إِلَيْهِ. وَإِنَّهُ لِيَعَاجِزُ إِلَى ثِقَةٍ، إِذَا مَالَ إِلَيْهِ. وَالْمُعْجِزَةُ: وَاحِدَةُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ. وَالْعَجُوزُ: الْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ. وَالْجَمْعُ: عَجَائِزٌ وَعُجْزٌ^(٢)». انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾^(٣).

وعليه فيكون مرادها ﷺ، من العجز ما يقابل الكاهل من حيث التأخر والتقدم، ومن حيث قوة التحمل التي تقع على الكاهل ولا يمكن أن يتحملها العجز.

الْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ، وَكَاهَلَ الْقَوْمُ: عَمِدَتْهُمْ فِي الْمَهْمَاتِ، وَعَدَتْهُمْ لِلشَّدَائِدِ وَالْمَلَمَاتِ.

(١) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرَّيْنُودِيُّ ٤ : ٣٠٩.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٣ : ٨٨٣.

(٣) المائدة: ٣١.

قال الفيومي في المصباح المنير: «الكاهل: مُقَدَّمُ أَغْلَى الظَّهْرِ مِمَّا يَلِي العُنُقَ، وَهُوَ الثُّلُثُ الْأَعْلَى، وَفِيهِ سِتُّ فَقَرَاتٍ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: الكاهلُ مِنَ الْإِنْسَانِ خَاصَّةً، وَيُسْتَعَارُ لِغَيْرِهِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ مَوْصِلُ العُنُقِ، وَقَالَ فِي الْكِفَايَةِ: الكَاهِلُ هُوَ الْكَتِيدُ.»^(١) انتهى.

تَحْلِيلٌ

وهنا تظهر قوّة الإستعارة والكناية في كلامها ﷺ، في هاتين الفقرتين من استبدال: (الذنابي بالقوادم) و(العجز بالكاهل)، ومضافاً إلى ذلك تأكيداً على تحقق الاستبدال بتضمين هذا المقطع بالقسم (استبدلوا... والله..)، حيث إنّها تؤكد هذا المعنى الذي أرادته وتقسم بالله عليه، ونتيجة ذلك كله هو: تَقْدِيمُ مَنْ حَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَتَأْخِيرُ مَنْ حَقُّهُ التَّقْدِيمُ. حيث قدّموا من هو بمثابة الذنابي على من هو بمثابة القوادم، ومن هو بمثابة العجز على من هو بمثابة الكاهل، وهذا ما جعلها تبدي التعجب والاستغراب والاستفهام، حيث صدرت هذا المقطع بالتنبيه ثم ألحقته بالتعجب ثم ألحقته بالاستفهام.

بِسْمِ اللَّهِ

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْوُمِي، ص: ٥٤٣.

المقطع الثامن

((فَرَعْمًا لِمَعَاطِيسَ قَوْمٍ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا))^(١) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢) ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣))).

اختلاف النسخ

نسخة «الاحتجاج» مطابقة لنسخة «معاني الأخبار»، إلا في زيادة كلمة (ويجهم) قبل الآية الثالثة. وأما في نسخة «الأمالي» فقد افتتح المقطع بهذه الفقرة (فَتَعَسَّاءَ لِقَوْمٍ) بدلاً من فقرة: (فَرَعْمًا لِمَعَاطِيسَ قَوْمٍ)، ثم وافق «معاني الأخبار» في ذكر الآيات الثلاث، وكما هو في «الاحتجاج».

توضيح جمالي

هذا المقطع هو تفريع بـ(الفاء) على المقطع السابق، الذي أبدت فيه الصديقة عليها السلام التعجب بصياغات متعددة، وتقدم شرحه، ثم في هذا المقطع تظهر الصديقة عليها السلام لونا آخر من الغضب وعدم الرضا بما أقدم عليه القوم من إبعادهم وزحزحتهم لأمر المؤمنين عليهم السلام عن الزمام والقيادة التي نبذها إليه رسول الله صلوات الله عليه وآله،

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) البقرة: ١٢.

(٣) يونس: ٣٥.

حيث تفتح هذا المقطع من كلامها بالدعاء عليهم بقولها: (رَغْمًا لِمَعَاطِيسِ قَوْمٍ) التي سيأتي شرحها، ثم تعقب ذلك بوصفهم بأوصاف تضمنتها الآيات الثلاث التي استشهدت بها.

شَرَحُ الْمُفْرَدَاتِ

معنى قولها **رَغْمًا لِمَعَاطِيسِ قَوْمٍ**:

رَغْمًا: مأخوذ من الرِّغَام: وهو الترابُ الدقيق، ويقال: رَغِمَ أنفُ فلانٍ رَغْمًا: وَقَعَ في الرِّغَام، ويُعبّر بذلك عن السَّخَط. وعلى هذا قيل: أَرْغَمَ اللهُ أنْفَهُ. قال الفيومي في المصباح المنير: «الرِّغَامُ بِالْفَتْحِ التُّرَابُ، وَرَغِمَ أنْفُهُ رَغْمًا - مِنْ بَابِ قَتَلَ - وَرَغِمَ - مِنْ بَابِ تَعَبَ لُغَةً - كِنَايَةً عَنِ الدَّلِّ، كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالرِّغَامِ هَوَانًا. وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ فَيَقَالُ: أَرْغَمَ اللهُ أنْفَهُ، وَفَعَلْتُهُ عَلَى رَغَمٍ أنْفِهِ - بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ - أَيْ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ، وَرَاعَمْتُهُ: غَاظَبْتُهُ، وَهَذَا تَرْغِيمٌ لَهُ، أَيْ إِذْلَالٌ. وَهَذَا مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي جَرَتْ فِي كَلَامِهِمْ بِأَسْمَاءِ الْأَعْضَاءِ وَلَا يُرِيدُونَ أَعْيَانَهَا، بَلْ وَضَعُوهَا لِمَعَانٍ غَيْرِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الظَّاهِرَةِ، وَلَا حَظَّ لظَاهِرِ الْأَسْمَاءِ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كَلَامُهُ تَحْتَ قَدَحِي، وَحَاجَتُهُ خَلْفَ ظَهْرِي، يُرِيدُونَ الْإِهْمَالَ وَعَدَمَ الْإِحْتِفَالِ»^(١). انتهى.

وقال الجوهري في الصحاح: «الرِّغَامُ، بالفتح: التراب. وقال:

وَلَمْ آتِ الْبُيُوتَ مُطَنَّبَاتٍ بِأَكْثَبَةِ فَرَدَنَ مِنَ الرِّغَامِ

أي انفردن. ويقال: أَرْغَمَ اللهُ أنْفَهُ، أي أَلَصَقَهُ بِالرِّغَامِ... والمُرَاعَمَةُ: المِغَاصَبَةُ.

(١) المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيْيُومِي، ص: ٢٣١.

يقال: راعَمَ فلانٌ قومه، إذا نابذهم وخرج عليهم. والْتَرَعُمُ: التَغَضُّبُ... والرُّعْمُ - بالضم - والْتَرَعُمُ. وفيه ثلاث لغات: رُعْمٌ، ورَعْمٌ، ورِغْمٌ. والمَرَعَمَةُ مثله... وتقول: فعلتُ ذاك على الرِّعْمِ من أنفه. ورَعَمَ فلانٌ - بالفتح - إذا لم يقدر على الانتصاف. يقال: رَعِمَ أنفي لله عز وجل - بالكسر والفتح - رُعْمًا ورَعْمًا ورِغَمًا والمُرَاعَمُ: المذهب والمهرب. قال الجعدي:

كَطَوْدٍ يُلَاذُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ الْمُرَاعَمِ وَالْمَهْرِبِ

ومنه قوله تعالى: ﴿يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا﴾. قَالَ الْفَرَّاءُ: الْمُرَاعِمُ: الْمَضْطَرَبُ وَالْمَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ^(١) انتهى.

الْمَعَاطِيسُ: جمع الْمَعْطِيسِ - بالكسر - وَالْمَعْطَسُ - بالفتح -: الْأَنْفُ، لِأَنَّ الْعُطَّاسَ يَخْرُجُ مِنْهُ.

قال الزبيدي في تاج العروس: «عَطَسَ يَعْطُسُ، - بالكسر -... وَيَعْطُسُ - بالضم - عَطَسًا وَعُطَّاسًا، كُغْرَابٍ: أَتَتْهُ الْعَطَسَةُ... ومن الْمَجَازِ: عَطَسَ الصُّبْحُ عَطَسًا، إِذَا انْقَلَقَ... وَالْعَطُوسُ: مَا يُعْطَسُ مِنْهُ... وقال ابن الْأَعْرَابِيِّ: الْعَاطُوسُ: دَابَّةٌ يُتَشَاءَمُ بِهَا، وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ لِبَرْقَةِ بْنِ الْعَبْدِ:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ عَوَاطِيسُ جَمَّةٍ وَمَرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظَبْيٌ مُصَمَّعٌ

... وَالْمَعْطَسُ، كَمَجْلِسٍ وَمَقْعَدٍ. الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّيْثِ: الْأَنْفُ، لِأَنَّ الْعُطَّاسَ مِنْهُ يَخْرُجُ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْمَعْطِيسُ، بِكسر الطاء لا غَيْرُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّغَةَ الْحَبَشَةَ يَعْطِسُ بِالْكَسْرِ... وَالْجَمْعُ: الْمَعَاطِيسُ.... وَالْمَعْطَسُ، كَمُعْظَمٍ: الْمُرْعَمُ الْأَنْفِ، عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ، يُقَالُ: رَدَدْتُهُ مُعْطَسًا، أَيِ مُرْعَمًا^(٢) انتهى.

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٦: ٢١٢.

(٢) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ٨: ٣٦٧.

تَعْلِيلٌ

فيكون قولها عليها السلام: (فَرَعْمًا لِمَعَاطِسِ قَوْمٍ) تفریعاً على ما تقدم من كلامها، وفيه إظهار للسخط وعدم الرضا بما تقدم ذكره من تصرف الأمة تجاه أمير المؤمنين عليه السلام، فتكون هذه الفقرة إما مسوقة لإظهار السخط، أو مسوقة للدعاء، بمعنى: أَرَعَمَ اللَّهُ مَعَاطِسَ قَوْمٍ، وهو الأنسب، ويمكن إرادة معنى الدعاء وإظهار السخط.

معنى قولها عليها السلام: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

تَوْضِيحٌ إِجْمَالِيٌّ

هنا استشهدت الصديقة عليها السلام بهذه الفقرة من الآية الكريمة، قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١) التي جاءت في مقام الوصف للقوم، أي: (قَوْمٌ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) فبعد أن أظهرت عليها السلام السخط عليهم بإرغام معاطسهم في الفقرة السابقة أو الدعاء عليهم بذلك، وصفتهم بذلك المعنى المذكور في الآية الكريمة، في وصف من ضل سعيهم في الحياة الدنيا.

كما أن هذه الآية الكريمة بكاملها جاءت في مقام الوصف للأخسرين أعمالاً، الذين ذُكروا في الآية السابقة على هذه الآية في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٢).

ثم إنّه من مجموع الآيات المرتبطة بسياق الآية التي استشهدت عليها السلام بها، يظهر

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) الكهف: ١٠٣.

المعنى المراد لها ﷺ في هذا المقطع، الذي افتتحته بالدعاء عليهم بإرغام معاطسهم، أو إظهار السخط بتلك الفقرة، ثم عقبته بثلاث آيات كريمة، كان أولها هذه الفقرة من الآية الكريمة: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾، المرتبطة سياقاً بآيات سابقة عليها ولاحقة لها، ومن مجموعها يتضح جلياً وجه استشهادها، حيث كان نسق وترتيب الآيات الكريمة السابقة واللاحقة للفقرة التي استشهدت بها هكذا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝﴾^(١).

وبناءً عليه سوف يتضمن استشهادها ﷺ عدة عناوين، منها عنوان: الأخسرين أعمالاً ﴿الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾.

ومنها عنوان: ضلال السعي في الحياة الدنيا ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. ومنها العنوان المستشهد به في الخطبة: يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.

ومنها عنوان: من حبطت أعمالهم ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾. ومنها عنوان: من لا يقام لهم يوم القيامة وزناً ﴿لَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾. ومنها عنوان: الجزاء بجهنم ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾. وفي ذلك دلالة واضحة على عظم الخطب الذي صدر من القوم تجاه أمير المؤمنين ﷺ مما دعاء الصديقة ﷺ أن تخاطب القوم بهذا الخطاب.

معنى قولها **عَلَيْهَا**: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

تَوْضِيحٌ إِجْمَالِيٌّ

هذه هي الآية الثانية التي استشهدت بها الصديقة **عَلَيْهَا** في هذا المقطع، والتي يتبين منها الفساد الذي ترتب على ما فعلوه من إبعاد أمير المؤمنين **عَلَيْهِ** عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله **ﷺ**، حيث إنها **عَلَيْهَا** باستشهادها بهذه الآية، يتضمن خطابها وصفهم بـ (المفسدين) بعد التنبيه على ذلك بأداة التنبيه (ألا) الواردة في صدر الآية الكريمة، ثم التأكيد بـ (إنَّ). وبهذا تتضح الإشارة إلى الآية السابقة على هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ٥ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ٦﴾^(١).

وأُيِّ فساد أعظم من إبعاد وإقصاء حجة الله على الخلق عن المقام الذي عيّنه الله جل جلاله فيه، والزمهم الذي نبذه إليه رسول الله **ﷺ**.

بَحْثُ قُرْآنِيٍّ حَوْلَ عُنْوَانِ الْمُفْسِدِينَ

تكرر عنوان المفسدين في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وهو في مقابل عنوان المصلحين، وهو مأخوذ من عنوان الإفساد المقابل لعنوان الإصلاح. وقبل الدخول في البحث القرآني نذكر بعض كلمات اللغويين في بيان معنى الفساد.

قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: «فَسَدَ كَنَصَرَ وَعَقَدَ وَكُرَّم فَسَادًا وَفُسُودًا: ضِدُّ صَلَاحٍ فَهُوَ فَاسِدٌ وَفَسِيدٌ مِنْ فَسَدَى وَلَمْ يُسْمَعْ: اِنْفَسَدَ. وَالْفَسَادُ: أَخْذُ

المالِ ظُلماً والجذبُ. والمفسدةُ: ضدُّ المصلحةِ. وفَسَدَهُ تَفْسِيداً: أَفْسَدَهُ. وتَفَاسَدُوا: قَطَعُوا الأَرْحَامَ. واستَفْسَدَ: ضِدُّ استَصْلَحَ. ^(١) انتهى.

وقال الفيومي في المصباح المنير: «فَسَدَ الشَّيْءُ فُسُوداً - مِنْ بَابِ قَعَدَ - فَهُوَ فَاسِدٌ، وَالْجُمُعُ: فَسَدَى، وَالْإِسْمُ: الْفَسَادُ.... وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ، وَالْمَفْسَدَةُ خِلَافُ الْمَصْلَحَةِ، وَالْجُمُعُ: الْمَفَاسِدُ.» ^(٢) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «فَسَدَ يَفْسُدُ وَيَفْسِدُ. وَفَسَدَ كَنَصَرَ وَعَقَدَ وَكُرِمَ، الْأَوَّلُ هِيَ الْمَشْهُورَةُ الْمَعْرُوفَةُ،... فَسَاداً مصدر البابِ الثالثِ، وفُسُوداً بالضم مصدر البابِ الأولِ: ضِدُّ صَلَحَ. قال شيخنا: وقد اختلفت عباراتهم في معناه، ف قيل: فَسَدَ الشَّيْءُ: بَطَلَ واضْمَحَلَّ، ويكون بمعنى تَغَيَّرَ، ومن الأول عند الأكثر: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ... ويقال: أَفْسَدَ الْمَالُ يُفْسِدُهُ إِفْسَاداً وَفَسَاداً. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾. وقوله عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الفسادُ هنا: الجذبُ في البرِّ والقحْطُ في البحرِ، أي في المُدُنِ التي على الأنهارِ، وهذا قولُ الرَّجَّاجِ. والمفسدةُ ضِدُّ المصلحةِ، وقالوا: هذا الأمرُ مَفْسَدَةٌ لِكَذَا، أي فيه فَسَادٌ، قال الشاعر:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْعَقْلِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
... وَفَسَدَهُ تَفْسِيداً أَفْسَدَهُ وَأَبَارَهُ، قال أبو جُنْدَبٍ الْهَذَلِيُّ:

وَقُلْتُ لَهُمْ قَدْ أَذْرَكْتُكُمْ كَتِيبَةً مُفْسَدَةُ الْأَذْبَارِ مَا لَمْ تُخَفَّرْ
أَيَّ أَشَدَّتْ عَلَى قَوْمٍ قَطَعَتْ أَذْبَارَهُمْ مَا لَمْ تُخَفَّرِ الْأَذْبَارُ، أَيَّ مَا لَمْ تُنْمَعَ....
واستَفْسَدَ فلانٌ إلى فلانٍ: ضِدُّ استَصْلَحَ، واستَفْسَدَ السُّلْطَانُ قَائِدَهُ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِ

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١: ٦١٤.

(٢) البصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ص: ٤٧٢.

حَتَّى اسْتَعَصَى عَلَيْهِ^(١) انتهى.

ومن ذلك يتضح معنى الفساد وأنه مقابل الصلاح، والمفسدة مقابل المصلحة، والمفسدين مقابل المصلحين.

عُنْوَانُ الْفَسَادِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وقد ورد عنوان الفساد في القرآن الكريم بمعاني متقاربة، يجمعها المعنى المقابل للصلاح.

منها: ما ورد في شأن التعامل والمخالطة مع اليتامى بالصلاح، وأن الله يعلم ذلك التعامل، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(٢).

ومنها: ما ورد في عدة موارد حول علم الله سبحانه بالمفسدين، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(٣).

ومنها: ما ورد في وصف اليهود بأنهم يسعون في الأرض فساداً، قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤).

ومنها: ما ورد في الأمر بالنظر لعاقبة المفسدين، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٦).

(١) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزَّيْنِدِيُّ ٥ : ١٦٤.

(٢) البقرة: ٢٢٠.

(٣) آل عمران: ٦٣.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) الأعراف: ١٠٣، النمل: ١٤.

(٦) الأعراف: ٨٦.

ومنها: ما ورد في الأمر بالإصلاح والنهي عن اتباع سبيل المفسدين: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

ومنها: ما ورد في أمر السحرة وفساد السحر وأن الله يبطله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

ومنها: ما ورد في الأمر بالإحسان والنهي عن ابتغاء الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣).

ومنها: ما ورد في بيان ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٤).

خُلَاصَةٌ

والخلاصة: من مجموع هذه الآيات الكريمة وغيرها يتبين أن الفساد والإفساد في المفهوم القرآني، هو المخالفة للقانون الإلهي الذي به يكون قوام النظام البشري، وبمخالفته يحصل الاخلال بذلك النظام الإلهي، فلذلك ورد النهي عن الفساد والإفساد في الأرض، وأن الله سبحانه لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين. وعليه فيكون استشهاد الصديقة عليها السلام بهذه الآية الكريمة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) يونس: ٨١.

(٣) القصص: ٧٧.

(٤) الروم: ٤١.

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾^(١) مع ارتباطها سياقاً بالآية السابقة عليها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٧﴾﴾^(٢) يتضمن الدلالة على مخالفة القانون الإلهي في الأرض والإخلال به، ولذلك استدعى صدور الخطاب من الصديقة عليها السلام بهذه اللهجة الشديدة.

معنى قولها عليها السلام: «أَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

هذه الفقرة الثالثة التي استشهدت بها الصديقة الكبرى عليها السلام في هذا المقطع، وهي من الآية الكريمة قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ أَتَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣).

ومنه يظهر أنها عليها السلام تخاطب العقل العام للأمة، بمعنى أَنَّ عَقْلَكُمْ، بل العقل البشري، يحكم باتِّباع من يهدي إلى الحق، وليس من لا يهدي إلى الحق، وإنما هو محتاج لمن يهديه، فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ باتِّباع من لا يهدي إلا أَنْ يُهْدَى!.

هذا وقد ورد تأكيد هذا المعنى في استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الآية، فيما رواه الشيخ الكليني بإسناده عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «لَقَدْ قَضَى

(١) البقرة: ١١-١٢.

(٢) البقرة: ١١-١٢.

(٣) يونس: ٣٥.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَضِيَّةٍ مَا قَضَى بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَكَانَتْ أَوَّلَ قَضِيَّةٍ قَضَى بِهَا
 بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبِي
 بَكْرٍ، أَتَى بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ:
 نَعَمْ. فَقَالَ: وَلِمَ شَرِبْتَهَا وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا أَسْلَمْتُ وَمَنْزِلِي بَيْنَ ظَهْرَانِي
 قَوْمٌ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْتَحِلُّونَهَا وَلَوْ أَعْلَمَ أَنَّهَا حَرَامٌ فَأَجْتَنِبُهَا، قَالَ: فَالْتَفَتَ أَبُو
 بَكْرٍ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا حَفْصٍ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مُعْضَلَةٌ وَأَبُو
 الْحَسَنِ لَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا غُلَامُ اذْغُ لَنَا عَلِيًّا، قَالَ عُمَرُ: بَلْ يُؤْتَى الْحُكْمُ فِي
 مَنْزِلِهِ، فَأَتَوْهُ وَمَعَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، فَأَخْبَرَهُ بِقَضِيَّةِ الرَّجُلِ، فَاقْتَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ،
 فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي بَكْرٍ: ابْعَثْ مَعَهُ مَنْ يَدُورُ بِهِ عَلَى مَجَالِسِ الْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ، فَمَنْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِ آيَةَ التَّحْرِيمِ، فَلْيَشْهَدْ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَلَا عَلَيْهِ
 آيَةَ التَّحْرِيمِ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ بِالرَّجُلِ مَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَشْهَدْ
 عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَ سَلْمَانُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ أَرَشَدْتَهُمْ! فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُجَدِّدَ تَأْكِيدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي وَفِيهِمْ ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
 يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

وفي هذا إشارة واضحة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢)، فقد
 تظاهرت النصوص من الخاصة والعامة، بأنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُنْذِرُ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ الْهَادِي. وهنا أكتفي بنقل رواية من طرق الخاصة، ورواية من طرق العامة.

ومن طرق الخاصة: ما رواه الشيخ الكليني بإسناد صحيح إلى بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ عَنْ
 أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؟ فَقَالَ:

(١) فُرُوعُ الْكَافِي، الشَّيْخُ الْكَلْبِيُّ ٧ : ٢٤٩.

(٢) الرعد: ٧.

«رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِّنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٌّ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ»^(١).

ومن طرق العامة: فقد روى العامة بإسناد حسن عن ابن عباس، لما نزلت هذه الآية «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(٢): «وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: أنا المنذر، ثم أوماً إلى منكب علي وقال: أنت الهادي، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي»^(٣).

وبناءً على ذلك يكون استشهداد الصديقة عليها السلام بهذه الآية الكريمة للدلالة على حكم العقل: بأن من يهدي إلى الحق هو الأحق أن يُتبع، وأما من لا يهدي إلى الحق فكيف يمكن أن نخالف العقل باتباعه، وهل ذلك إلا مخالفة لأمر بديهي لا يختلف فيه أحد!

ثم إن كون أمير المؤمنين عليه السلام هو من يهدي إلى الحق، فمن أوضح الواضحات، لدلالة النصوص المتواترة من الفريقين على ذلك، ولولا خشية الإطالة لبسطنا الكلام في هذا المبحث، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع الكتب المطولة في ذلك، كشرح إحقاق الحق، وغيره.

بِسْمِ اللَّهِ

(١) أصول الكافي، الشيخ الكليني ١: ١٩١.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) فَتْحُ الْبَارِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، ابْنُ حَجَرٍ ٨: ٢٨٥. مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، الرَّازِي ١٩: ١٤.

المقطع التاسع

((أَمَّا لَعَمْرُ إِلَهَك، لَقَدْ لَقِحتْ، فَنَظَرَةً رَيْثَمَا تُنْتَجُ، ثُمَّ احْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ دَمًا عَبِيطًا وَذُعَافًا مُمْقِرًا، هُنَالِكَ يَحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ، وَيُعْرِفُ التَّالُونَ غَيْبَ مَا سَنَّ الْأَوَّلُونَ)).

اِخْتِلَافُ النُّسخِ

لا يوجد اختلاف في هذا المقطع بين النسخ الثلاثة إلا في بعض الكلمات، بنحو لا يتغير المعنى منه، ففي نسخة «الاحتجاج» افتتح المقطع بقولها: (أما لعمرى). وفي نسخة «الأمالي» لم يذكر هذه الجملة أصلاً في افتتاح المقطع. وفي «الاحتجاج» (ملء القعب) بدلاً من (طلاع القعب). وكذلك في «الاحتجاج» و«الأمالي»: (غب ما أسس الأولون) بدلاً من (غب ما سن الأولون).

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تفتتح الصديقة عليها السلام هذا المقطع بالتنبيه، والقسم، ثم تذكر بعض النتائج المترتبة على رَحْزَحَةِ أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهنا تُفصِّحُ عن تلك النتائج بكنائيات واستعارات بلاغية، نبينها بمقدار ما يحتاجه المقام أثناء الشرح إن شاء الله تعالى. ومنها يُعَلِّمُ الخطر الذي أُوْقِعَتِ الْأُمَّةُ فيه، بسبب دفع أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام والقيادة التي نَصَّ عليها الحقُّ تبارك

وتعالى، وأمر النبي ﷺ بتبليغها للأمة.

شرح المفردات

معنى قولها ﷺ: (أَمَّا لَعَمْرُ إِلَهَكْ)

تركب هذا الفقرة من أداة تنبيه (أَمَّا) وهي هنا بمنزلة (أَلَا) التي للتنبيه، وقد تقدم شرحها في بعض المقاطع السابقة.

ثم أقسمت بقولها: (لَعَمْرُ إِلَهَكْ). وفي بعض نسخ الخطبة (لَعَمْرُكَ) وفي بعضها (لَعَمْرُ إِلَهَكُنَّ). والقسم في هذه الجملة مركب من أداة القسم، وهي اللام (لَ)، التي تسمى لام القسم، الداخلة هنا على كلمة (عَمْرُ). وأما كلمة (عَمْرُ) فهي بمعنى مدة عيش الإنسان في هذه الدنيا طويلاً. ويقال: (عَمْرُ فلان كذا) - بفتح العين، وتجيء بالضم فتقول: (عَمْرُ فلان كذا) هذا إذا كانت مجردة عن القسم فيصح الفتح والضم، وأما مع القسم فيختص بالدخول على المفتوحة فتقول: (لَعَمْرُكَ) ولا تقول: (لَعَمْرُكَ). ومعنى ذلك: أنك تقسم بعمر المخاطب. هذا إذا كانت مضافة إلى ضمير المخاطب (ك) (لعمرك).

قال الزبيدي في تاج العروس: «الْعَمْرُ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَبُضْمَتَيْنِ: الْحَيَاةُ، يُقَالُ: قَدْ طَالَ عَمْرُهُ وَعُمُرُهُ، لُعْتَانُ فَصِيحَتَانِ. فَإِذَا أَقْسَمُوا فَقَالُوا: لَعَمْرُكَ، فَتَحُوا لَا غَيْرَ... وَفِي الْبَصَائِرِ لِلْمُصَنَّفِ: الْعَمْرُ وَالْعُمُرُ وَاحِدٌ، لَكِنْ خُصَّ الْقَسَمُ بِالْمَفْتُوحَةِ... وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْقَسَمِ: لَعَمْرِي وَلَعَمْرُكَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ لَمْ يُقْرَأْ إِلَّا بِالْفَتْحِ. وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لَعَمْرُكَ، أَيْ لِحَيَاتِكَ. قَالَ: وَمَا حَلَفَ اللَّهُ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وَقَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ: أَضْمَرَ لَهُ مَا يَرْفَعُهُ: لَعَمْرُكَ الْمَحْلُوفُ بِهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْإِيمَانُ تَرْفَعُهَا

جَوَابَاتُهَا. وَقَالَ ابْنُ جُنَى : وَمِمَّا يُجِيزُهُ الْقِيَاسُ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِهِ الِاسْتِعْمَالُ خَبَرُ الْعَمْرِ مِنْ قَوْلِهِمْ : لَعْمُرُكَ لِأَقْوَمَنْ، فَهَذَا مُبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ الْخَبَرِ، وَأَصْلُهُ لَوْ أَظْهَرَ خَبَرُهُ : لَعْمُرُكَ مَا أَقْسَمَ بِهِ، فَصَارَ طَوَّلُ الْكَلَامِ بِجَوَابِ الْقَسَمِ عَوَضاً مِنَ الْخَبَرِ... وَقَالُوا فِي الْقَسَمِ : عَمَرَ اللَّهُ مَا فَعَلْتُ كَذَا، وَعَمَرَكَ اللَّهُ مَا فَعَلْتُ كَذَا، وَعَمَرَكَ اللَّهُ أَفْعَلُ كَذَا، وَإِلَّا فَعَلْتُ كَذَا، وَإِلَّا مَا فَعَلْتُ كَذَا، عَلَى الزِّيَادَةِ بِالتَّصْبِ... وَفِي الصَّحَاحِ : مَعْنَى لَعْمُرُ اللَّهِ وَعَمَرَ اللَّهُ : أَحْلَفُ بِبَقَاءِ اللَّهِ وَدَوَامِهِ. وَإِذَا قُلْتُ : عَمَرَكَ اللَّهُ، فَكَأَنَّكَ قُلْتُ : بِتَعْمِيرِكَ اللَّهُ، أَيْ بِإِقْرَارِكَ لَهُ بِالْبَقَاءِ. وَقَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَا سَهِيلاً عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمَعَانِ

يُرِيدُ : سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُطِيلَ عُمُرَكَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْقَسَمُ بِذَلِكَ. أَوْ لَعْمُرُ اللَّهِ، أَيْ وَبَقَاءِ اللَّهِ. فَإِذَا سَقَطَ اللَّامُ نُصِبَ انْتِصَابَ الْمَصَادِرِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَتَدْخُلُ اللَّامُ فِي لَعْمُرِكَ، فَإِذَا أَدْخَلْتَهَا رَفَعْتَ بِهَا بِالْإِبْتِدَاءِ فَقُلْتُ : لَعْمُرَكَ، وَلَعْمُرُ أَبِيكَ. فَإِذَا قُلْتُ : لَعْمُرُ أَبِيكَ الْخَيْرُ، نَصَبْتُ الْخَيْرَ وَخَفَضْتُ. فَمَنْ نَصَبَ أَرَادَ أَنَّ أَبَاكَ عَمَرَ الْخَيْرَ يَعْمُرُهُ عَمراً وَعِمَارَةً، فَنَصَبَ الْخَيْرَ بَوُفُوعِ الْعَمْرِ عَلَيْهِ. وَمَنْ خَفَضَ الْخَيْرَ جَعَلَهُ نَعْتاً لِأَبِيكَ... وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : لَعْمُرَكَ وَلَعْمُرُ أَبِيكَ، وَلَعْمُرُ اللَّهِ، مَرْفُوعَةٌ. وَفِي حَدِيثِ لَقِيطَ : لَعْمُرُ إِلَهِكَ : هُوَ قَسَمٌ بِبَقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَوَامِهِ. ^(١) انْتَهَى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَعْمُرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ^(٢).

وَالنَّاتِجَةُ : إِذَا كَانَتْ مِضَافَةٌ إِلَى الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ (لَعْمُرُ إِلَهِكَ) فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْهَا :

بِقَاؤُهُ وَدَوَامُهُ سُبْحَانَهُ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْقَسَمِ : بِبَقَاءِ وَدَوَامِ الْحَقِّ جَلٍّ وَعَلا.

(١) تَأْجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ٧ : ٢٥٨.

(٢) الْحَجَرُ : ٧٢.

تَعْلِيْقٌ

في هذه الفقرة تنبه وتُقسِمُ الصديقة عليها السلام، حيثُ إنَّها صَدَرَتْ هذا المقطع بالتنبيه والقسم، فهي تُؤَكِّدُ جَازِمَةً بحصول النتائج التي ستذكرها بنحو الكناية والاستعارة.

معنى قولها عليها السلام: (لَقَدْ لَفِحَتْ، فَنَظَرَةٌ رِيْثَمَا تُنْتَجُ)

تَوْضِيْحُ إِجْمَالِيٍّ

في هذه الفقرة تبدأ الصديقة عليها السلام بذكر جواب القسم المتقدم في الفقرة السابقة: (أما لعمر إلهك)، وتصدير هذا المقطع بالقسم يثبت أنَّ مما تخبر عنه الصديقة جازمة في جواب القسم مما لا بد من تحققه ووقوعه، وهو الأثر لذلك الاعتداء الكبير الذي وقع من الأمة، وتصدَّر جواب القسم في هذه الفقرة بأداة التحقق الوقوع (لَقَدْ) وهو مما يزيد تأكيد تحقق النتيجة، التي عبَّرت عنها بكناية بليغة سيتضح معناها في الشرح التالي.

شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ

لَقَدْ لَفِحَتْ: أي لقد حَمَلْتُ، وأكَّدت حصول ذلك بكلمة (لَقَدْ) التي تفيد هنا التحقق والوقوع.

وقد تقدم بيان معنى (لَقَدْ) في شرح قولها: (لقد قلدتهم ربقتها) وأنها مركبة من (اللام) التي للابتداء، و(قد) المفيدة للتحقق.

قال الكفوي في الكليات في بيان معنى كلمة (قد) ما نصه: «كلمة (قد) تثبت

المتوقع، كما أَنَّ (لما) تنفيه. وتدل على ثباته إذا دخل على الماضي، ولذلك تقربه من الحال، ولها ستة معان: التوقع نحو: قد يقدم الغائب اليوم. وتقريب الماضي من الحال نحو: قد قام زيد. والتحقيق نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. والنفي نحو: قد كنت في خير فتعرفه، بنصب (تعرفه). والتقليل نحو: قد يصدق الكذوب. والتكثير نحو قوله: قد أترك القرن مصفراً أنامله.

قد: التي للتحقيق تدخل على المضارع وعلى الماضي، وكذا حيث جاءت بعد اللام، والتي للتقريب تختص بالماضي، ولذلك يحسن وقوع الماضي موقع الحال إذا كان معه (قد) والتي للتقليل تختص بالمضارع سواء كان لتقليل وقوع الفعل نحو: (قد يصدق الكذوب)....^(١) انتهى.

لَعِحَتْ: بمعنى حملت.

قال الجوهري في الصحاح: «أَلْفَحَ الفحلُ الناقَةَ، والريحُ السحابَ. ورياحُ لَوَاقِحُ، ولا يقال مَلَاقِحُ... وَلَعِحَتْ الناقَةُ بالكسر لَقِحاً وَلَقَاحاً بالفتح فهي لَاقِحٌ. وَاللَّقَاحُ أيضاً: ما تُلْقَحُ به النخلة... واللِقَاحُ بالكسر: الإبلُ بأعيانها، الواحدة لَقَوْحٌ، وهي الحلوب. قال أبو عمرو: إذا نُتِجَتْ فهي لَقَوْحٌ شهرين أو ثلاثة، ثم هي لَبُونٌ بعد ذلك... وَاللِّقْحَةُ: اللَّقَوْحُ؛ والجمع لِقَحٌ. وتُلْقِى النخل معروف. يقال: لَقَّحُوا نَخْلَهُمْ، وأَلْقَحُوا نَخْلَهُمْ. وقد لُقِّحَتِ النخيل. ويقال في النخلة الواحدة: لُقِحَتْ. الفراء: تَلَقَّحَتِ الناقَةُ، إذا أَرَتْ أنها لَاقِحٌ ولا تكون كذلك. والمَلَاقِحُ: الفحول، الواحد مُلْقِحٌ. والمَلَاقِحُ أيضاً: الإناث التي في بطونها أولادها، الواحدة مُلْقِحَةٌ بفتح القاف. والمَلَاقِحُ: ما في بطون النوق من الأجنة، الواحدة مُلْقَوْحَةٌ، من قولهم لُقِّحَتْ.»^(٢) انتهى.

(١) الْكَلِّيَّاتُ، الْكَفَوِيُّ، ص: ٧٣٥.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٢: ٤٢٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَافِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^(١).

تَعْلِيلٌ

كلام الصديقة عليها السلام هنا بنحو الاستعارة، حيث استعارت معنى اللقوح في كلمة (لقد لقحت) الذي هو بمعنى الحمل، ومرادها من ذلك تأكيد حصول النتائج بعد وجود سببها المشار إليه فيما تقدم، وهو التعدي على مقام القيادة للأمة، وزحزحة المنسوب والمعين من قبل الله سبحانه، وكأن هذه الآثار المترتبة على ذلك العمل نتائج طبيعية، لا بد من ترتبها عند حصول أسبابها، فالنتائج بمثابة الحمل الذي يبقى فترة ثم يخرج. والفاعل لذلك هو فعلتهم بزحزحة أمير المؤمنين عليه السلام.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

فَنَظَرُهُ رَيْثَمَا تُنْتَجُ: (نَظَرُهُ) بمعنى طلب الانتظار، أي انتظروا. قال الجوهري في الصحاح: «التَّظَرُّ: التأخير. وَأَنْظَرْتُهُ، أي أَخَّرْتُهُ. وَاسْتَنْظَرْتُهُ، أي استمهله. وَتَنْظَرُهُ، أي اُنْتَظَرُهُ في مُهْلَةٍ»^(٢) انتهى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ كَانَ دُوْ عُسْرُهُ فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾^(٣). وَرَيْثَمَا: أي مقدار. وهي مركبة من كلمتين: (رَيْثَ) و(ما)، و(ريث): ظرف زمان مبني على الفتح، و(ما) زائدة، لا محل لها من الإعراب.

(١) الحجر: ٢٢.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللُّغَةُ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ٣: ٣٩٥.

(٣) البقرة: ٢٨٠.

قال الزبيدي في تاج العروس: «الرَيْثُ: الإِبْطَاءُ، رَاثٌ يَرِيثُ رَيْثًا: أَبْطَأَ قَالَ:

وَالرَّيْثُ أَذْنَى لَتَجَاجَ الَّذِي تَرُومُ فِيهِ التُّجَجُ مِنْ خَلْسِهِ

وَرَاثٌ عَلَيْنَا خَبْرُهُ يَرِيثُ رَيْثًا: أَبْطَأَ، وَفِي الْمَثَلِ: رَبُّ عَجَلَةٍ وَهَبَتْ رَيْثًا، كَالرَّيْثِ،

يَقَالُ: تَرَيْتَ فُلَانٌ عَلَيْنَا أَيْ أَبْطَأَ. الرَّيْثُ: الْمِقْدَارُ، يَقَالُ: مَا فَعَلَ كَذَا إِلَّا رَيْثَمَا فَعَلَ

كَذَا، وَقَالَ اللَّحْيَانِي: عَنِ الْكَسَائِيِّ وَالْأَصْمَعِيِّ: مَا قَعَدْتُ عَنْدَهُ إِلَّا رَيْثَ أَغْعَبُ

شَيْعِي. بَغِير (أَنْ) وَيَسْتَعْمَلُ بَغِير (مَا) وَلَا (أَنْ)، وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَعْشَى بِاهِلَةَ:

لَا يَصْعُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكُبُهُ وَكُلَّ أَمْرِ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ

وَهِيَ لُغَةٌ فَاشِيَةٌ فِي الْحِجَازِ، يَقُولُونَ: يُرِيدُ يَفْعَلُ، أَيْ أَنْ يَفْعَلَ... وَيَقَالُ: مَا قَعَدَ

عِنْدَنَا فُلَانٌ إِلَّا رَيْثَ أَنْ حَدَّثَنَا بِحَدِيثٍ ثُمَّ مَرَّ، أَيْ مَا قَعَدَ إِلَّا قَدَرَ ذَلِكَ. ^(١) انتهى.

وقال الكفوي في الكليات: «الرَيْثُ: هُوَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّر (رَاث) بِمَعْنَى أَبْطَأَ، إِلَّا

أَنَّهُمْ أَجْرَوْهُ ظَرْفًا كَمَا أَجْرَوْا مُقَدِّمَ الْحَاجِّ، وَخَفُوقَ النِّجْمِ، وَهَذَا الْمَصْدَرُ خَاصٌّ لِمَا

أَضِيفَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ فِي كَلَامِهِمْ كـ (رَيْثَمَا خَلَعَ) وَ (رَيْثَمَا فَتَحَ) أَيْ: قَدَرَ خَلَعَ وَفَتَحَ أَوْ

سَاعَتَهُ وَ (مَا) زَائِدَةٌ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ مُسْتَثْنَى فِي كَلَامٍ مُنْفِي، وَحَقَّ (مَا) أَنْ تُكْتَبَ

مُوصُولَةً لضعفها من حيث الزيادة، وقولهم: مَا وَقَفْتُ عَنْدَهُ إِلَّا رَيْثَ مَا قَالَ ذَاكَ،

مَتْرُوكٌ عَلَى الْأَصْلِ وَ (مَا) فِيهِ مُصَدَّرِيَّةٌ. ^(٢) انتهى.

وَنُتَجِجُ: أَيْ تَلْدُ، يَقَالُ: نَتَجَجْتُ النَّاقَةَ، أَيْ وَلَدْتُ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «التَّجَاجُ اسمٌ يَجْمَعُ وَضَعَ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ، قَالَ

بَعْضُهُمْ هُوَ فِي النَّاقَةِ وَالْفَرَسِ، وَهُوَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ نَتَجِجُ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَقِيلَ: التَّجَاجُ

فِي جَمِيعِ الدَّوَابِّ، وَالْوِلَادُ فِي الْغَنَمِ وَإِذَا وَلَّى الرَّجُلُ نَاقَةً مَخِضًا وَنِتَاجَهَا حَتَّى تَضَعَ،

(١) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرَّيْثِيُّ ٣ : ٢٢٠.

(٢) الْكَلِّيَّاتُ، الْكَفَوِيُّ، ص: ٤٧٩.

قيل: نَتَجَهَا نَتَجًا، يقال: نَتَجْتُ الناقَةَ أَنْتَجُهَا إِذَا وَلَيْتَ نَتَاجَهَا فَأَنَا نَاتِجٌ وهي مَنُتَوَجَّةٌ، وقال ابن حِلْزَةَ:

لَا تَكْسَعُ الشَّوْلُ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ
... وإذا ولدت الناقَةَ من تلقاء نفسها ولم يلِ نَتَاجُهَا قيل: قد انْتَتَجَتْ. (١) انتهى.

تَحْلِيلُ

والمراد من هذه الكناية والاستعارة في هذه الفقرة: (فَنَظَرَةً رَيْثَمًا تُنْتِجُ) مع ما قبلها في الفقرة السابقة (لَقَدْ لَقِحتَ): بعد أن لقت بسبب فعلتكم انتظروا مقداراً من الزمان وستنتج وتلد لكم هذه النتائج، التي سَتُصْطَرِّها ﷺ في الفقرات الآتية.

معنى قولها ﷺ: (ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ دَمًا عَيْيْطًا، وَدُعَافًا مُمْقِرًا، هُنَالِكَ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ)

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

بعد أن أكّدت الزهراء ﷺ على حصول النتائج المترتبة على إقصاء أمير المؤمنين ﷺ، حيثُ نَبَّهَتْ وَأَقْسَمَتْ بقولها: (أَمَّا لَعَمْرُ إِلَهَكِ)، بنحو يكشف عن جزئها ويقينها بالتحقق لهذه النتائج التي سطرتهَا. شَرَعَتْ في سَرْدِ مجموعة من النتائج، كاشفة عن مقام الإخبار بالمغيبات، بنحو من الاستعارة البليغة أيّما بلاغة، وكأَنَّهَا تُفَصِّحُ عن لسان أبيها رسول الله ﷺ. وحيثُ إِنّهَا ذَكَرَتْ الانتظار لحصول النتائج

بعد تحقق السبب (فَتَنْظَرُهُ رَيْثَمَا تُنْتَجُ) وعطفت بـ(ثُمَّ) المفيدة للترتب، على أحد معانيها، أي إنَّ ما تذكره بعد (ثُمَّ) مُترتب على ما قبلها، ذكرت النتيجة الأولى بقولها:

معنى قولها ﷺ: (ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ دَمًا عَيْيَطًا)

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

اخْتَلَبُوا: من الحلب.

قال الجوهري في الصحاح: «الحَلَبُ بالتحريك: اللبن المحلوب. والحَلَبُ أيضاً: مصدر حَلَبَ الناقةَ يَحْلُبُها حلباً، واحتلبها، فهو حَالِبٌ وقوم حلبَةٌ. والحلوبُ: ما يُحْلَبُ. وقال كعب بن سعدٍ الغنويُّ يرثي رجلاً:

يَبِيتُ التَّدَى يَا أُمَّ عَمْرٍو صَجِيعُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبُ

وكذلك الحلوبَةُ. واستحلبَ اللبنُ: استدرَّه. والحليبُ: اللبن المحلوب.»^(١) انتهى.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «حلب: قال الليث الحَلَبُ اللَّبْنُ الحليب، تقول: شربت لبناً حليباً وحلباً، والحِلَابُ هو المَحْلَبُ الذي يُحْلَبُ فيه اللبن وأنشد:

صَاحَ هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاجٍ رَدَّ فِي الصَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ

قال: والإحلابُ أن يَكُونَ الرُّعْيَانُ إِبْلَهُمْ في المرعى فَمَهْمَا حَلَبُوا جَمَعُوا حتى بلغ وَسْقاً حملوه إلى الحي فيقال: قد جاءوا بِإِحْلَابَيْنِ وثلاثة أَحَالِيبَ... أبو عبيد عن أبي زيد: الإحلابَةُ أن تحلب لأهلك وأنت في المرعى لبناً ثم تبعث به إليهم، يقال منه أَحْلَبْتُهُمْ إِحْلَاباً، واسم اللَّبَنِ الإِحْلَابَةُ.»^(٢) انتهى.

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢ : ١٣٠.

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الأزهري ٥ : ٥٤.

تَوْضِيحٌ

وحيثُ إنّ الحليب يتكون بعد الحمل، الذي ذكرته في الفقرة السابقة: (لَقَدْ لَقِحتُ)، ثم يدرُّ بعد الولادة الذي ذكرته بقولها: (رَيْثَمَا تُنْتِجُ)، وحيثُ إنّ ترتّب هذه الأمور على بعضها ترتّب طَبْعِي، استعارت الصديقة عليها السلام هذا النحو من المعاني، لتعبّر بها بنحو بليغ عن الواقع الذي حصل في هذه الأمة.

طِلَاعُ الْقُعْبِ: و(الطَّلَاغُ) الامتلاء بنحو يزيد ويسيل.

قال الجوهري في الصحاح: «طِلَاغُ الشيء: مِلْؤُه. وقال الحسن: لأنْ أعلم إِيّ بَرِيءٍ من النفاق أَحَبُّ إِلَيَّ من طِلَاعِ الأَرْضِ ذَهَاباً.»^(١) انتهى.

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «قال أبو عبيد: وطلّاع الأرض: مِلْؤُها حتى يطالع أعلى الأرض فيساويه، ومنه قول أوس بن حَجَرٍ يصف قوساً وأنْ مَعَجِسْها يملأ الكفّ، فقال:

كُتُومٌ طِلَاغُ الكَفِّ لا دُونَ مِلْئِها ولا عَجِسُها عن مَوْضِعِ الكَفِّ أَفْضَلًا^(٢)

الْقُعْبِ: قدح من خشب يروي الرجل، أو قدح ضخم، وقيل غير ذلك.

قال ابن منظور في لسان العرب: «الْقُعْبُ: الْقَدَحُ الضَّخْمُ الغليظ الجافي، وقيل: قَدَحٌ من خَشَبٍ مُقَعَّرٌ، وقيل: هو قدح إلى الصَّغَرِ، يُشَبَّه به الحافِرُ، وهو يُرَوِي الرجلَ، والجمع القليل: أَقْعُبٌ، عن ابن الأعرابي، وأنشد:

إِذَا مَا أَتَتْكَ الْعِيرُ فَاَنْصَحْ فُتُوقِها ولا تَسْقِيَنَّ جَارِيكَ مِنْها بِأَقْعُبِ

والكثير: قِعَابٌ وقِعْبَةٌ مثل جَبْءٍ وجِبْأَةٍ، ابن الأعرابي: أَوَّلُ الْأَقْداحِ الغَمَرُ وهو الذي لا يَبْلُغُ الرِّيِّ، ثم الْقُعْبُ وهو قد يُرَوِي الرجلَ وقد يُرَوِي الاثنين والثلاثة، ثم

(١) الصَّحاحُ: «تَابُجُ اللَّغَةِ وَصَحاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٤ : ٣٨٩.

(٢) تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، الأزهري ٢ : ١٠١.

العُسُ»^(١) انتهى.

دَمًا عَيْطًا: دَمًا طرياً. فالعَيْط: الطري.

قال الزُّبَيْدِي فِي تَاجِ العُرُوسِ: «عَبَطَ الضَّرْعُ: أَذْمَاهُ، وَهُوَ مَحَاجِرٌ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «مُرِي بَنِيكَ أَنْ يَقْلَمُوا أَظْفَارَهُمْ أَنْ يُوجِعُوا أَوْ يَعِيطُوا ضُرُوعَ الْغَنَمِ» أَي لَا يُشَدِّدُوا الْحَلَبَ فَيَعْقِرُوهَا وَيَذْمُوهَا بِالْعَصْرِ، مِنَ الْعَيْطِ وَهُوَ الدَّمُ الطَّرِيُّ، أَوْ لَا يَسْتَقْصُونَ حَلَبَهَا حَتَّى يَخْرُجَ الدَّمُ بَعْدَ اللَّبَنِ. وَالْمُرَادُ أَنْ لَا يَعِيطُوهَا. وَعَبَطَ الشَّيْءُ وَالثَّوْبَ يَعِيطُهُ عَيْطًا: شَقَّهُ شَقًّا صَحِيحًا، فَهُوَ مَعْبُوطٌ وَعَيْيَطُ، وَجَمْعُ الْعَيْطِ: عُبْطٌ بِضَمَّتَيْنِ... دَمٌ عَيْيَطٌ بَيْنَ الْعُبْطَةِ: خَالِصٌ طَرِيٌّ. قَالَ اللَّيْثُ: وَيُقَالُ: زَعْفَرَانٌ عَيْيَطٌ بَيْنَ الْعُبْطَةِ - بِالضَّمِّ - أَي طَرِيٌّ، يُشَبَّهُ بِالدَّمِ الْعَيْيَطِ.»^(٢) انتهى.

تَعْلِيلٌ

وهنا يظهر وجه الاستعارة في كلامها عليها السلام، حيث إن طبيعة الاحتلاب أن يخرج به الحليب الذي ينتفع به، ولا يكون فيه أي ضرر على الضرع المحتلب منه، بل إن ترك الحليب في الضرع قد يؤدي إلى ضرر، فإذا كان الاحتلاب (دَمًا عَيْطًا) فلا شك أنه مما لا ينتفع به، بل يكون فيه غاية الضرر على الضرع المستخرج منه. فهي عليها السلام تفصح محبرة بأن ما تأخذه الأمة من نتائج، إنما هو مثل الدم الذي يؤخذ من الضرع، لا ينتفع به، بل فيه غاية الضرر.

وفي كلامها هذا إشارة دقيقة: إلى أن الأمة لو تكأفوا عن الزمام الذي نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام لاحتلبوا (لَبَنًا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ).

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ١: ٦٨٣.

(٢) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِي ١٠: ٣٣٣.

معنى قولها **عَلَيْهَا**: (وَدَعَا مُنْقِرًا)

شَرَحُ الْمُفْرَدَاتِ

الدُّعَافُ: السَّمُ القَاتِلُ. وقولهم: طَعَامٌ مَذْعُوفٌ: جُعِلَ فِيهِ الدُّعَافُ. وَيُقَالُ: حَيَّةٌ دُعِفَ اللَّعَابُ، أَي: سَرِيعَةُ الْقَتْلِ.

قال ابن منظور في لسان العرب: «الدُّعَافُ: سُمُّ سَاعَةٍ، سَمُّ دُعَافٍ قَاتِلٌ وَحِيٌّ، قَالَتْ دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي لَهَبٍ:

فِيهَا دُعَافُ الْمَوْتِ أَبْرَدُهُ يَغْلِي بِهِمْ وَأَحْرَهُ يَجْرِي

وقال الشاعر:

سَقَتُهُنَّ كَأَسَا مِنْ دُعَافٍ وَجَوَزَلَا

وقال الأزهري في ترجمة عذف: العذوف: السُّكُوتُ، والدُّعُوفُ: المَرَارَاتُ، وطعام مَذْعُوفٌ: جُعِلَ فِيهِ الدُّعَافُ، وَجَمَعَ الدُّعَافِ السَّمُّ دُعُفٌ، وَأَذْعَفَهُ: قَتَلَهُ قَتْلًا سَرِيعًا، وَدَعَفْتُ الرَّجُلَ: سَقَيْتُهُ الدُّعَافَ، وَمَوْتُ دُعَافٌ وَدُؤَافٌ: أَي سَرِيعٌ يُعَجِّلُ الْقَتْلَ، وَحَيَّةٌ دَعِفَ اللَّعَابُ: سَرِيعَةُ الْقَتْلِ»^(١) انتهى.

وَالْمُنْقِرُ: الْمُنْقَعُ، وَكُلُّ مَا أُنْقِعَ فَقَدْ مُقِرَّ. أَوْ الْمُرُّ: وَأَمَقَرَ الشَّيْءُ فَهُوَ مُمْقِرٌ، إِذَا صَارَ مُرًّا. وَالْأَوَّلُ أَنْسَبُ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: سَمًا مُنْقِعًا.

قال الجوهري في الصحاح: «مَقَرَ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ يَمَقُرُ مَقَرًا، أَي صَارَ مُرًّا، فَهُوَ شَيْءٌ مُقِرٌّ. وَالْمَقَرُ أَيْضًا: الصَّبْرُ. وَرَبَّمَا سَكَّنَ. وَأَمَقَرَ الشَّيْءُ، أَي صَارَ مُرًّا. قَالَ لَبِيدُ:

مُمْقِرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَدْنَيْنِ حُلُوٌ كَالْعَسَلِ

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٩ : ١٠٩.

واللبن الحامض مُمَقَّرٌ أيضاً. والمَقَرُّ، ساكنٌ: دَقُّ العنقِ. وقد مَقَرَ عُنُقَهُ يَمَقُرُهَا. وسمكٌ مَمَقُورٌ: يُمَقَّرُ في ماءٍ وملح. ^(١) انتهى.

تَوْضِيحٌ

وهذه الفقرة (وَدُعَاةً مُمَقَّرَةً) في كلام الصديقة عليها السلام معطوفة على سابقتها (دَمَاءٌ عَيْبِطاً)، وهو متعلق بقولها (اِحْتَلَبُوا) أي: واحتلبوا: (دُعَاةً مُمَقَّرَةً): سَمَاءٌ مُنْقَعاً.

تَعْلِيلٌ

وهنا يُلاحظُ أَنَّ الصديقة عليها السلام لم تكتفِ بذكر ما هو ممكن من الاحتلاب وهو (الدم العبيط) حيثُ إِنَّ احتلاب الدم وإن كان مضرًا، إلا أَنَّهُ ممكن، بل تَرَقَّتْ في الاستعارة إلى احتلاب ما هو غير ممكن، وهو احتلاب السَّمِ الْمُنْفَعِ، وهذا فيه إشارة واضحة إلى شدة قبح النتيجة التي سوف تترتب على مخالفة أمر الله جل شأنه بإقضاء أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام وقيادة الأمة، الذي جعله الله تعالى له.

معنى قولها عليها السلام: (هُنَالِكَ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ)

وهذه الفقرة اقتنصتها الزهراء عليها السلام من ذيل الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ^(٢).

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٣: ٣٨٣.

(٢) غافر: ٧٨.

وفي قولها عليها السلام: (هُنَالِكَ) في هذه الفقرة إشارة إلى تلك المرحلة التي ستصل إليها الأمة، وذلك عندما يتجرعون ما جَنَّتُهُ أيديهم: من الحِيَادِ عن الحق الذي جاءهم من الله تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ وتعالى شأنه، ذلك الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة، وأيُّ خسران أكبر من خسران الدنيا والآخرة، حيثُ إنَّهم في الدنيا لم يحصلوا إلا على الدَّمِ الْعَبِيطِ) و(الدَّعَافِ الْمُنْقِرِ) الذي احتلبوه بأقبح وأشنع كيفية، وما عند الله أشدُّ وأبقى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(١).

معنى قولها عليها السلام: (وَيَعْرِفُ التَّالُونَ غَيْبَ مَا سَنَّ الْأَوَّلُونَ)

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تُبَيِّنُ الصَّدِيقَةُ عليها السلام في هذا المقطع من خطبتها قسماً آخر من النتائج المترتبة على إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا الإقصاء والتعدي الذي أَفْصَحَتْ عنه بما تقدَّم من قولها: (..وَاللَّهُ لَوْ تَكَاثَرُوا عَنْ زِمَامِ نَبْدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ..). حيثُ إنَّها ذكرتُ في الفقرة السابقة: (هُنَالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) عَطَفَتْ عليه بدايةً هذا الفقرة (وَيَعْرِفُ التَّالُونَ.. الخ)، فهذه الفقرة مُسَارٌّ إليها بقولها (هُنَالِكَ) أي: (وَهُنَالِكَ يَعْرِفُ التَّالُونَ غَيْبَ مَا سَنَّ الْأَوَّلُونَ). فمضافاً إلى الخسران الذي أشارت إليه فيما تقدَّم (هُنَالِكَ يَخْسَرُ... الخ) يوجد أمر آخر وهو معرفة التالين.. الخ (يَعْرِفُ التَّالُونَ.. الخ).

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

(وَيَعْرِفُ الثَّالُونَ غِبَّ مَا سَنَّ الْأَوَّلُونَ) وفي بعض النسخ: (غِبَّ مَا أَسَسَ الْأَوَّلُونَ)

وَيَعْرِفُ: ليس المراد منه مجرد المعرفة والعلم، وإنما مرادها عَلَيْهِ السَّلَامُ مضافاً إلى المعرفة: التحمُّلُ للنتائج والتَّبِعَاتِ المترتبة، لمناسبة ذلك لسياق كلامها عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيثُ إِنَّ مُقْتَضَى الْعَطْفِ عَلَى الْخُسْرَانِ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ: (هُنَالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) يقتضى إرادة التحمُّلِ للنتائج، لا مجرد العلم والمعرفة الْمُحْضَيْنِ. والثَّالُونَ: جمع: الثَّالِي، من تَلَا، إِذَا اتَّبَعَ، فَهُوَ تَالٍ، أَيْ تَابِعٌ، وَيُقَالُ: تَتَأَلَّتِ الْأُمُورُ: تَلَا بَعْضُهَا بَعْضًا، فَالثَّالُونَ: التَّابِعُونَ.

قال الفَيَّوْمِيُّ فِي الْمَصْبَاحِ الْمُنِيرِ: «تَلَوْتُ الرَّجُلُ أَتْلُوهُ تُلُوًّا - عَلَى فُعُولٍ -: تَبِعْتُهُ، فَأَنَا لَهُ تَالٍ، وَتَلَوُ أَيَّضًا - وَزَانُ حِمْلٍ - وَتَلَوْتُ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً»^(١) انتهى. وقال الأزْهَرِيُّ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ: «وَتَلَا إِذَا تَبَعَ فَهُوَ تَالٍ أَيْ تَابِعٌ، وَالْمَتَالِي: الْأُمَهَاتُ، إِذَا تَلَاهَا الْأَوْلَادُ، الْوَاحِدَةُ مُتْلٍ وَمُتْلِيَّةٌ. وقال الْبَاهِلِيُّ: الْمَتَالِي: الْإِبِلُ الَّتِي تُنْتَجِ بَعْضُهَا وَلَمْ يُنْتَجِ بَعْضٌ، وَأَنْشَدَ:

وَكُلُّ سِمَارِكِي كَأَنَّ رَبَّابَهُ مَتَالِي مُهَيَّبٍ مِنْ بَنِي السَّيِّدِ أَوْرَدَا

... وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾. قال الْفَرَاءُ: تَقْرَأُ، وقال غيره: تَتَبَعَ. والقارئ تَالٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَبَعَ مَا يَقْرَأُ، وَالتَّالِي التَّابِعُ: ﴿وَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾. هم الْمَلَائِكَةُ يَأْتُونَ بِالْوَحْيِ فَيَتْلُونَهُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ. ثَلَبَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: تَلَا اتَّبَعَ»^(٢) انتهى.

(١) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيَّوْمِيُّ، ص: ٧٦.

(٢) تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ ١٤ : ٢٢٥.

والغِبُّ: العاقبة والخاصة، وَغِبُّ كُلَّ شَيْءٍ: عاقبته، وَغِبُّ الْأَمْرَ وَمَعَبَّتُهُ: عاقبته وأخيره، وَغَبَّ الْأَمْرُ: صَارَ إِلَى آخِرِهِ، وكذلك غَبَّتِ الْأُمُورُ: إِذَا صَارَتْ إِلَى أَوَاخِرِهَا. قال الجوهري في الصحاح: «وَغِبُّ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً: عاقبته، وقد غَبَّتِ الْأُمُورُ، أَيِ صَارَتْ إِلَى أَوَاخِرِهَا.»^(١) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «الغِبُّ - بالكسر - : عَاقِبَةُ الشَّيْءِ، أَيِ آخِرُهُ. وَغَبَّ الْأَمْرُ: صَارَ إِلَى آخِرِهِ، وكذلك غَبَّتِ الْأُمُورُ: إِذَا صَارَتْ إِلَى أَوَاخِرِهَا، وَأُنْشَدَ:

غِبَّ الصَّبَاحُ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّري

كالمَغَبَّةِ بِالْفَتْحِ: وَيُقَالُ: إِنَّ لِهَذَا الْأَمْرِ مَغَبَّةً طَيِّبَةً: أَيِ عَاقِبَةً.»^(٢) انتهى.

وسنّ: بمعنى أسس، كما في بعض النسخ. والسُّنَّةُ بمعنى الطريقة.

قال الفيومي في المصباح المنير: «السُّنَّةُ: الطَّرِيقَةُ، وَالسُّنَّةُ: السَّيْرَةُ حَمِيدَةً كَانَتْ أَوْ ذَمِيمَةً، وَالْجُمُعُ: سُنٌّ، مِثْلُ: عُرْفَةٍ وَغُرْفٍ.»^(٣) انتهى.

وقال الجوهري في الصحاح: «السَّنَنُ: الطريقة. يقال: استقام فلانٌ على سَنَنِ واحد. ويقال: امضِ على سَنَنِكَ وَسَنَنِكَ، أَيِ على وجهك... والسُّنَّةُ: السَّيْرَةُ. قال الهذلي:

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتْهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا»^(٤)

وَالْأَوَّلُونَ: جمع الأول، ويجمع أيضاً على أوائل، وتعني بهم الذين باشرُوا زحزحة أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي نبذه رسول الله ﷺ إليه. فكانوا أول بمعنى

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢: ٢٠٩.

(٢) تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزُّبَيْدِيُّ ٣: ٤٥١.

(٣) الْبُصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْفَيُومِيُّ، ص: ٢٩٢.

(٤) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٥: ٢١٣٨.

أُسْبِقُ مِنْ ابْتَدَأَ الظُّلْمَ وَالتَّعَدِي عَلَى مَقَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تَعْلِيلٌ وَتَوْضِيحٌ

في هذه الفقرة من كلامها عليه السلام تُفَصِّحُ عَنْ عَاقِبَةِ الْعَمَلِ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأُمَّةُ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَوْفَ تَكُونُ نَتَائِجُهُ وَخِيَمَةُ وَتَبْعَاتِهِ ثَقِيلَةً عَلَى الْأُمَّةِ، بِحَيْثُ يَتَحَمَّلُ التَّابِعُونَ عَاقِبَةَ عَمَلِ الْأَوَّلِينَ، كَمَا أَنَّهُ سَيُنْكَشِفُ لِلْأُمَّةِ سُوءَ عَاقِبَةِ الْعَمَلِ الَّذِي أَسَّسَهُ وَسَنَّهُ الْأَوَّلُونَ، مِنْ زَحْزَحَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ الزَّمَامِ، وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِ الْإِعْتِقَادِ بَعْدَ أَحَقِّيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَقَامِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلَا فَصْل.

بِسْمِ اللَّهِ

المقطع العاشر

((ثُمَّ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا، وَطَآمِنُوا لِلْفِتْنَةِ جَاشًا، وَأَبْشُرُوا بِسَيْفٍ صَارِمٍ، وَهَرَجٍ شَامِلٍ، وَاسْتَبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدْعُ فَيْئَكُمْ زَهِيدًا، وَزَرْعَكُمْ حَصِيدًا، فَيَا حَسْرَتِي لَكُمْ، وَأَتَى بِكُمْ، وَقَدْ عَمِيَتْ قُلُوبُكُمْ عَلَيْكُمْ، ﴿أَنْلِزْكُمْوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١)))

اختلاف النسخ

لا يوجد اختلاف بين النسخ من حيث المضمون، نعم يوجد اختلاف في بعض الفقرات وبعض الكلمات، إلا أن هذه الاختلاف لا يغيّر في المعنى شيئاً، لذلك أعرضنا عن بيانه رعاية للاختصار.

توضيح إجمالي

في هذا المقطع عطفت الصديقة ﷺ الكلام بـ(ثُمَّ) على ما تقدّم من كلامها في المقطع السابق، عندما قالت: ((ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ.. الخ)) فعطفت عليه قولها في هذا المقطع: ((ثُمَّ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا.. الخ))، وذكرت ﷺ ضمن هذا المقطع نتائج خمس، تترتب على ما أسسه الأولون:

١- (طَبِّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا)

٢- (طَاطِنُوا لِلْفِتْنَةِ جَاشًا)

٣- (أَبْشِرُوا بِسَيْفِ صَارِمٍ)

٤- (وَهَرَجَ شَامِلٍ)

٥- (اسْتَبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ).

ثم ذكرت وصفين لاستبداد الظالمين:

أ- (يَدْعُ فَيْئَكُمْ زَهِيدًا)

ب- (وَرَزَعَكُمْ حَصِيدًا).

ثم في خاتمة المقطع تُبدي الزهراء عليها السلام الحسرة على هذه الأمة لما سيحل بها جرّاء هذا العمل الذي فعلوه. وتُصرّح بأنّ الحق جاءهم واضح أبْلج لا سُترة عليه، وتبيّن حالة تَعَامِي القلوب عن هذا الحق الواضح الذي انتاب الأمة، ثم في نهاية المقطع تشير إلى أنّ الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ نَصَبَ لهم من يُنِيرُ لهم الطريق إلى نهاية الدنيا، لا يمكن أن تُلْزَمَ به الأمة طالما هي كارهة لهذا الحق ولا تُريده، وتستشهد عليها السلام لذلك بهذا الفقرة من الآية الكريمة: ﴿أَلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١). مشيرة بذلك أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، فما لم تكن الأمة طوع الأمر الألهي لا يمكن إجبارها عليه، لأنّ ذلك نقض لمبدأ ترتب الشواب والعقاب.

(١) هود: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

معنى قولها ﷺ: (طَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا)

تَعْلِيلٌ وَتَوْضِيحٌ

هذه هي النتيجة الأولى المترتبة على ما أسسه الأولون، وفي هذه الفقرة عطفت الصديقةُ ﷺ الكلامَ بـ(ثُمَّ) المفيدة للترتيب - على بعض معانيها، كما تقدمت الإشارة لذلك - وظاهر هذا العطف على الفقرة المتقدمة (ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقُعْبِ... الخ) فكما أَنَّ من النتائج المترتبة ما ذكرته في تلك الفقرة (اخْتَلَبُوا...) فكذلك من النتائج المترتبة ما ذكرته في هذه الفقرة محل الكلام (ثُمَّ طَيَّبُوا... الخ).

ومرادها ﷺ في هذه الفقرة: طلب طيب النفس لما سيحل بكم من نتائج جرّاء العمل الذي قُتِمَ به من زحزحة الزمام عن أمير المؤمنين ﷺ، بمعنى أَنَّهُ لَا يَحِقُّ لَكُمْ الاعتراض لما سيحل بكم، فلا بُدَّ أَنْ تتقبلوا النتيجة المترتبة على عملكم، عن طيب نفس. لفرض أنكم السبب في حصول هذه النتيجة.

وفي هذه الفقرة من كلامها ﷺ توبيخٌ للأمة، وبيانٌ لشناعة الفعل الذي قاموا بارتكابه، وأنَّ ما يحصل من النتائج هو بما قدّمت أيديكم. وهذا فيه إشارة إلى الآية الكريمة المتكررة في ثلاثة مواضع من كتاب الله الكريم، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

شَرَحُ الْمَفْرَدَاتِ

طَيَّبُوا: فعل أمر، من الطَّيَّبِ، وهو هنا بمعنى الرَّضَى، ويقال: طَابَ نَفْسُ فُلَانٍ بكَذَا، أي: رَضِيَ بِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يُكْرِهَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

(١) آل عمران: ١٨٢، والأنفال: ٥١، والحج: ١٠.

وَأَنْفُسًا: منصوب على التمييز للطيب، أي: (طِيبُوا أَنْفُسًا) وَأَنْ ما يميّز هذا الطيب بأنه طيباً نفسياً، (وَعَنْ أَنْفُسِكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ(طِيبُوا).
ومنه ما روي عنه عليه السلام: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسِهِ»^(١).
معنى قولها عليها السلام: (وَطَاطَمُوا لِلْفِتْنَةِ جَاشًا).

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيحٌ

هذه هي النتيجة الثانية المترتبة على ما أسسه الأولون، وفي هذه الفقرة من كلامها عليها السلام تصرّح بحلول الفتن بالأمة جرّاء ارتكابهم الفعل الشنيع بزحزحة أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام والقيادة الظاهرية، وفي كلامها هذا إخبار بشدة الفتنة التي ستجتاح الأمة، حيث إنّها عليها السلام أمرتهم بتهيئة نفوسهم بقوة قلبٍ واطمئنانٍ، لتلقّي تبعات ونتائج الفعل الذي أقدموا عليه.

شَرَحُ الْمُفْرَدَاتِ

طَاطَمَ: بمعنى: اطمأنّ: أي سكن واستقرت نفسه، وذهب سيئويه إلى أنّ (اطمأنّ) مقلوب، وأنّ أصله من (طَاطَمَ).

قال الزبيدي في تاج العروس: «ذَهَبَ سَيِّئُوهُ إِلَى أَنَّ اِطْمَأَنَّ مَقْلُوبٌ، وَأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ طَاطَمَ، وَخَالَفَهُ أَبُو عَمْرٍو فَرَأَى ضِدَّ ذَلِكَ... وَقِيلَ: كَانَتْ الْهَمْزَةُ قَبْلَ الْمِيمِ فَقُلِبَتْ. وَفِي الرَّوْضِ لِلسَّهْلِيِّ: وَرَزُّ اِطْمَأَنَّ اِفْعَلْ، لِأَنَّ أَصْلَ الْمِيمِ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ الْأَلِفِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَطَامَنَ إِذَا تَطَاطَأَ، وَإِنَّمَا قَدَّمُوهَا لَتَبَاعُدِ الْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ

(١) عَوَالِي اللَّأَلِيِّ الْعَزِيزِيَّةُ فِي الْأَحَادِيثِ الدِّينِيَّةِ، ابْنُ أَبِي جُنْهُوْرٍ الْأَخْسَائِيُّ ٢ : ١١٣. وعنه في مُسْتَدْرَكِ الْوَسَائِلِ وَمُسْتَنْبَطِ الْمَسَائِلِ، الْمُحَدَّثُ الثُّوْرِي ٣ : ٣٣١.

الفعلِ مِنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ، فيكون أَحْفَ لَفْظًا، كما قَلَبُوا أَشْيَاءَ فِي قَوْلِ الْخَلِيلِ وَسَيَّوِيهِ فِرَارًا مِنْ تَقَارُبِ الْهَمْزَتَيْنِ... طَأْمَنَ الشَّيْءُ: سَكَنَهُ، كَطَأْمَنَهُ. وَالطَّأْمَنَةُ: الْإِظْمِئَانُ. وَالْمُطْمَئِنُّ: الْمُسْتَوِطُنْ فِي الْأَرْضِ. وَاطْمَأَنَّتِ الْأَرْضُ وَتَطَأَمَّتْ: انْخَفَضَتْ. وَالتَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ: الَّتِي اِظْمَأَّتْ بِالْإِيمَانِ وَأُخْبِتَتْ لِرَبِّهَا. وَاطْمَأَنَّ جَالِسًا وَاطْمَأَنَّ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ: أَي تَرَكَهُ. وَفِيهِ تَطَامُنٌ: أَي سَكُونٌ وَوَقَارٌ. ^(١) انتهى.

ومنه قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْزَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ^(٢).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ ^(٣).

وقوله جل شأنه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْنُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ^(٥).

وَالْفِتْنَةُ: مِنَ الْفَتْنِ، وَهُوَ الْإِحْرَاقُ. وَالْفِتْنَةُ: الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ وَالْإِخْتِبَارُ، وَأَصْلُهَا مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِكَ: فَتَنْتُ الْفُضَّةَ وَالذَّهَبَ، إِذَا أَذْبَتَهُمَا بِالنَّارِ لَتَمِيزَ الرَّدِيَّ مِنَ الْجَيِّدِ.

قال الجوهري في الصحاح: «الْفِتْنَةُ: الْإِمْتِحَانُ وَالْإِخْتِبَارُ. تقول: فَتَنْتُ الذَّهَبَ، إِذَا أَدْخَلْتَهُ النَّارَ لَتَنْظُرَ مَا جُودَتِهِ. وَدِينَارٌ مَفْتُونٌ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾. وَيُسَمَّى الصَّائِغُ الْفَتَّانَ، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ... وقال الخليل: الْفَتْنُ: الْإِحْرَاقُ. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾. وَوَرِقٌ فَتَيْنٌ، أَي فَضَّةٌ مُحْرَقَةٌ.

(١) تَأَجَّ الْعَرُوسُ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرَّيْبِي ١٨ : ٣٥٩.

(٢) النحل: ١٠٦.

(٣) النحل: ١١٢.

(٤) الإسراء: ٩٥.

(٥) الفجر: ٢٧.

ويقال للحرة فتين، كأن حجارتهما محرقة. وافتتن الرجل وفتن، فهو مفتون، إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله، وكذلك إذا اختير. قال تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(١). انتهى.

وقد ورد لفظ الفتنة في القرآن الكريم بمعاني متعددة:

منها بمعنى الاختبار والامتحان، كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٢).

ومنها الفتنة بمعنى الشرك، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينٌ فَيَسْتَبِيعُونَ مَا نَشَابَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٤). وغيرها من الآيات.

والجأش: النفس، وقيل: القلب، وقيل: رباط القلب وشدته عند حصول الشيء، وقولهم: فلان قوي الجأش: أي قوي القلب.

قال الجوهري في الصحاح: «الجأش: جأش القلب، وهو رواعه إذا اضطرب عند الفزع. يقال: فلان رابط الجأش، أي يربط نفسه عن الفرار، لشجاعته. والجؤشوش: الصدر»^(٥). انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع،

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٧: ٢٥.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٣: ٩٩٧.

كما في الصَّحَاحِ، وهو قَوْلُ اللَّيْثِ قَالَ: يُقَالُ: إِنَّهُ لَوَاهِي الْجَأْشِ فَإِذَا ثَبَتَ قِيلَ: إِنَّهُ لَرَابِطُ الْجَأْشِ. وَالْجَأْشُ: نَفْسُ الْإِنْسَانِ عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ، قِيلَ: وَمِنْهُ رَابِطُ الْجَأْشِ، أَيْ يَرْبِطُ نَفْسَهُ عَنِ الْفِرَارِ لِشَجَاعَتِهِ، وَفِي الْعَيْنِ: لِشَتَاعَتِهِ. وَقِيلَ: الْجَأْشُ: قَلْبُ الْإِنْسَانِ، وَقِيلَ: رَبَاطُهُ، وَقِيلَ: شِدَّتُهُ عِنْدَ الشَّيْءِ يَسْمَعُهُ لَا يَدْرِي مَا هُوَ، وَقَدْ لَا يَهْمُزُ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: رَبَطْتُ لِذَلِكَ الْأَمْرِ جَأْشًا، لَا غَيْرَ. جَ جُؤُوشٌ. وَجَأْشٌ: ع قَالَ السَّلِيكُ بْنُ السُّلَكَةِ:

أُمُعْتَقِلِي رَيْبُ الْمَنُونِ وَلَمْ أَرْغُ عَصَافِيرَ وَادٍ بَيْنَ جَأْشٍ وَمَأْرِبٍ

وَجَأْشٌ إِلَيْهِ كَمَنْعٍ أَقْبَلَ، كَذَا فِي نَوَادِرِ الْأَعْرَابِ. وَجَأَشْتُ نَفْسُهُ: ارْتَفَعَتْ مِنْ حُزْنٍ أَوْ فَرَحٍ، قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ^(١). انتهى.

معنى قولها ﷺ: (وَأَبْشُرُوا بِسَيْفٍ صَارِمٍ)

تَعْلِيلٌ وَتَوْضِيحٌ

هذه هي النتيجة الثالثة المترتبة على ما أسسه الأولون، وفي هذه الفقرة تكشف الزهراء «روحي فداها» - إخباراً بالغَيْبِ - عن تسلُّطِ الظلِّمة على رقاب الأمَّة، وقد استعارت لذلك المعنى: السيفَ الصارم، ويمكن أن يكون كلامها على نحو الحقيقة، بمعنى أنَّ الظلِّمة سوف يتسلَّطون عليكم بسيف صارم. وفي تعبيرها ﷺ بالبشارة، إشارة واضحة عن قُرب حصول تلك النتيجة بتسلُّط السيوف الظالمة على رقاب الأمَّة، كل ذلك نتيجة لما أقدموا عليه، ومما أسسه الأولون.

(١) تَأْجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرُّيُّنْدِي ٩ : ٦٧.

شَرْمُ الْمَفْرَدَاتِ

البِشَارَةُ: بكسر الباء.

قال الكَفَوِيُّ في الكلِّيات: «البِشَارَةُ: اسمٌ لخبَرٍ يُغَيِّرُ بَشَرَةَ الْوَجْهِ مُطْلَقاً، سواء كان سَاراً أو مُخْزِناً، إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْأَوَّلِ [السَّار] وَصَارَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً لَهُ بِحُكْمِ الْعَرَفِ، حَتَّى صَارَ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ غَيْرُهُ. قال بعضهم: البِشَارَةُ المطلقة في الخير، ولا تكون في الشر إلا بالتقييد؛ كما أَنَّ النذارة تكون على إطلاق لفظها في الشر»^(١) انتهى.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ في الصحاح: «البشارة المطلقة لا تكون إلّا بالخير، وإنّما تكون بالشرّ إذا كانت مُقَيَّدَةً بِهِ، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾»^(٢)... انتهى.^(٣)
حيث قَيَّدَت البشارة بكونها بعذاب أليم في الآية الكريم. كَمَا أَنَّ التَّذَارَةَ تكونُ على إِطْلَاقٍ لَفْظِهَا فِي الشَّرِّ.

وكذلك الحال في هذه الفقرة، من كلامها عليها السلام، حيث قَيَّدَت البِشَارَةَ بكونها بسيف صارم.

السَّيْفُ: معروف: آلة تستخدم للقتال.

قال الزبيدي في تاج العروس: «السَّيْفُ: الذّي يُضْرَبُ بِهِ، مَعْرُوفٌ، وَأَسْمَاؤُهُ تُنِيفُ عَلَى أَلْفٍ، وَذَكَرْتُهَا فِي «الرَّوْضِ الْمَسْلُوفِ» فِيمَا لَهُ أَسْمَانِ إِلَى الْأُلُوفِ». الجمع: أَسْيَافٌ، وَسُيُوفٌ، وَعَلَيْهِمَا اقْتَصَرَ الْجَوْهَرِيُّ، وَأَسَيْفٌ، وَهَذِهِ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ، وَمَسْنُفَةٌ، كَمَشِيخَةٍ، وَشَاهِدُ أَسَيْفٍ قَوْلُ الشَّاعِرِ، أَنشَدَهُ الْأَزْهَرِيُّ:

(١) الكلِّيات، الكَفَوِيُّ، ص: ٢٣٩.

(٢) الانشقاق: ٢٤.

(٣) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٣: ١٥٣.

كَأَنَّهُمْ أَسِيفٌ بِيضٌ يَمَانِيَّةٌ عَضْبٌ مَشَارِبُهَا بَاقٍ بِهَا الْأُتْرُ^(١)
وَالصَّارِمُ: القاطع. فيقال: سيف صارم، أي قاطع.

قال الجوهري في الصحاح: «صَرَمْتُ الشيءَ صَرَمًا، إِذَا قَطَعْتَهُ. وَصَرَمْتُ الرَّجُلَ صَرَمًا، إِذَا قَطَعْتُ كَلَامَهُ. وَالاسْمُ الصَّرْمُ. وَصَرَمَ النَّخْلَ، أَي جَدَّهُ...» إِلَى أَنْ قَالَ: «وَالْأَصْرَمَانِ: الذَّنْبُ وَالْغَرَابُ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: لِأَنَّهُمَا أَنْصَرَمَا مِنَ النَّاسِ، أَي انْقَطَعَا... وَالصَّارِمُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ. وَرَجُلٌ صَارِمٌ، أَي جَلْدٌ شَجَاعٌ... إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، أَيِ احْتَرَقَتْ وَاسْوَدَّتْ.»^(٢) انْتَهَى.

معنى قولها ﷺ: (وَهَرَجَ شَامِلٍ)

تَعْلِيلٌ وَتَوْضِيحٌ

هذه هي النتيجة الرابعة المترتبة على ما أسسه الأولون، وهذه الفقرة في كلامها ﷺ معطوفة على الفقرة السابقة المجرورة بالباء، وهي: (...بِسَيْفٍ صَارِمٍ) وكتنا الفقرتين متعلقتين بـ(أَبَشِّرُوا)، فهذه الفقرة أيضاً هي طَلَبٌ بالبشارة، أي: (وَأَبَشِّرُوا بِهَرَجِ شَامِلٍ). فهي «روحي فداها» تبشّره بحصول هذه النتيجة، وهي حصول الفتنة والاختلاط، بشكل شامل، وإطلاقها ﷺ الشُّمُولَ، يقتضي عموميّة الهَرَجِ لكلِّ زمان وكلِّ مكان، وهذا هو ما كشف عنه واقع وتأريخ الأمة، كُلُّ ذَلِكَ جَرَاءُ الْفِعْلِ الَّذِي ارْتَكَبُوهُ مِنْ إِقْصَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ عَنِ الزَّامِ وَالْقِيَادَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ.

(١) تَأْجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الرَّيْنِي ١٢: ٢٩١.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٦: ٢٤٣.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

الْهَرْجُ: الفتنة والاختلاط.

قال ابن منظور في لسان العرب: «الْهَرْجُ: الاختلاط، هَرَجَ النَّاسُ يَهْرَجُونَ - بالكسر - هَرْجًا، من الاختلاط، أي اختلطوا، وأصل الْهَرْجُ: الكثرة في المشي والاتساع، والْهَرْجُ: الفتنة في آخر الزمان، والْهَرْجُ: شِدَّةُ القتل وكثرته.»^(١) انتهى.

الشَّامِلُ: أي العام، الذي لا يختص بنوع محدد.

قال الجوهري في الصحاح: «شَمَلَهُمُ الْأَمْرُ يَشْمَلُهُمْ إِذَا عَمَّهُمْ وَشَمَلَهُمْ - بالفتح - يَشْمَلُهُمْ لغة، وأنشد لابن قيس الرُّقَيَاتِ:

كَيْفَ نَوِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءُ

أَيُّ مُتَفَرِّقَةٍ. وَجَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُمْ، أَيُّ مَا تَشَتَّتَ مِنْ أَمْرِهِمْ. وَفَرَّقَ اللَّهُ شَمْلَهُ، أَيُّ مَا اجْتَمَعَ مِنْ أَمْرِهِ...» إلى أن قال: «والشَّمْلَةُ: كِسَاءٌ يُشْتَمَلُ بِهِ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: يُقَالُ: اشْتَرَيْتُ شَمْلَةً تَشْمَلُنِي.»^(٢) انتهى.

معنى قولها **وَأَسْتَبْدَادِ مِنَ الظَّالِمِينَ**، يَدْعُ فَيْئَكُمْ زَهِيدًا،

وَزَرَعَكُمْ حَصِيدًا

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيْحٌ

هذه هي النتيجة الخامسة المترتبة على ما أسسه الأولون، وهذه الفقرة أيضاً معطوفة على الفقرتين السابقتين، وهي متعلقة بـ (وَأَبْشُرُوا)، أي: (وَأَبْشُرُوا بِاسْتِبْدَادِ

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ ٢ : ٣٨٩.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٥ : ١٧٣٨.

مِنَ الظَّالِمِينَ... إلخ)، وهنا تُخَيَّرُ الزهراء عليها السلام بالعَيْبِ، عن هذه النتيجة، وهي أنه مُضافاً إلى تَلَسُّطِ الظَّالِمَةِ على رِقَابِ الْأُمَّةِ، سوف يَسْتَبْدُونَ بِالْأَمْرِ في مُقَدَّرَاتٍ وخيرات الأُمَّةِ، فما كان حَقُُّ لِلأُمَّةِ من غنائم الحروب، ونتاج الزروع سوف يَسْتَبْدُ به الظَّالِمَةُ ويمنعون الأُمَّةَ منه.

ويظهر أَنَّ ما ذكرته عليها السلام من مصاديق الاستبداد إِنَّمَا هو من باب المثال، وإلا فلاستبداد الذي وقع من الظلمة على خيرات الأُمَّةِ شامل لكل خيراتهم ومقدراتهم. وفي هذه المقطع من كلامها عليها السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (١).

شَرِّهُ الْمَفْرَدَاتِ

الاستِبْدَادُ: التَّفَرُّدُ بالشَّيْءِ، وأصله من البَدِّ والتَّبْدِيدِ.

قال الجوهري في الصحاح: «بَدَّهَ يَبْدُهُ بَدًّا: فَرَّقَهُ. والتَّبْدِيدُ: التفريق. يقال: شَمَّلَ مُبَدَّدٌ. وَتَبَدَّدَ الشَّيْءُ: تَفَرَّقَ... إلى أن قال: وَاسْتَبَدَّ فُلَانٌ بِكَذَا، أَي انْفَرَدَ بِهِ.» (٢) انتهى.

وقال الطَّرَبِيُّ في مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ: «وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ: انْفَرَدَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مُشَارِكٍ، وَمِنْهُ يُقَالُ: «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ ضَلَّ أَوْ هَلَكَ.» (٣) انتهى.

مِنَ الظَّالِمِينَ: الظلم: معروف، وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو مقابل

(١) البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٣: ٦.

(٣) مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ التَّيَرِينِ، الطَّرَبِيُّ ١: ١٦٢.

العدل، الذي هو وضع الشيء في موضعه.

كما أنّ قبح الظلم عقلي، وحسن العدل عقلي، وهذا بحث يرتبط بالتحسين والتقيح العقليين. وقد اتفقت كلمة المسلمين على ذلك، باستثناء شذمة شذت في ذلك. وهذا البحث موكل إلى محله.

وقد ورد دَمُ الظلم في كثير من آيات القرآن الكريم.

منها: ما ورد في أنّ الظالم إنّما يظلم نفسه، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ...﴾^(١).

وقوله جلّ شأنه: ﴿... وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ...﴾^(٢).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَا تُنْسِكُوهُمْ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿... مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤).

وقوله جل وعلا: ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾^(٥).

هذه مجموعة من الآيات الكريمة الواردة في أنّ الإنسان الذي يقع منه الظلم

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) البقرة: ٥٧.

(٣) البقرة: ٢٣١.

(٤) آل عمران: ١١٧.

(٥) النساء: ٦٤.

إِنَّمَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ.

وهنا يوجد بحث، في أَنَّ الظلم الواقع من الإنسان، هل يمكن أن يصل إلى ساحة القدس الإلهي؟

ذهب بعض أهل التحقيق إلى أَنَّ الظلم لا يمكن أن يقع من الإنسان على الحق تبارك وتعالى، وهذا النظر غير بعيد، بالنظر إلى عظمة قدرة الحق جلَّ شأنه، اللامتناهية، فلا يمكن للإنسان الضعيف الفقير المسكين المستكين المحدود المتناهي، أن يقع منه ظلم تجاه الحق جلَّ شأنه. وهذه الآيات الكريمة مرشدة إلى هذا المعنى.

نعم يمكن أن يقع الظلم من الإنسان على الإنسان وعلى أشياء أخرى وباعتبارات أخرى. كقوله تعالى: ﴿فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ...﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

الْقِيءُ: أصله الرجوع والعود.

قال الطريحي في مجمع البحرين: «قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالَهُ﴾^(٣) أي يرجع من جانب إلى جانب، من قولهم: تفيأت الظلال أي تقلبت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾^(٤) أي والذي أفاءه الله ورده من أموال

(١) النساء: ١٦٠.

(٢) الأنعام: ٢١.

(٣) النحل: ٤٨.

(٤) الحشر: ٦.

اليهود، وأصل الفياء الرجوع، كأنه في الأصل لهم ثم رجع إليهم، ومنه أفاء الله على المسلمين، أي أرجعه إليهم وصيره لهم، ومنه قيل للظل الذي بعد الزوال: فيء؛ لرجوعه من المغرب إلى المشرق. وعن رثبة: كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل، وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل، والجمع: أفياء وفيوء. وفيء النزال: موضع الظل المعد لنزولهم، أو ما هو أعم، كالمحل الذي يرجعون إليه وينزلون به.^(١) انتهى.

وقال الزبيدي في تاج العروس: «الفِيءُ: ما كَانَ شَمْساً فَيَنْسَخُهُ الظِّلُّ. وفي الصحاح: الفِيءُ: ما بعدَ الزَّوالِ مِنَ الظِّلِّ، قال مُحْمَدُ بْنُ ثَوْرٍ يَصِفُ سَرَحَةً وَكَتَى بِهَا عَنْ امْرَأَةٍ:

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلَا الْفِيءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ تَذُوقُ

فقد بَيَّنَّ أَنَّ الْفِيءَ بِالْعَشِيِّ مَا انصَرَفَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ، وقد يُسَمَّى الظِّلُّ فَيئاً؛ لرجوعه من جانبٍ إلى جانبٍ... إلى أن قال: والفِيءُ: الغَنِيمة - وقَيِّدها بعضهم بالتي لا تَلَحَفُهَا مَشَقَّةٌ، فتكون باردةً كالظِّلِّ، وهو المأخوذ من كلام الراغب قاله شيخنا - والخَرَّاجُ، وقد تَكَرَّرَ في الحديث ذِكْرُ الْفِيءِ على اختلافٍ تَصَرُّفِهِ، وهو ما حصلَ للمُسْلِمِينَ من أموالِ الْكُفَّارِ من غيرِ حَرْبٍ ولا جِهَادٍ ... وأصلُ الْفِيءِ: الرَّجُوعُ، وقَيِّده بعضهم بالرجوع إلى حالة حَسَنَةٍ، وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿إِنِ فَاءَتْ فَاضِلُهَا بَيْنَهُمَا﴾^(٢) قاله شيخنا، ومنه قيل للظِّلِّ الذي يكون بعد الزَّوالِ: فَيءٌ؛ لَأَنَّهُ يَرْجِعُ من جانبِ الْغَرْبِ إلى جانبِ الشَّرْقِ، وَسُمِّيَ هذا المالُ فَيئاً؛ لَأَنَّهُ رَجَعَ إلى المُسْلِمِينَ

(١) مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ التَّيَرِينِ، الطَّرِيجِي ١: ٢٣٨.

(٢) الحجرات: ٩.

من أموال الكفار غَفُوءًا بِلَا قِتَالٍ»^(١) انتهى.

وقد ورد ذكر الفيء في بعض آيات القرآن الكريم بمعنى الرجوع، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، أي فإن رجعوا.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَمَا تَلَوَا إِلَى تَبَئٍ حَتَّى تَقَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣)، أي حتى ترجع إلى أمر الله. وأما قوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ...﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾^(٥).

وقوله جل ذكره: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(٦).

فإن الفيء في الآيات الثلاث متضمن لمعنى أرجع وإن كان ظاهراً بمعنى أعطى. وأما قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّهُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾^(٧)، فهو بالمعنى اللغوي المتقدم عن مجمع البحرين.

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ١: ٢١٣.

(٢) البقرة: ٢٢٦.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) الأحزاب: ٥٠.

(٥) الحشر: ٦.

(٦) الحشر: ٧.

(٧) النحل: ٤٨.

الزَّهْدُ: القليل، وهو من الزهد الذي هو خلاف الرغبة.

قال الزبيدي في تاج العروس: «والزَّهْدُ، كَأَمِيرِ: الحَقِيرُ وَالْقَلِيلُ، وعطاءٌ زَهِيدٌ: قليلٌ، وَرَجُلٌ زَهِيدٌ: قليلُ الخَيْرِ، وهو حَجاز. والزَّهِيد: الضَّيِّقُ الخُلُقِ مِنَ الرِّجَالِ، والأُنثَى: زَهِيدَةٌ، قاله اللَّحْيَانِيُّ»^(١) انتهى.

وقال الجوهري في صحاح اللغة: «الزَّهْدُ: خلاف الرِّغْبَةِ. تقول: زَهَدَ في الشيء وعن الشيء، يَزْهَدُ زَهْدًا وَزَهَادَةً. وَزَهَدَ يَزْهَدُ لغة فيه. وفلان يَزْهَدُ، أي يتَعَبَّدُ. والتزهدُ في الشيء وعن الشيء: خلافُ التَّريغِيبِ فيه. والمُزْهَدُ: القليلُ المال. وفي الحديث: «أفضلُ الناسِ مؤمنٌ مُزْهَدٌ». قال الأعشى:

فَلَنْ يَظْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى وَلَنْ يَتَرْكُوهَا لِإِزْهَادِهَا

والزَّهِيدُ: القليل. يقال: رجل زَهِيدٌ الأكل. ووَادٍ زَهِيدٌ: قليل الأخذ للماء، ويقال: خذ زَهْدَ ما يكفيك، أي قدر ما يكفيك. وفلان يَزْهَدُ عَطَاءَ فلان، أي يَعُدُّهُ زَهِيدًا قليلًا. وأرض زَهَادٌ: أي لا تسيلُ إلا عن مطرٍ كثير»^(٢) انتهى.

الحَصِيدُ: أي المَحْصُودُ، وهو من الحَصْدِ، ومنه الحَصَادُ.

قال الجوهري في الصحاح: «حَصَدْتُ الزَّرْعَ وَغَيْرَهُ، أَخَصِدُهُ وَأَحْصِدُهُ حَصْدًا. والزَّرعُ محْصُودٌ وَحَصِيدٌ وَحَصْدَةٌ، وَحَصَدَ بالتحريك... والمَحْصَدُ: المِنْجَلُ. وَأَحْصَدَ الزَّرْعُ واستحصد: حَانَ لَهُ أَنْ يُحْصَدَ. وهذا زمن الحَصَادِ والحِصَادِ»^(٣) انتهى.

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: «حَصَدَ الزَّرْعَ وَالتَّبَاتَ يُحْصِدُهُ وَيَحْصِدُهُ حَصْدًا وَحَصَادًا وَحِصَادًا: قَطَعَهُ بِالْمِنْجَلِ، كَاخْتَصَدَهُ، وهو حَاصِدٌ، من

(١) تَاجُ العَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ القَامُوسِ، الرُّيْنُودِي ٤ : ٤٨٠.

(٢) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ العَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ٢ : ٤٨١.

(٣) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ العَرَبِيَّةِ»، الجَوْهَرِيُّ ٢ : ٤٦٥.

حَصَدَةٍ وَحَصَادٍ. وَالْحَصَادُ: أَوَانُهُ، وَيُكْسَرُ، وَنَبْتُ يُحْبِطُ لِلْغَنَمِ، وَالزَّرْعُ الْمَحْصُودُ، كَالْحَصَدِ وَالْحَصِيدِ وَالْحَصِيدَةِ. وَأَحْصَدَ: حَانَ أَنْ يُحْصَدَ كَأَسْتَحْصَدَ.^(١) انتهى.
ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾^(٢).

معنى قولها ﷺ: (فَيَا حَسْرَتِي لَكُمْ، وَأَيُّ بِكُمْ، وَقَدْ عَمِيَتْ قُلُوبُكُمْ عَلَيْكُمْ، ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾)

تَذْكِيرٌ وَتَنْبِيْهُ

هذا هو المقطع الأخير في خطبة الصديقة الشهيدة «روحي فداها» بحسب نسخة كتاب «معاني الأخبار» للصدوق رحمه الله، ونسخة كتاب «الأمالي» للشيخ الطوسي رحمه الله. وأما نسخة «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي رحمه الله فتوجد فيها إضافة، سيأتي التعرّض لها إن شاء الله تعالى.

اِخْتِلَافُ النُّسَخِ

في «الاحتجاج» و«الأمالي»: «حَسْرَةٌ»، بدل «حَسْرَتِي»، وفي «الأمالي»: «لهم»، بدل «لكم». وكذلك في «الاحتجاج»: «عميت عليكم»، بدون «قلوبكم»، وفي «الأمالي»: «عميت عليهم الأنبياء».

والأنسب للآية الكريمة التي ذيلت ﷺ هذا المقطع بها، هو ما في رواية

(١) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، الْفَيْرُوزُ أَبَادِي ١: ٥٦١.

(٢) ق: ٩.

«الاحتجاج»، حيث إنّ الآية الكريمة في قوله تعالى هكذا: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١)، إلا أنّ (عميت) في الآية الكريمة بالتشديد والبناء للمجهول. كما أنّ رواية «الأمالى» تناسب آية أخرى، في قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢)، بالتخفيف والبناء للمعلوم.

تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

تُبْدِي الزهراء عليها السلام في هذا المقطع من كلامها الحسرة على أمة أبيها صلى الله عليه وآله لما سيحلّ بهم من نتائج ترتبت على فعلهم الذي ارتكبهوا باختيارهم وإصرارهم، من إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام عن الزمام الذي جعله الله له وسلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه. وتُشير إلى الحالة العامة التي انتابت الأمة بالحِيَادِ عن الحقِّ الصّراح، الذي جاءهم من الله جلّ شأنه وبلغه رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن أمير المؤمنين عليه السلام، وتُعبّر عن ذلك بحالة عمى القلوب، ثم في آخر المقطع تبين حقيقة مهمة، وهي عدم صحة الإكراه على اتباع الحق، حتى لا يبطل قانون الثواب والعقاب، فلا بُدَّ أن يتبع الناس الحق باختيارهم، أو يتركوه باختيارهم، ليصحَّ الثواب على الاتباع أو العقاب على عدم الاتباع. قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) هود: ٢٨.

(٢) القصص: ٦٦.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

شَرْمُ الْمُفْرَدَاتِ

فَيَا حَسْرَتِي لَكُمُ: (الفاء) حرف تفرّيع على ما تقدم. و(يَا) حرف نداء وتنبيه. و(الحسرة): الندامة الشديدة.

قال الجوهري في الصحاح: «والْحَسْرَةُ: أَشَدُّ التَّلَهُّفِ عَلَى الشَّيْءِ الْفَائِتِ. تقول منه: حَسِرَ عَلَى الشَّيْءِ - بالكسر - يَحْسِرُ حَسْرًا وَحَسْرَةً، فَهُوَ حَسِيرٌ. وَحَسَرْتُ غَيْرِي تَحْسِيرًا. وَحَسَرَتِ الطَّيْرُ تَحْسِيرًا: سَقَطَ رِيشُهَا. وَالتَّحَسُّرُ: التَّلَهُّفُ.»^(١) انتهى.

وقال العسكري في الفروق اللغوية، في بيان الفرق بين الحسرة والأسف والغم: «الفرق بين الحسرة والأسف والغم: أَنَّ الحسرة: غم يتجدد، لفوت فائدة، فليس كل غم حسرة.

وَالْأَسْفُ: حسرة معها غضب أو غيظ. وَالْأَسْفُ: الغضبَانِ المتلهف على الشَّيْءِ، ثم كثر ذلك حتى جاء في معنى الغضب وحده في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا إِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(٢)، أي أغضبونا.»^(٣) انتهى.

الْحَسْرَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

قد تكرر ذكر الحسرة في القرآن الكريم في آيات متعددة:

منه في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٤).
ومنه سُمِّيَ يوم القيامة بيوم الحسرة، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ

(١) الصَّحَاحُ: «تَاجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الجوهري ٢: ٦٣٠.

(٢) الزخرف: ٥٥.

(٣) الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ، ص: ١٨٦.

(٤) الزمر: ٥٦.

يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴿١﴾.

وقوله جَلَّ شأنه: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٢).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾^(٦).

وقوله جَلَّ من قائل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا

فَرَّطْنَا فِيهَا﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾^(٨).

والحسرة في الآيات المباركة متقاربة المعنى.

والأنسب من الآيات لكلام الصديقة عليها السلام الآية من سورة يس: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَىٰ

الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

(١) مريم: ٣٩.

(٢) آل عمران: ١٥٦.

(٣) الأنفال: ٣٦.

(٤) يس: ٣٠.

(٥) الحاقة: ٥٠.

(٦) البقرة: ١٦٧.

(٧) الأنعام: ٣١.

(٨) فاطر: ٨.

تَعْلِيلٌ

في هذه الفقرة تُبْرِزُ الصَّدِيقَةُ «روحي فداها» مَدَى حرصها وشدة تألمها لما سيحل بالأمة، حيث إنها «صلوات الله وسلامه عليها» كُشِفَ لها حِجَابُ غَيْبِ المستقبل، ورَأَتْ بعين الحقيقة، الواقع المؤلم الذي سيجتاح أمة أبيها محمد ﷺ، من تسلط الظلمة على رقابهم، بعد أن كانوا في ظل الرحمة الإلهية، الْمُتَجَلِّيَّةِ في الرسول الخاتم ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

فهي ﷺ مظهر الرحمة الإلهية بأجلى معانيها، المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢). ومن هنا يظهر معنى تَحَسُّرِها «صلوات الله وسلامه عليها».

وَأَنَّى بِكُمْ: بمعنى كيف بكم.

ومرادها ﷺ: كيف تلحق بكم الهداية؟

وجواب ذلك: ما ذكرته في الفقرة التالية.

وَقَدْ عَمِيَتْ قُلُوبُكُمْ عَلَيْكُمْ. وفي هذا الفقرة من كلامها ﷺ، إشارة إلى حكاية خطاب نبي الله نوح ﷺ لقومه في الآية الكريمة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(٣).

وقد تقدم بيان معنى «قَدْ» في الفقرات السابقة، عند قولها ﷺ: (لَقَدْ لَقِيتُ،

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) يس: ٣٠.

(٣) هود: ٢٨.

فَنَظَرُهُ رَيْثَمَا تُنْتَجُ..).

عَمِيَتْ: بالتخفيف والبناء للمعلوم، كما في الآية الكريمة من سورة القصص، أو بالتشديد والبناء للمجهول (عُمِيَتْ)، كما في الآية الكريمة من سورة هود، وكلاهما بمعنى واحد.

فإن قُرِئَتْ بالتخفيف مع البناء للمعلوم كان لفظ (قلوبكم) فاعل، وهو الأنسب لما في نسخة «معاني الأخبار»، حيث إنّ الفقرة هكذا: (عميت عليكم قلوبكم).

وإن قُرِئَتْ بالتشديد مع البناء للمجهول كان لفظ (قلوبكم) نائب فاعل، وهو الأنسب لما في نسخة «الاحتجاج». وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في بحث اختلاف النسخ.

فـ«عميت» مأخوذ من العَمَى، وهو معروف.

قال الجوهري في الصحاح: «العَمَى: ذهابُ البَصَرِ، وقد عَمِيَ فهو أعمى، وقومٌ عُمِيٌّ، وأعمأه الله. وتَعَامَى الرجلُ: أَرَى من نفسه ذلك. وَعَمِيَ عليه الأمر: إذا التَبَسَ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾. ورجلٌ عَمِيَ القلب، أي جاهلٌ، وامرأةٌ عَمِيَّةٌ عن الصواب، وعَمِيَّةُ القلب على فَعِلَةٍ، وقومٌ عَمَوْنَ. وفيهم عَمِيَّتُهُمْ، أي جهلهم. والنسبة إلى أعمى أَعْمَوِيٌّ، وإلى عَمٍ عَمَوِيٌّ. والأعميان: السيل، والجمال الهائج الصّوول. وعَمَى الموجُ - بالفتح - يَعْمِي عَمِيًّا، إذا رمى القذى والزَّبَدَ. وعَمِيَتْ معنى البيت تَعْمِيَّةٌ. ومنه المَعَمَى من الشعر. أبو زيد: تركناهم عَمَى، إذا أشرفوا على الموت. والعماء ممدودٌ: السحاب. قال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال. والمَعَامِي من الأرضين: الأغفال، التي ليس بها أثر عِمَارَةٍ ولا مَعْلَمٌ. وهي الأعماء أيضاً. قال رؤبة:

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

واعتَمَيْتُ الشيء: اخترته، وهو قلب الاعتيام. وقولهم: ما أعمأه، إنما يراد به: ما أعمى قلبه؛ لأنَّ ذلك ينسب إليه الكثير الضلال. ولا يقال في عَمَى العيون: ما أعمأه، لأنَّ ما لا يُتَزَيَّدُ لا يُتَعَجَّبُ منه.^(١) انتهى.

وقال الفيومي في المصباح المنير: «عَمِيَ عَمَى: فَقَدَ بَصَرَهُ، فَهُوَ أَعْمَى، وَالْمَرْأَةُ عَمِيَاءُ، وَالْجَمْعُ: عُمَى، مِنْ بَابِ أَحْمَرَ، وَعُمِيَانٌ أَيْضًا، وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ، فَيَقَالُ: أَعْمَيْتُهُ. وَلَا يَقَعُ الْعَمَى إِلَّا عَلَى الْعَيْنَيْنِ جَمِيعًا، وَتُسْتَعَارُ الْعَمَى لِلْقَلْبِ، كِنَايَةً عَنِ الضَّلَالَةِ، وَالْعَلَاقَةُ عَدَمُ الْإِهْتِدَاءِ، فَهُوَ عَمٍ، وَأَعْمَى الْقَلْبِ، وَعَمِيَ الْخَبْرُ: خَفِيَ، وَيُعَدَّى بِالتَّضْعِيفِ، فَيَقَالُ: عَمَيْتُهُ.»^(٢) انتهى.

فيظهر من المصباح المنير أنَّ العمى حقيقة في عَمَى العينين، ومجاز في عَمَى القلب، الذي هو بمعنى الضلال.

ويظهر من كليات الكفوي أنَّ العمى يستعمل في البصر والبصيرة، ولم يذكر أنه على نحو المجاز في الثاني أم على نحو الحقيقة، فقال: «الْعَمَةُ: التَّحِيرُ وَالتَّرَدُّدُ بِحَيْثُ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّه، وَهُوَ فِي الْبَصِيرَةِ كَالْعَمَى فِي الْبَصَرِ، قِيلَ: الْعَمَى عَامٌ فِي الْبَصَرِ وَالرَّأْيِ، وَالْعَمَهُ فِي الرَّأْيِ خَاصَّةً، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾^(٣)، قِيلَ: الْأَوَّلُ: اسْمُ الْفَاعِلِ وَالثَّانِي قِيلَ: هُوَ مِثْلُهُ، وَقِيلَ: هُوَ أَفْعَلُ مِنْ كَذَا، الَّذِي لِلتَّفْضِيلِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فَقْدَانِ الْبَصِيرَةِ. وَالْعَمَى يَسْتَعْمَلُ فِي الْبَصَرِ،

(١) الصَّحَاحُ: «تَأْجُ اللَّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ»، الْجَوْهَرِيُّ ٦: ٤٤٣٩.

(٢) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، الْقُيُومِيُّ، ص: ٤٣١.

(٣) الْإِسْرَاءُ: ٧٢.

يقال: أعمى، وقوم عُمي، وفي البصيرة، يقال: رجل عَمِيَ القلب، وقوم عُمُون.^(١)
انتهى.

استعمال لفظ العمى في القرآن الكريم

وقد تكرر ذكر العمى في القرآن الكريم بمعنى عمى القلب في آيات متعددة، وكذلك بمعنى عمى البصر في بعض الآيات:

منها قوله تبارك وتعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

وقوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٥). أي فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها.

وقوله عزّ من قائل: ﴿وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾^(٦). أي ضالين.

وقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾^(٧).

(١) الكليات، الكفوي، ص: ٦٥٢.

(٢) البقرة: ١٨.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) الأنعام: ٥٠.

(٥) الأنعام: ١٠٤.

(٦) الأعراف: ٦٤.

(٧) يونس: ٤٣.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وقوله جل شأنه: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على إطلاق العمى على الضلال مقابل الهداية^(٤).

ومن الآيات التي أطلق فيها العمى وأريد منه عمى البصر:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾^(٥).

وقوله سبحانه: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾^(٦). فإنَّ المراد بالأعمى في الآيتين: أعمى البصر.

عَلَيْكُمْ قُلُوبُكُمْ: الضمير في هذه الفقرة من كلام الصديقة الكبرى عليها السلام يعود على المقصود بالخطاب وهم الأمة، كما هو الحال في بقية الضمائر المتقدمة.

(١) الرعد: ١٩.

(٢) الإسراء: ٧٢.

(٣) الحج: ٤٦.

(٤) الرعد: ١٦. الإسراء: ٩٧. طه: ١٢٤-١٢٥. الفرقان: ٧٢. النمل: ٨١. الروم: ٥٣. فاطر: ١٩. غافر:

٥٨. فصلت: ١٧. فصلت: ٤٤. الزخرف: ٤٠. محمد: ٢٣.

(٥) الفتح: ١٧.

(٦) عبس: ٢.

بَيَانُ مَعْنَى الْقَلْبِ

للقلب معاني متعددة واستعمالات متغايرة، فقد يطلق لفظ القلب على العظمة الصنوبرية التي هي مركز ضخ الدم في كامل الجسد. وهو بهذا المعنى ليس محل لكلامنا هنا.

وقد يطلق لفظ القلب ويراد به الروح والنفس الناطقة وغير ذلك. قال ابن معصوم في الطراز الأول: «الْقَلْبُ، كَقَلْبَسٍ: الْمُضْعَةُ الصَّنَوْبَرِيَّةُ الشَّكْلُ الْمُوَدَّعَةُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنَ الصَّدْرِ، وَيَطْلُقُ عَلَى التَّفْسِيرِ النَّاطِقَةِ وَالرَّوْحِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ مجازاً؛ لتعلقها به، واستعيرَ لمحض كلِّ شيءٍ ولُبَّائِهِ ووسطِهِ. الجمع: قُلُوبٌ...»

إلى أن قال: «لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ»^(١)، أي عقل، أو علم، أو قلب وإع؛ فإنَّ الغافل كعديم القلب...

إلى أن قال: «وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس» أي لبُّه، ولُبُّ كلِّ شيءٍ أصله الذي ما سواه إمَّا من مقدّماته أو من متّمّاته، ولَمَّا كَانَ الغايَةُ من إنزال القرآن الاعتراف بالوحدانيّة والرّسالة والحشر، وكان مدارُ هذه السّورة على بيان هذه الأصول الثلاثة، جُعِلَتْ قَلْبُ الْقُرْآنِ...

إلى أن قال: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ»، أي مُصَرِّفَهَا بتبديل الخواطر ونقض العزائم؛ فإنّها تحت قدرته يصرّفها كيف شاء...

إلى أن قال: الْقَلْبُ: جوهرٌ نورانيٌّ مجرّدٌ يتوسّط بين الرّوح والنفس، وهو الذي تتحقّق به الإنسانِيّة - ويسمّيه الحكيم: النَّفْسُ النَّاطِقَةُ - والرّوحُ باطنه، والنفسُ

الحيوانية مركبة، وظاهره المتوسط بينه وبين الجسد.^(١) انتهى.

الْقَلْبُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تكرر لفظ القلب في القرآن الكريم، ومن خلال متابعة الآيات الكريمة يتضح أن القلب بمعنى الروح، وهو محط كثير من الآثار.

منها: إِنَّ القلب محط الطمئينة، وقد تكرر ذلك في آيات متعددة:

كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾^(٥).

ومنها: إِنَّ القلب محط الرحمة والغلظة:

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦).

ومنها: إِنَّ القلب محط التقلب في يوم القيامة:

كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٧).

ومنها: إِنَّ القلب يكون سليماً وغير سليم:

(١) الطَّرَازُ الْأَوَّلُ، ابْنُ مَعْصُومٍ ٢ : ٤٠٨.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) آل عمران: ١٢٦.

(٤) المائدة: ١١٣.

(٥) الأنفال: ١٠.

(٦) آل عمران: ١٥٩.

(٧) النور: ٣٧.

كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

ومنها: إِنَّ القلب يطبع عليه:

كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣).

وقوله جل شأنه: ﴿وَنُطْبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٦).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٨).

وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٩).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٠).

وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(١١).

(١) الشعراء: ٨٩.

(٢) غافر: ٣٥.

(٣) النساء: ٥٥.

(٤) الأعراف: ١٠٠.

(٥) الأعراف: ١٠١.

(٦) التوبة: ٨٧.

(٧) التوبة: ٩٣.

(٨) يونس: ٧٤.

(٩) النحل: ١٠٨.

(١٠) الروم: ٥٩.

(١١) محمد: ١٦.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).

ومنها: إِنَّ القلب محط التقوى:

كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ﴾^(٢).

ومنها: إِنَّ القلب محط الأمراض الروحية:

كما في قوله سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾^(٤).

وقوله جلَّ شأنه: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾^(٥).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾^(٧).

(١) المنافقون: ٣.

(٢) الحج: ٣٢.

(٣) البقرة: ١٠.

(٤) المائدة: ٥٢.

(٥) الأنفال: ٤٩.

(٦) التوبة: ١٢٥.

(٧) الحج: ٥٣.

وقوله سبحانه: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢).

وقوله جل وعز: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مُحْكَمَةً وَذَكَّرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾^(٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَقَلًا﴾^(٦).

ومنها: إِنَّ القلب محط العقل والتعقل:

كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(٧).

ومنها: إِنَّ القلب محط القسوة:

كما في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(٨).

(١) النور: ٥٠.

(٢) الأحزاب: ١٢.

(٣) الأحزاب: ٦٠.

(٤) محمد: ٢٠.

(٥) محمد: ٢٩.

(٦) المدثر: ٣١.

(٧) الحج: ٤٦.

(٨) البقرة: ٧٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٣).

وقوله جلَّ شأنه: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٤).

إلى غير ذلك من العناوين الكثيرة الواردة في الآيات الكريمة.^(٥)

والأنسب من بين هذه الآيات الكريمة للمعنى الذي أرادته الصديقة الكبرى

عليها السلام، قوله تبارك وتعالى: ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْنَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْنَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الصُّدُورِ﴾^(٦).

فمن هذه الشواهد القرآنية يظهر أن استعمال القلب في القرآن الكريم هو

بمعنى الروح أو النفس الإنسانية المجردة، التي هي جوهر نوراني مجرد، كما تقدم

(١) الأنعام: ٤٣.

(٢) الحديد: ١٦.

(٣) المائدة: ١٣.

(٤) الزمر: ٢٢.

(٥) ق: ٣٣-٣٧. غافر: ١٨. البقرة: ٧-٨٨-٩٣-١١٨-٢٢٥. آل عمران: ٧-٨-١٣-١٥١-١٥٤-١٥٦.

١٦٧. النساء: ٦٣. المائدة: ٤١. الأنعام: ٢٥-٤٦. الأعراف: ١٧٩. الأنفال: ٢-١١-١٢-٦٣-٧٠. التوبة:

٨-١٥-٤٥-٦٠-٦٤-٧٧-١١٠-١١٧-١٢٧. يونس: ٨٨. الحجر: ١٢. النحل: ٢٢. الإسراء: ٤٦. الكهف:

١٤-٥٧. الأنبياء: ٣. الحج: ٣٥-٥٤. المؤمنون: ٦٠-٦٣. النور: ٣٧. الشعراء: ٢٠٠. الأحزاب: ٥-١٠-

٢٦-٥١-٥٣. سبأ: ٢٣. الزمر: ٢٣-٤٥. فصلت: ٥. محمد: ٢٤. الفتح: ٤-١١-١٢-١٨-٢٦. الحجرات: ٣-

٧-١٤. الحديد: ١٦-٢٧. المجادلة: ٢٢. الحشر: ٢-١٠-١٤. الصف: ٥. التحريم: ٤. النازعات: ٨.

المطففين: ١٤.

(٦) الحج: ٤٦.

ذلك عن ابن معصوم في طرازه.

تَعْلِيْقٌ

فمرادها «روحي فداها»: كيف تلحق الهداية والرحمة بكم وقد عَمِيَتْ قلوبكم، حيثُ إِنَّ عَمَى القلوب يكون بمثابة المانع عن تلَقِّي الفيض الإلهي. ومرادها عليها السلام من العَمَى ليس الأمر الخارج عن الاختيار، الذي معه لا تصح المؤاخذه والعقاب، وإنَّما مرادها عَمَى القلوب، الذي هو تعامي القلوب عن الحق، الأمر الراجع إلى اختيار المكلف بعد وضوح الأمر له، فهو بين خيارين إما طريق الحق أو طريق الباطل، وهذا هو معنى الهداية في الآية الكريمة: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١). فلا يمكن أن يُلْزَمَ المكلف بطريق الخير مسلوب الاختيار، بل باختياره يسلك أي الطريقين شاء واختار. وهذا معنى الآية التي ختمت بها خطبتها «صلوات الله وسلامه عليها».

﴿أَنْلِزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(٢).

هذا تمام الكلام في شرح الخطبة التي أوردها الشيخ الصدوق عليه السلام في كتاب «معاني الأخبار»، والشيخ الطوسي عليه السلام في كتابه «الأمالى»، بما اقتضاه المقام. وسيأتي شرح الإضافة التي أوردها الطبرسي عليه السلام في كتاب «الاحتجاج».

بجمل الله

(١) البلد: ١٠.

(٢) هود: ٢٨.

إِضَافَةٌ فِي نُسْخَةِ الْاِحْتِجَاجِ

نتعرّض هنا لشرح الزيادة التي اختص بنقلها الشيخ الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» في ذيل الخطبة.

تَمْهِيدٌ

رُوِيََتْ خطبة الصّدّيقة «روحي فداها» في كثير من مصادر الخاصة والعامة، وسيأتي التّعريض لمصادرها إن شاء الله تعالى. ومن أبرز المصادر التي رُوِيََتْ هذه الخطبة فيها كتاب «الاحتجاج»، للشيخ الطبرسي رحمته الله.

والملاحظ أنّه هنا حذف الإسناد، ونقل الخطبة مباشرة عن سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، الذي هو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وَقَدْ عُدَّ مِنْ أَوْلِيَاءِ أمير المؤمنين عليه السلام.^(١)

(١) سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ بن عوسجة، أبو أمية، الجعفي، الكوفي، ذكر العلامة في الخلاصة عن البرقي أنّه من أولياء أمير المؤمنين عليه السلام. [خُلَاصَةُ الْأَقْوَالِ، الْعَلَامَةُ الْحَلِّيّ، ص ٨٤]. وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام. [رِجَالُ الطُّوسِيّ، ص ٦٦ و ٩٤] وقد نقل الشيخ الطوسي في التهذيب والاستبصار عن الفضل بن شاذان تصحيح خبر رواه سويد بن غفلة. [تَهْذِيبُ الْأَحْكَامِ، الشَّيْخُ الطُّوسِيّ ٩ : ٣٣١. الاستبصارُ فيما اختلفَ مِنَ الْأَخْبَارِ، الشَّيْخُ الطُّوسِيّ ٤ : ١٧٤]. وهو من رواة تفسير علي بن إبراهيم، فهو ثقة على مبنى السيد الخوئي رحمته الله في تفسير القمي. وهو عند العامة ثقة، وعُدَّ من رجال الصحاح الستة، فقد ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» وأثنى عليه، وذكر أنه لدة رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيث إنه ولد عام الفيل، وذكر الخلاف في صحبته لرسول الله صلّى الله عليه وآله. [سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، الذَّهَبِيُّ ٤ : ٦٩]، وكذلك ذكره في تذكرة

وقد صرح الشيخ الطبرسي في مقدمة الكتاب: بأنه حذف الأسانيد لواحد من الأسباب التي ذكرها، حيث قال: «ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده، إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلت العقول إليه، أو لاشتهاره في السّير والكتب بين المخالف والمؤالف».

فالطبرسي عليه السلام روى هذه الخطبة عن سويد بن غفلة، بدون أن يذكر سنده إليه، إما لوجود إجماع عليها، أو لموافقتها لما دلت العقول إليه، أو لاشتهارها بين المؤالف والمخالف، ولعل هذا الأخير هو مستنده في النقل مع حذف السند؛ لما سيأتي من اشتهار الخطبة بين الخاصة والعامة.

أما المقطع الأخير الذي أورده بعد الانتهاء من نقل الخطبة، راوياً له عن سويد بن غفلة، فقد تفرّد بنقله، حيث لم نجده في شيء من المصادر التي بين أيدينا.

المَقْطَعُ الْأَخِيرُ

((قَالَ سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ: فَأَعَادَتِ النِّسَاءُ قَوْلَهَا عليها السلام عَلَى رِجَالِهَا، فَجَاءَ إِلَيْهَا قَوْمٌ مِنْ وَجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مُعْتَذِرِينَ، وَقَالُوا: يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ، لَوْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ ذَكَرَ لَنَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُبْرِمَ الْعَهْدَ، وَنُحْكَمَ الْعَقْدَ، لَمَّا عَدَلْنَا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ! فَقَالَتْ عليها السلام: إِيَّاكُمْ عَنِّي، فَلَا عُدْرَ بَعْدَ تَعْذِيرِكُمْ، وَلَا أَمْرَ بَعْدَ تَقْصِيرِكُمْ))

→ الحفاظ، وقال عنه: «وكان ثقة نبيلاً عابداً زاهداً قانعاً باليسير، كبير الشأن، رحمه الله، يكنى النية، مات سنة إحدى وثمانين». [تَذْكِرَةُ الْحَفَاطِ، الذَّهَبِيُّ ١: ٥٣]. ونقل توثيقه ابن حجر في التهذيب عن ابن معين والعجلي. [تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، ابْنُ حَجَرٍ ٤: ٢٤٤].

تَوْضِيحٌ وَتَعْلِيْقٌ

تَقَدَّمَ أَنَّ الصَّدِيقَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَالَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ عَلَى جَمْعٍ مِنْ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ أَيَّامِ حَيَاتِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ، ثُمَّ تَقَلَّلَ النِّسَاءُ كَلَامُهَا إِلَى رَجَالِهَا، فَجَاءَهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مُعْتَذِرِينَ، عَنْ عَدَمِ تَسْلِيمِ الزَّامِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ خُلَاصَةُ عَذْرِهِمُ الَّذِي قَدَّمُوهُ لِلزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ : أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ الزَّامَ يَجِبُ أَنْ يَسْلَمَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبَايَعُوا «فَلَنَّا» لَمَا عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَيتَضَمَّنُ كَلَامُهُمْ وَاعْتِذَاْرَهُمْ تَحْمِيلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَوَلِيَّةَ ذَلِكَ ! لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَهُمْ ذَلِكَ.!!!

وَهَذَا الْإِعْتِذَاْرُ مِنْهُمْ وَاضِحٌ فِي أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ مِنَ الصَّدِيقَةِ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْقَبُولَ بِالْأَمْرِ الْوَاقِعِ، حَيْثُ صَرَّحُوا بِأَنَّهُمْ قَدْ عَقَدُوا الْبَيْعَةَ وَأَحْكَمُوهَا، فَلَا يُمْكِنُهُمُ التَّنَصُّلُ عَنْهَا.!!

وَبِمَا أَنَّ الصَّدِيقَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَالِمَةً بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ سِرَائِرُهُمْ، وَاسْتَبْطَنَتْهُ ضَمَائِرُهُمْ، قَطَعَتْ عَلَيْهِمُ الْكَلَامَ، وَلَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ هَذَا الْإِعْتِذَاْرَ الْمُسْتَبْطَنَ؛ لَعَلَّهَا بَعْدَ صَدَقِ التَّوْبَايَا.!

كَيْفَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَتَى يَصْدَحُ لَيْلاً وَنَهَاراً: بِأَنَّ الْخُلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا حَدِيثُ الْغَدِيرِ لَكَفَى، هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تَوَاتَرَ نَقْلُهُ فِي كُتُبِ الْعَامَةِ فَضْلاً عَنِ الْخَاصَّةِ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، وَحَدِيثُ الْمَنْزِلَةِ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وَحَدِيثُ الرَّايَةِ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ الْيَوْمَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، وَغَيْرِهَا الْكَثِيرُ.

فَلَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ خَفِيّاً عَلَى الْأُمَّةِ، فَضْلاً عَنِ الصَّدِيقَةِ الطَّاهِرَةِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ

وسلامه عليها» حتى يَنْظِلَ عليها هذا الاعتذار الواهي، لذلك أجابتهم بقولها:

(إِلَيْكُمْ عَنِّي، فَلَا عُذْرَ بَعْدَ تَعْذِيرِكُمْ، وَلَا أَمْرَ بَعْدَ تَقْصِيرِكُمْ)

وقولها: (إِلَيْكُمْ عَنِّي): طلب الكَفِّ والإمساك عن مواصلة الكلام.

وقولها: (فَلَا عُذْرَ بَعْدَ تَعْذِيرِكُمْ): أي فلا عذر مقبول بعد هذه الأعذار التي

ذكرتموها، فَإِنَّ التَّعْذِيرَ هو التَّقْصِيرُ في الأمر، حيث ظهر لها ﷺ من كلامهم

تقصيرهم في نصره الحق الذي جاء من عند الله جَلَّ شَأْنُهُ. وعلى وزان ذلك قولها:

(وَلَا أَمْرَ بَعْدَ تَقْصِيرِكُمْ).

وفي كلامها «صلوات الله وسلامه عليها» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ

إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ

وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

الْخِتَامُ

وبهذا نختتم الكلام فيما يرتبط بشرح الخطبة الشريفة، للصديقة الكبرى ﷺ،

مع التنويه بأننا التزمنا أسلوب التبسيط في الشرح رعاية لمختلف شرائح القراء

الكرام. والبحث التالي ما يرتبط بمصادر الخطبة.

بسم الله

مَصَادِرُ وَطَرُقُ الْخُطْبَةِ

تَمْهِيدٌ

لم يُؤَثَّرَ عن الصَّدِيقَةِ الشَّهِيدَةِ «روحي فداها» شيءٌ من الحُطْبِ في حياة أبيها رسول الله ﷺ، وإنَّما اشتهرت وانتشرت خُطْبُهَا بعد رحيل الرسول الخاتم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهذا فيه دلالات كثيرة، من أبرزها: أنها «صلوات الله وسلامه عليها» قد نَذَرَتْ نفسها في سبيل الدفاع عن حظيرة قدس الإمامة الإلهية، وقد شهد التاريخ - بالرغم من اتجاهه المعاكس لاتجاه الزهراء ﷺ - على نقل تلك المواقف البطولية منها ﷺ، ومُكَابَدَتِهَا أَشَدَّ المصائب والمِحَن في سبيل ذلك. وكان من أبرز ما نُقِلَ في التاريخ هذه الحُطْبَةُ الشريفة، التي تَمَّ التعرُّضُ لشرحها في البحث السابق، بشكل مختصر يتناسب والمقام.

وفي هذا البحث سوف أتعرضُ لذكر المصادر التي تَقَلَّتْ الحُطْبَةُ الشريفة، بنحو من التوضيح والعليق المختصر، ليتَّضَحَّ منه أنَّ هذه الحُطْبَةُ هي من الحُطْبِ المعروفة لدى الخاصة والعامة. وسوف أبدأُ، بذكر مصادر الخاصة بحسب التسلسل الزمَّني، ثم أعطِفُ الكلامَ على مصادر العامة، مُستعيناً بالله جَلَّتْ آلاؤُهُ وَعَظُمَتْ كَرَامَتُهُ وَعَظَايَاؤُهُ.

مَصَادِرُ الْخَاصَّةِ:

المَصْدَرُ الْأَوَّلُ: «مَعَانِي الْأَخْبَارِ»

كتاب «مَعَانِي الْأَخْبَارِ» للشيخ الصدوق، أبي جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، القُمِّي «المولود سنة: ٣٠٥ - والمتوفى سنة: ٣٨١ هجرية»، وهو من أُبَرِّزِ وجُوه الشيعة وروايتهم في القرن الرابع الهجري، وهو أَشْهَرُ مَنْ أَنْ يُعْرَفَ، وكتبه أَشْهَرُ مَنْ أَنْ تُوصَفَ، فقد أَطْرَأَهُ بالمدح والثناء كُلُّ مَنْ تَرَجَّمَ لَهُ، بل لا تكاد تجد كتاب تراجع إلا وذكره بما يكشف عن جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَقَامِهِ^(١).

(١) ترجم له الشيخ النجاشي، فقال: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، القُمِّي، أبو جعفر، نَزِيلُ الرَّيِّ، شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان وَرَدَ بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وَسَمِعَ مِنْهُ شيوخُ الطَّائِفَةِ وهو حَدَّثَ السَّنَّ. وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ... إلى أن قال: أَخْبَرَنِي بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَقَرَأْتُ بَعْضَهَا عَلَى وَالِدِي عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْعَبَّاسِ النَجَاشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ لِي: أَجَازَنِي جَمِيعَ كُتُبِهِ، لَمَّا سَمِعْنَا مِنْهُ بِبَغْدَادَ، وَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالرَّيِّ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ. [رِجَالُ التَّجَاشِيِّ، ص ٣٨٩، رقم الترجمة ١٠٤٩].

وترجم له الشيخ الطوسي في الفهرست، فقال: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، القُمِّي، يُكْنَى أَبُو جَعْفَرٍ. كَانَ جَلِيلًا، حَافِظًا لِلْأَحَادِيثِ، بَصِيرًا بِالرَّجَالِ، نَاقِدًا لِلْأَخْبَارِ، لَمْ يَزَلْ فِي الْقُمِّيِّينَ مِثْلَهُ فِي جَفْظِهِ وَكَثْرَةِ عِلْمِهِ...

إلى أن قال: لَهُ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مُصَنَّفٍ، وَفَهْرَسْتُ كُتُبَهُ مَعْرُوفٌ. [فَهْرَسْتُ الطُّوسِيِّ، ص ٤٤٣، رقم الترجمة ٧١٠].

تسمية الكتاب بـ «معاني الأخبار».

لقد افتنص الشيخ الصدوق عليه السلام اسم هذا الكتاب من الروايات الواردة في بيان فهم معاني كلامهم عليهم السلام.

فقد عقد عليه السلام الباب الأول من كتابه لبيان وجه تسمية الكتاب، فقال:
البَابُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سَمَّيْنَا هَذَا الْكِتَابَ كِتَابَ «مَعَانِي الْأَخْبَارِ»^(١).
وروى تحت هذا الباب ثلاثة روايات:

الرواية الأولى: ما رواه بإسناده عن دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «أَنْتُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ إِذَا عَرَفْتُمْ مَعَانِي كَلَامِنَا، إِنَّ الْكَلِمَةَ لَتَنْصَرِفُ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَوْ شَاءَ إِنْسَانٌ لَصَرَفَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَلَا يَكْذِبُ».

الرواية الثانية: ما رواه بإسناده عن بُرَيْدِ الرَّزَّازِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «يَا بُنَيَّ اعْرِفْ مَنَازِلَ الشَّيْعَةِ عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ الدَّرَجَةُ لِلرَّوَايَةِ، وَبِالدَّرَايَاتِ لِلرَّوَايَاتِ يَغْلُو الْمُؤْمِنُ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ، إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابٍ لِعَلِيِّ عليه السلام فَوَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ: أَنَّ قِيَمَةَ كُلِّ امْرِئٍ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي دَارِ الدُّنْيَا».

الرواية الثالثة: ما رواه بإسناده عن إِبْرَاهِيمَ الْكَرْخِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرَوِيهِ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهًا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا، وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرُجُ».

(١) مَعَانِي الْأَخْبَارِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، ص: ١.

سَنَدُ الْخُطْبَةِ

وقد رَوَى الشيخ الصدوق عليه السلام هذه الخطبة الشريفة، بسندين، أحدهما في بداية الخطبة، حيث عقد لها باباً أسماه: [باب معنى قول فاطمة لنساء المهاجرين والأنصار في علتها]^(١)، وثانيهما بعد الخطبة:

السَّنَدُ الْأَوَّلُ: قال عليه السلام: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ اللَّخْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ^(٢)، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عليها السلام، قَالَتْ: «لَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعَ عِنْدَهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...».

فهذا السند ينتهي إلى فاطمة بنت الحسين عليها السلام.

السَّنَدُ الثَّانِي: ذكره عليه السلام بعد نقل الخطبة، فقال: وَحَدَّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِ«ابْنِ مَقْبَرَةَ» الْقَزْوِينِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَهَاشِمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ

(١) مَعَانِي الْأَخْبَارِ، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، ص: ٣٥٤.

(٢) وهو عبد الله ابن الحسن ابن الحسن المجتبى عليه السلام، وتقدمت ترجمته في بداية الكتاب عند نقل نص الخطبة عن كتاب «معاني الأخبار»، وهو المعروف بـ«المَحْضِ»، ابن الحسن بن الحسن المجتبى عليه السلام، وهو المعروف بـ«الحسن المُنْتَقَى»، وهو زوج فاطمة بنت عمه الحسين عليه السلام. وكذلك تقدمت ترجمة أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عليها السلام.

عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام [الوفاة دَعَتْنِي، فَقَالَتْ، أَمْنَقُذُ أَنْتَ وَصِيَّتِي وَعَهْدِي؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى أَنْقَذُهَا. فَأَوْصَتْ إِلَيَّ، وَقَالَتْ: إِذَا أَنَا مِثُّ فَادِفِنِّي لَيْلًا وَلَا تُؤْذِنَنَّ رَجُلَيْنِ ذَكَرْتُهُمَا. قَالَ: فَلَمَّا اسْتَدَّتْ عِلَّتُهَا، اجْتَمَعَ إِلَيْهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقُلْنَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ عِلَّتِكَ...

وهذا السند ينتهي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.^(١)

وهذا الكتاب «معاني الأخبار» هو المصدر الأول الذي اعتمدته في نقل مقاطع الخطبة الشريفة أثناء الشرح.

بسم الله

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٣٥٦، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٤٣ : ١٥٨، بكلا السندين.

المصدر الثاني: «أُمالي الطوسي»

كتاب «الأُمالي» لشيخ الطائفة، أبي جعفر، محمد بن الحسن الطوسي رحمته الله (المولود سنة ٣٨٥، والمتوفى سنة ٤٦٠هـ). وهذا الشيخ، نُورٌ على عَلم، ولا يسع المقام ذكر اليسير من سيرته وعطاءه، فضلاً عن الكثير.

تَسْوِيَةُ الْأُمَالِي

الأُمالي: جَمْعُ إِملاء، وهي عبارة عن المطالب التي يملئها الأستاذ على تلاميذه في مجالس متعددة وهم يكتبونها، ولهذا تُسَمَّى أيضاً بـ«المَجَالِس» أيضاً. وقد اشتهرت كتب الأُمالي بين الأعلام المتقدمين من الخاصة والعامة، لانتشار المجالس العلمية التي يجتمع فيها الأستاذ مع تلاميذه ويملي عليهم علومه وهم يكتبون ما أملاه ويحدثون بها من جاء بعدهم. من أشهر كتب الأُمالي عند علمائنا، ومن أبرزها:

١- أُمالي الشيخ الصدوق رحمته الله.

٢- أُمالي الشيخ المفيد رحمته الله.

٣- أُمالي السيد المرتضى رحمته الله.

٤- أُمالي الشيخ الطوسي رحمته الله.

كما أنَّ الطابع العام في كُتُبِ الأُمالي أنَّ لا يُلتزم فيها بوحدة الموضوع، فتكون أشبه بالكشكول، الذي يضم مختلف المواضيع.

وكتاب الأمالي لشيخ الطائفة عليه السلام الذي نحن في صدّد الكلام عنه، قد رواه عنه ولده أبو علي الطوسي عليه السلام، والشيخ الطوسي رواه عن مشايخه، وقد أكثر الرواية فيه عن شيخه: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان عليه السلام. وقد رتبته على مجالس، وكان القسم الأكبر منه مجالس كان يعقدها يوم الجمعة، فلذلك يُسمّى بـ«المجالس».

سند الخطبة

وقد روى الشيخ الطوسي عليه السلام هذه الخطبة الشريفة في كتابه «الأمالي»، بطريق إلى الدعبل، والدعبل بطريقين ينتهيان إلى عبد الرزاق الصنعاني، وعبد الرزاق بطريق واحد ينتهي إلى ابن عباس. قال عليه السلام: أَخْبَرَنَا الْحَقَّارُ^(١).

(١) هو هلال بن محمد بن جعفر الحقار، أبو الفتح، البغدادي، روى عنه الشيخ في مواضع كثيرة من كتابه: «الأمالي».

روى عنه بعض العامة، ما يظهر منه أنه من شيوخهم.

كلام الخطيب البغدادي

فقد روى عنه الخطيب البغدادي في مواضع كثيرة من تاريخه، ما يظهر منه أنه من شيوخه، فقد ترجمه في تأريخه قائلاً: «هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان بن عبد الرحمن بن ماهويه بن مهيار بن المرزبان، أبو الفتح، الحفار، قرأت نسبه هذا بخطه...» إلى أن قال: «كتبنا عنه، وكان صدوقاً، ينزل بالجانب الشرقي قريباً من الخطابين...» إلى أن قال: «مات هلال الحفار في يوم الجمعة، الثالث من صفر، سنة أربع عشرة وأربعمائة». انتهى [تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي ١٤ : ٧٦، رقم الترجمة: ٧٤٢٦].

كلام الذهبي

وكذلك ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، قائلاً: «الحفار، الشيخ الصدوق، مسند بغداد، أبو الفتح، هلال بن محمد بن جعفر ابن سعدان... السكسري ثم البغدادي» إلخ. انتهى [سير

أَعْلَامُ الثُّبَلَاءِ، الذَّهَبِيُّ ١٧ : ٢٩٢، رقم الترجمة: [١٧٨].

كَلَامُ صَاحِبِ «رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ»

وهذا الشخص - الذي ترجم له الخطيب والذهبي - ليس هو السيد هلال بن محمد بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام. الذي ترجم له الميرزا أفندي في «رياض العلماء وحياض الفضلاء»، وقال بأنه من الإمامية، وأنه من أحفاد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، حيث قال: «السيد أبو الفتح، هلال بن محمد بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فاضل عالم عظيم القدر والشأن، وهو من أجلاء هذه الطائفة الحقة الإمامية، على ما بالبال، فلاحظ..». ثم نقل عن العلامة الحلي نسبته إلى العامة، فقال: «ولكن العلامة قدس سره قد عدّه في إجازته لأولاد السيد ابن زهرة: هذا الشيخ من علماء العامة في جملة مشايخ الشيخ الطوسي، وهو غريب، فلاحظ». انتهى [رياض العلماء وحياض الفضلاء، الأفتدي، ٥ : ٣٢٥].

كَلَامُ صَاحِبِ أَعْيَانِ الشَّيْعَةِ

وكذلك ذكره صاحب «أعيان الشيعة» ناسباً له إلى زيد الشهيد، فقال: «الحفار، هو أبو الفتح، هلال بن محمد بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام». [أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين ٦ : ١٩٩ برقم ٥٧٧].

النَّظَرُ فِيمَا ذُكِرَ

إنَّ ما ذكره صاحب «رياض العلماء»، محل تأمل ونظر، حيث لم تثبت رواية الشيخ عن ترجم له. فيكون عدّد صاحب الرياض له من مشايخ الشيخ الطوسي عليه السلام محل تأمل.

نعم يحتمل أن يكون من ترجم له صاحب الرياض - هلال بن محمد بن جعفر بن زيد - هو من ذكره ابن الغضائري في «تكملة رسالة أبي غالب الزراري» الآتي ذكره؛ لاتحادهما في الاسم واسم الأب، وللجزم بكونهما من الإمامية، لتصريح صاحب الرياض بذلك، ولتولي ابن الغضائري دفن هلال بن محمد في الغري بعد إدخاله على الإمامين الكاظمين عليه السلام في مقابر قريش، ولترحمه عليه.

كَلَامُ ابْنِ الْغَضَائِرِيِّ

وذكر ابن الغضائري في كتابه «تكملة رسالة أبي غالب الزراري»، بأنه تولى دفن هلال بن محمد، بعد دفن الزراري في نفس السنة التي توفي فيها الزراري سنة ٣٦٨ هـ، وهذا نصّ كلامه: «وتوفى

أحمد بن محمد الزراري، الشيخ الصالح - رضي الله عنه - في جمادى الأول سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وتوليت جهازه، وكان جهازه وحمله إلى مقابر قريش على صاحبها السلام، ثم إلى الكوفة، ونفذت ما أوصى بإنفاذه، وأعاني على ذلك هلال بن محمد - رضي الله عنه - ثم توفي هلال بن محمد في شوال من هذه السنة، فتوليت أمره وجهازه ووصيته، وحمله إلى الشهداء بمقابر قريش ثم إلى الكوفة، وقبراهما - رحمهما الله - بالغري» [شرح تكملة رسالة أبي غالب الزراري في آل أعين، الغضائري، للأبطحي، ص: ١٠٢-١٠٣].

كلام السيد الأبطحي

وذكر شارح تكملة ابن الغضائري: السيد محمد علي الأبطحي رحمته الله، ما نصه: «يظهر من ذلك أن هلال بن محمد كان من رجال الشيعة، وإنَّ تولَّى ابن الغضائري الجليل أحد مشايخ الشيعة لجهازه وحمله إلى مشهد الإمامين عليهما السلام ثم إلى الكوفة أو النجف الأشرف، يدلُّ على أنَّه كان من شيوخ أصحابنا الإمامية، منهم الشيخ، فقد روى عنه في الفهرست: وقال في ترجمة إسماعيل بن علي الخزاعي: وسمعنا هلال الحفار يروى عنه مسند الرضا عليه السلام، وغيره، فسمعناه منه وأجاز لنا باقي رواياته.

وقال الخطيب في تاريخ بغداد [ج ١٤ ص ٧٥]: «هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان بن عبد الرحمان بن ماهويه بن مهيار بن المرزبان، أبو الفتح، الحفار. قرأت نسبه هذا بخطه... كتبنا عنه، وكان صدوقاً، ينزل بالجانب الشرقي، قريباً من الخطابين، وسألته عن مولده، فقال: ولد في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة... مات هلال الحفار في يوم الجمعة الثالث من صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة.

وفي محكي الرياض: إنَّه من أجلاء هذه الطائفة، ومن مشايخ الطوسي. وقيل: إنَّه فاضل عالم، عظيم القدر والشأن، وهو من أجلاء هذه الطائفة الحققة الإمامية. قلت: إن العلامة الحلي - رحمه الله - جعله في الإجازة لبني زهرة من مشايخ الطوسي من علماء العامة، وهو غريب.

يظهر وجهه من النظر فيما رواه الطوسي عن هذا الحفار في كتابه الأمالي، وأيضاً ما ذكره الماتن - رحمه الله - وقد حققنا ترجمته في الشرح على فهرست الشيخ. انتهى [شرح تكملة رسالة أبي غالب الزراري في آل أعين، للغضائري، السيد محمد علي الأبطحي، ص: ١٠٢-١٠٤]

وذكر رحمته الله أيضاً قريباً من ذلك في كتاب «تاريخ آل زرارة»، حيث إنه بعد نقل كلام ابن الغضائري

في شأن توليه دفن هلال بن محمد في نفس سنة وفاة الزراري ذكر ما نصه: «أقول: وكان هلال بن محمد من مشايخ شيخ الطائفة، روى عنه في مواضع من الفهرست، وأيضاً من مشايخ البغدادي...» إلى أن قال: «وعن رياض العلماء وغيره مدحه، بأنّه من أجلاء هذه الطائفة، وأنه فاضل عالم عظيم القدر والشأن، ومن مشايخ الطوسي». انتهى [تاريخ آل زرارة، الأبطحي، ص: ٢١٠-٢١١].

التَّظَرُّ فِيمَا ذُكِرَ.

وفيما ذكره السيد الأبطحي رحمته الله محلّ تأملٍ واضح، باعتبار أنَّ هلال بن محمد الذي تولى دفنه ابن الغضائري توفي سنة ٣٦٨هـ في شهر شوال، ولا يمكن الجمع بين ذلك وبين تاريخ ولادة الشيخ الطوسي، التي كانت سنة ٣٨٥هـ. فإنّه بناءً على ذلك تكون ولادة الشيخ بعد وفاة الزراري وهلال بن محمد بـ«سبعة عشر» سنة تقريباً. فالشيخ لا يمكن أن يروي عمّن هو في طبقة الزراري إلا بالواسطة. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، إنّ السيد الأبطحي ذكر بأنّ من ترجم له الخطيب، وعده من شيوخ الشيخ الطوسي، قد توفي سنة (٤١٤)، وفي نفس الوقت نقل عن ابن الغضائري أن من تولى دفنه قد توفي سنة (٣٦٨)، فكيف يمكن الجمع بين التّاريخين. والحال أن الفاصل بينهما قرابة (٤٦) سنة!! فإنّ ذلك غريب غايته من هذا السيد الجليل مع دقته وعلميته التي لا يُنازع فيها.

كَلَامُ صَاحِبِ الذَّرِيعَةِ

وقد ذهب صاحب الذريعة إلى أنّ هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان الحفار من الإمامية، وأنّه شيخ الشيخ الطوسي، حيث قال ما نصه: «(١٢٥٤: الأمالي) للشيخ أبي الفتح، هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان الحفار، ببغداد، المتوفى سنة ٤١٤، عن اثنتين وتسعين سنة، كما ذكره تلميذه الخطيب، هو من مشايخ الشيخ الطوسي، يروي عنه الشيخ في أماليه، المعروف بأمالِي ابن الشيخ أحاديث تُدَلُّ على تَشَيُّعِهِ، فلا وجه لَعَدِّهِ من العامة، كما في الإجازة الكبيرة لبني زهرة، وصَرَّحَ بما ذكرناه صاحبُ الرياض، كما حكي عنه، وآيَةُ الله ببحر العلوم في «الفوائد الرجالية»، وشيخنا في «خاتمة المستدرک»». انتهى [الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني ٢ : ٣١٦ - ٣١٧].

التَّظَرُّ فِيمَا ذُكِرَ

وهنا يوجد اشتباه واضح بين من ترجم له صاحب الرياض، وهو هلال بن محمد بن جعفر بن

قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّعْبِيُّ^(١)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَزَّازُ - يَبْعَدَادُ بِالْكَرْخِ بِدَارِ كَعْبٍ - قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَهْلٍ الرَّقَّاءُ^(٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٣). قَالَ الدَّعْبِيُّ: وَحَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبْرِيُّ^(٤) - بِصَنْعَاءَ الْيَمَنِ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ

زيد...، وبين من ترجم له الخطيب، وهو هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان...، فأخذ التوثيق والمدح الذي ذكره صاحب الرياض وطُبِّقَ على من ذكره الخطيب!!
وأما كون روايات الشيخ عنه في الأمالي تدل على تشيعه، فهو محل تأمل. حيث إنّه من العابت وقوع كثير من رجال العامة في أسانيد الشيعة، بل إنّ هناك من العامة من ألف في القضايا الشيعة المحضة.

مَا ذَكَرَهُ السَّيِّدُ الْجَلَالِي

نعم أشار إلى ذلك سيّدنا المحقّق السيّد محمد رضا الجلالى - حفظه الله - في تحقيقه على رسالة أبي غالب الزراري، حيث إنّه نقل تكملة الغضائري وحقّقها بعد تحقيقه لنفس رسالة الزراري، فقال في الحاشية ما نصه: «هلال بن محمد هذا ليس هو أبو الفتح الحفار شيخ الخطيب البغدادي، لتصريح الخطيب بأنّ شيخه مات سنة (٤١٤).... وأما هلال بن محمد هذا فقد توفي سنة (٣٦٨)؛ لأنّها السنة التي توفي فيها (محمد بن أحمد بن داود).... مضافاً إلى أنّ وصية هلال إلى الغضائري، وتولي الغضائري أمره، وحمله إلى مقابر قريش، ثم إلى الغري، يقتضي - بلا ريب - تشيعه، وأين الحفار من كل ذلك» [رسالة أبي غالب الزراري، تحقيق السيّد الجلالى، ص: ١٩٣]. والله أعلم.

(١) الدَّعْبِيُّ هو أبو القاسم، إسماعيل بن علي بن علي الحَزَّازي، وهو ابن أخي دُعَيْل بن علي الحَزَّازي، صاحب الإمام الرضا عليه السلام، صاحب القصيدة الثائية المعروفة.

(٢) في بحار الأنوار: «الدَّقَّاق».

(٣) هو أبو بكر، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، صاحب المصنف المعروف، توفي سنة ٢١١ هـ. عدّه الشيخ في الرجال من أصحاب الصادق: «عبد الرزاق بن همام اليماني» [رجال الطوسي، ص ٢٦٥، في أصحاب الصادق عليه السلام، برقم ٧١٤].

(٤) في بحار الأنوار: «الدَّبْرِيُّ»، بالياء، والصواب: «الدَّبْرِيُّ»، بالباء.

وَمَنْائِنَ وَمَائَتَيْنِ - قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ^(١)، عَنِ الزُّهْرِيِّ^(٢)، عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ^(٣)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «دَخَلْتُ نِسْوَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَعُدُّنَهَا فِي عِلَّتِهَا...»^(٤).

ونقلها عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار.^(٥)

وهذا الكتاب هو المصدر الثاني الذي اعتمدته في نقل فقرات الخطبة الشريفة أثناء الشرح.

بِسْمِ اللَّهِ

(١) هو أبو عروة، معمر بن راشد البصري، الصنعاني، وهو من رواة العامة، وعده الشيخ في الرجال من أصحاب الصادق عليه السلام: «معمر بن راشد الصنعاني البصري أبو عروة» [رِجَالُ الطُّوسِي، ص ٣٠٧، في أصحاب الصادق عليه السلام، برقم ٥٦٩].

(٢) هو محمد بن شهاب، الزهري. عده الشيخ في الرجال في أصحاب زين العابدين عليه السلام، فقال: «محمد بن شهاب الزهري، عدو» [رِجَالُ الطُّوسِي، ص ١١٩]، وفي أصحاب الصادق عليه السلام، فقال: «محمد بن مسلم الزهري، المدني، تابعي، وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن شهاب بن زهرة بن كلاب، ولد سنة اثنتين وخمسين، ومات سنة أربع وعشرين ومائة، وله اثنتان وسبعون سنة، وقيل: سبعون سنة» [رِجَالُ الطُّوسِي، ص ٢٩٤]. وقد أطراه بالمدح والثناء كل من ذكره من العامة.

(٣) الهذلي، أحد فقهاء المدينة السبعة.

(٤) الْأَمَالِي، الشَّيْخُ الطُّوسِي، ص: ٣٧٤.

(٥) بَحَارُ الْأَنْوَارِ، الْعَلَامَةُ الْمُجَلِّسِيُّ ٤٣ : ١٥٩.

المصدر الثالث: «الاحتجاج»

كتاب «الإحتجاج على أهل اللجاج» للشيخ أبي منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب، الطبرسي رحمته الله، وهذا الشيخ لم يضبط تأريخ ولادته ولا تأريخ وفاته، إلا أن الثابت أنه من أعلام القرن السادس الهجري، لأنه معاصرٌ لأمين الإسلام الطبرسي رحمته الله، صاحب «مجمع البيان في تفسير القرآن». المتوفى سنة ٥٤٨هـ.ق.

سَبَبُ تَأْلِيْفِ الْكِتَابِ

وهذا الكتاب قد جمع فيه الشيخ الطبرسي رحمته الله احتجاجات النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله والصديقة الكبرى عليها السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام، وضمّنه بعض احتجاجات غير المعصومين من عاصرهم، كاحتجاج زينب الكبرى عليها السلام، وختم الكتاب بذكر بعض احتجاجات للشيخ المفيد والسيد المرتضى رحمهما الله.

وقد ذكر الشيخ الطبرسي رحمته الله في مقدمة كتاب الاحتجاج السبب الذي دعاه لتأليف الكتاب، فقال ما نصه: «ثُمَّ إِنَّ الَّذِي دَعَانِي إِلَى تَأْلِيْفِ هَذَا الْكِتَابِ عُدُولُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ عَنْ طَرِيقِ الْحِجَااجِ جَدًّا وَعَنْ سَبِيلِ الْجِدَالِ وَإِنْ كَانَ حَقًّا، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لم يجادلوا قَطُّ، وَلَا اسْتَعْمَلُوهُ، وَلَا لِلشَّيْعَةِ فِيهِ إِجَازَةٌ، بَلْ نَهَوْهُمْ عَنْهُ، وَعَابُوهُ، فَرَأَيْتُ عَمَلَ كِتَابٍ يَحْتَوِي عَلَى ذِكْرِ جَمَلٍ مِنْ مَحَاوِرَاتِهِمْ فِي الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ مَعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَذَوِي الْفُضُولِ، قَدْ جَادَلُوا فِيهَا

بالحق من الكلام وبلغوا غاية كل مرام. وإنهم عليه السلام إنما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من أهل القصور عن بيان الدين، دون المبرزين في الاحتجاج، الغالبيين لأهل اللجاج، فإنهم كانوا مأمورين من قبلهم بمقاومة الخصوم ومداواة الكلوم، فعلت بذلك منازلهم وارتفعت درجاتهم وانتشرت فضائلهم^(١).

سند الخطبة

وقد روى الشيخ الطبرسي الخطبة الشريفة، عن سويد بن غفلة، بحذف السند بينه وبين سويد بن غفلة، وقد ذكر سبب حذفه للأسناد في مقدمة كتابه، فقال: «ولا تأتي في أكثر ما نوردّه من الأخبار بإسناده، إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول عليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤلف، إلا ما أوردته عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، فإنه ليس في الاشتهار على حد ما سواه، وإن كان مستملاً على مثل الذي قدّمناه، فلاجل ذلك ذكرته إسناده في أول جزء من ذلك، دون غيره، لأن جميع ما روئى عنه عليه السلام إنما روئيه بإسناد واحد من جملة الأخبار التي ذكرها عليه السلام في تفسيره^(٢).

وبناءً عليه فتكون رواية الخطبة في الاحتجاج في قوة المسندة لا المرسلة.

وقد ذكر الخطبة الشريفة تحت عنوان: «احتجاج فاطمة الزهراء، على القوم لما منعوها فدك، وقولها عليها السلام لهم عند الوفاة بالإمامة». حيث ذكر أولاً الخطبة الفدكية المعروفة، نقلاً عن سويد بن غفلة، ثم ذكر حالة رجوعها إلى البيت محزونة

(١) الاحتجاج على أهل اللجاج، الشيخ الطبرسي ١: ١٣.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج، الشيخ الطبرسي ١: ١٤.

مكروبة، وذكر مخاطبتها مع أمير المؤمنين عليه السلام، فنقل ما نصه:

«ثُمَّ انْكَفَأْتُ عليه السلام، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَتَوَقَّعُ رُجُوعَهَا إِلَيْهِ وَيَتَطَلَّعُ ظُلُوعَهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهَا الدَّارُ.

قَالَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، اشْتَمَلْتُ شَمْلَةَ الْجَنِينِ، وَقَعَدْتُ حُجْرَةَ الظَّيْنِ، نَقَضْتُ قَادِمَةَ الْأَجْدَلِ، فَحَانَكَ رِيْشُ الْأَعْرَلِ، هَذَا ابْنُ أَبِي فُحَافَةَ يَبْتَزِّي نِخْلَةَ أَبِي وَبُلْعَةَ انْبِيَّ، لَقَدْ أَجْهَدَ فِي خِصَامِي، وَأَلْفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلَامِي، حَتَّى حَبَسْتَنِي قَيْلَةً نَصْرَهَا، وَالْمَهَاجِرَةَ وَصَلَهَا، وَعَصَصْتُ الْجَمَاعَةَ دُونِي طَرْفَهَا، فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاطِمَةً وَعُدْتُ رَاغِمَةً، أَضْرَعْتُ حَدَّكَ يَوْمَ أَصْعَتُ حَدَّكَ، افْتَرَسْتُ الدَّنَابَ وَافْتَرَشْتُ التُّرَابَ، مَا كَفَفْتُ قَائِلًا وَلَا أَغْنَيْتُ طَائِلًا، وَلَا خِيَارَ لِي. لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هُنَيْئَتِي وَدُونَ ذِلَّتِي، عَذِيرِي اللَّهُ مِنْهُ عَادِيًّا، وَمِنْكَ حَامِيًّا، وَيَلَايِي فِي كُلِّ شَارِقٍ، وَيَلَايِي فِي كُلِّ غَارِبٍ، مَاتَ الْعَمْدُ وَوَهَنَ الْعُصْدُ، شَكُوَايَ إِلَى أَبِي وَعَدُوَايَ إِلَى رَبِّي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَحَوْلًا وَأَشَدُّ بَأْسًا وَتَنَكُّيلًا.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : لَا وَبَلَ لَكَ، بَلِ الْوَيْلُ لِشَانِيئِكَ، ثُمَّ نَهَنِيهِ عَنْ وَجْدِكَ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةِ الثُّبَوَةِ، فَمَا وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلَا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتُ تُرِيدِينَ الْبُلْعَةَ، فَرِزْكَ مَظْمُونٌ، وَكَفَيْلِكَ مَأْمُونٌ، وَمَا أُعِدُّ لَكَ أَفْضَلُ مِمَّا قُطِعَ عَنْكَ، فَاحْتَسِي اللَّهَ.

فَقَالَتْ عليه السلام : حَسْبِيَ اللَّهُ، وَأَمْسَكْتُ..».

ثم بعد ذلك نقل رواية الخطبة الثانية، عن سويد بن غفلة، بقوله: «وَقَالَ سُوَيْدُ

بْنُ عَفْلَةَ: لَمَّا مَرَصَّتْ فَاطِمَةُ عليها السلام ...» الخطبة. (١).

(١) الاختِجَاجُ عَلَى أَهْلِ اللَّجَاجِ، الشَّيْخُ الطَّبْرِيزِيُّ ١ : ١٠٨.

ونقلها عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار.^(١)
 وهذا الكتاب هو المصدر الثالث الذي اعتمدته في نقل فقرات الخطبة الشريفة
 أثناء الشرح بنحو اختلاف النسخ.

بسم الله

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٤٣ : ١٥٩.

المصدر الرابع: «دلائل الإمامة»

كتاب «دلائل الإمامة»، للشيخ أبي جعفر، محمد بن جرير بن رُسْتُم، الطبري، الأملي، المازندراني رحمته الله. من وجوه فقهاء الشيعة في القرن الخامس الهجري، ويظهر أنه مُعاصرٌ للشيخ الطوسي رحمته الله والنجاشي رحمته الله. ولم يُضبط تأريخُ ولادة هذا الشيخ ولا وفاته بالتحديد.

نعم ذكره آغا بزرك الطهراني في «طبقات أعلام الشيعة»: «التَّابِسُ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ»، فقال: «محمدُ بن جرير، أبو جعفر، الطبري، المتأخر، الصغير، في مقابل الكبير، الذي ترجمه النجاشي، والصغير هذا هو صاحب كتاب «الإمامة»، الذي أَكْثَرَ النُّقْلَ عنه السيدُ هاشم البحراني في «مدينة المعاجز»، وَصَرَّحَ عند ذكره المعجزة السابعة للحسن السبط عليه السلام بما لفظه: «أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، في كتاب «الإمامة»، وكلّما في هذا عنه فهو منه...» يعني كلّما أنقل في هذا الكتاب عن محمد بن جرير الطبري فهو من كتاب «الإمامة»...» إلخ^(١).

فَائِدَةٌ

لقد اشترك في هذا الاسم ثلاثة من كبار العلماء، اثنان منهم من علماء الشيعة، وواحد من علماء العامة:

(١) طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ، «التَّابِسُ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ»، الطَّهْرَانِي ٢ : ١٥٣.

أما الذي من علماء العامة، فهو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المعروف، صاحب التأيخ والتفسير.

وأما اللذان من علماء الشيعة فهما:

الأول: محمد بن جرير بن رستم، الطبري، الآملي، صاحب كتاب: «المُسْتَرْشِد في الإمامة»، وهو من ترجم له الشيخ النجاشي في رجاله، فقال: «محمد بن جرير بن رستم، الطبري، الآملي، أبو جعفر، جليل، من أصحابنا، كثيرُ العلم، حسنُ الكلام، ثِقَّةٌ في الحديث. له كتاب «المسترشد في الإمامة». أخبرناه أحمد بن علي بن نُوح، عن الحسن بن حمزة الطبري، قال: حدثنا محمد بن جرير بن رستم»^(١).

وترجم له الشيخ في الفهرست فقال: «محمّد بن جرير محمّد بن جرير بن رستم، الطبري، الكبير، يكتّى أبا جعفر، دَيِّنَ فاضِلٌ، وليس هو صاحب التاريخ، فإنّه عايّ المذهب. وله كتب جماعة منها كتاب المسترشد»^(٢).

وهذا غير صاحب كتاب «دلائل الإمامة» الذي نقل الخُطبة الشريفة.

الثاني: صاحب كتاب «دلائل الإمامة»، وقد ذكرناه أعلاه.

ويشترك صاحب «دلائل الإمامة» مع صاحب «المسترشد في الإمامة» في الاسم واسم الأب واسم الجد وكذلك في الكنية، وهذا يتفق وقوعه، إلا أنّ صاحب كتاب «المسترشد» متقدّم طبقة على صاحب كتاب الدلائل، فإنّ الذي يظهر من مجموعة من القرائن أنّه معاصر للشيخ الكليني، وصاحب الدلائل معاصر للشيخين الطوسي والتجاشي.

(١) رجالُ التجاشي، ص ٣٧٦، ترجمة رقم ١٠٢٤.

(٢) فهرستُ الطوسي، ص: ٤٤٦، ترجمة رقم: ٧١٢.

الْخُطْبَةُ فِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ

وقد روى صاحب «دلائل الإمامة» الخطبة الشريفة مكررةً بسندين مختلفين:
 السند الأول: «حَدَّثَنِي أَبُو الْمُفَضَّلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ
 أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْمُفَضَّلِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
عليه السلام، قَالَ: لَمَّا رَجَعْتُ فَاطِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهَا فَتَشَكَّتُ وَكَانَ وَقَائِهَا فِي هَذِهِ الْمَرْضَةِ، دَخَلَ
 إِلَيْهَا النِّسَاءُ الْمُهَاجِرَاتُ وَالْأَنْصَارِيَّاتُ، فَقُلْنَ لَهَا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا بِنْتَ رَسُولِ
 اللَّهِ؟...»^(١).

فهذا السند ينتهي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن جده علي
 بن الحسين عليه السلام.

السند الثاني: «وَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ الْبَاقِرِيِّ، قَالَ:
 حَدَّثَنِي أُمُّ الْفَضْلِ خَدِيجَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الثَّلَاجِ، قَالَتْ:
 حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّفْوَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ
 يَحْيَى الْجَلُودِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 الْمُهَلَّبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَدَّتْ
 عِلَّةُ فَاطِمَةَ...»^(٢).

(١) دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ، الطَّبْرِيِّ الشَّيْبِيِّ، ص: ١٢٥.

(٢) دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ، الطَّبْرِيِّ الشَّيْبِيِّ، ص: ١٢٨.

فهذا السند ينتهي إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

وهذا السند يشترك مع السند الأول الذي تقدم ذكره عن الشيخ الصدوق عليه السلام في «معاني الأخبار» في بعض رجاله إلى عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام. ابتداءً من محمد بن زكريا... إلخ.

وبهذا السند الثاني نقل جزءاً من بداية الخطبة وجزءاً من آخرها، بينما في الطريق الأول نقلها كاملة.

وكان تأخير هذا المصدر، مع أنّ حقه التقديم على كتاب الاحتاج، المتأخر عنه زماناً، أنّ كتاب الاحتجاج جعلته من المصادر التي اعتمدتها في الشرح.

بسم الله

المصدر الخامس: «كشف الغمة في معرفة الأئمة»

كتاب «كشف الغمة في معرفة الأئمة»، للشيخ علي بن عيسى الإرْبلي، المتوفى

سنة ٦٩٣ هـ

ترجم له الشيخ الحر العاملي في كتابه «أمل الآمل» القسم الثاني: «تذكرة المتبحرين»: «الشيخ بهاء الدين، أبو الحسن، علي بن عيسى بن أبي الفتح، الإرْبلي. كان عالماً فاضلاً محدثاً ثقة شاعراً أديباً مُنْشِئاً، جامعاً للفضائل والمحاسن، له كتب منها: كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة، جامع حسن، فرغ من تأليفه سنة: ٦٨٧، وله رسالة الطّيف، وديوان شعر، وعدّة رسائل. وله شعر كثير في مدائح الأئمة عليهم السلام، ذكر جملة منها في كشف الغمة...»^(١).

الخطبة في كشف الغمة

وقد رَوَى الإرْبلي الخطبة الشريفة من طريقين:

أحدهما: عن كتاب «السقيفة وفدك» للجوهري.

وثانيهما: بعنوان «رؤي»، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

أما الطريق الأول: فقد حذف السند، الذي ذكره الجوهري إلى عبد الله بن

الحسن بن الحسن، حيث إنّه بنى على حذف الأسانيد في كتابه إلّا بمقدار الحاجة

(١) أَمَلُ الْآمَلِ، «تَذَكُّرُ الْمُتَبَحِّرِينَ»، الحُرُّ الْعَامِلِيُّ، ٢: ١٩٤، ترجمة رقم: ٥٨٨.

لذلك، حيث قال في ديباجة الكتاب: «... وحذفت الأسانيد، واكتفيت بذكر من يروها من الأعيان، تفادياً من طول الكتاب بـ«حَدَّثَنَا فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ»، فإن وَرَدَتْ كلمة لغوية، أو معنى يحتاج إلى بيان بيّنه بأخصر ما يُمكن، فإنّ هذا ليس بكتاب جدلٍ فأذكر فيه الخلاف والوفاق، وأحمِلُ كُلَّ معنى من الشرح والإيضاح ما أطاق، ولكي أُشيرُ إلى ذلك إشارةً تليقُ بَعَرَضِ هذا الكتاب...»^(١).

حيث إنّهُ نقل الخطبة الفدكية أيضاً عن كتاب الجوهري، قبل هذه الخطبة، وذكر أن الجوهري رواها عن طريق رجاله من عدة طرق، فقال: «وحيث انتهى بنا القول إلى هنا، فلنذكر خطبة فاطمة عليها السلام، فإنّها من محاسن الخطب، وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردّها المؤلف والمُخَالِفُ ونَقَلْنَاهَا مِنْ كِتَابِ السَّقِيفَةِ - عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةٍ - تَأْلِيفَ أَبِي بَكْرٍ، أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ، مِنْ نُسخَةٍ قَدِيمَةٍ مَقْرُوءَةٍ عَلَى مُؤَلِّفِهَا الْمَذْكُورِ، فُرِثَتْ عَلَيْهِ فِي ربيعِ الآخرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، رَوَى عَنْ رِجَالِهِ مِنْ عِدَّةٍ طُرُقٍ: أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام لَمَّا بَلَغَهَا إِجْمَاعُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مَنْعِهَا فَدَكَ لَاثَتْ خِمَارَهَا وَأَقْبَلَتْ فِي لَيْمَةٍ مِنْ حَفَدَتِهَا وَنِسَاءِ قَوْمِهَا تَجُرُّ أذْرَاعَهَا تَطَأُ فِي دُيُولِهَا مَا تَحْرِمُ مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله»^(٢).

ثم بعد أن نقل تمام الخطبة الفدكية، أشار إلى أنّه نقلها من كتاب السقيفة من نسخة قديمة مغلوطة، فقام بتصحيحها ومقابلتها على نسخ آخر، فقال ما نصه: «هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة وكانت النسخة مع قدمها مغلوطة فحققتها

(١) كَشَفُ الْعَمَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَيْمَةِ، الرُّبُوعِي ١ : ٦.

(٢) كَشَفُ الْعَمَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَيْمَةِ، الرُّبُوعِي ١ : ٤٧٩.

من مواضع أخر^(١).

ثم عطف الكلام نقلاً عن صاحب كتاب السقيفة برواية هذه الخطبة الثانية، فنقلها من طريق الجوهرى أيضاً، وذلك عطفًا على الخطبة الفدكية.

فقال: «وَرَوَى صَاحِبُ كِتَابِ السَّقِيفَةِ، عَنْ رِجَالِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عليها السلام، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَدَّتْ بِفَاطِمَةَ عليها السلام الْوَجَعُ وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقُلْنَ لَهَا يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ أَصْبَحْتَ...» الْخُطْبَةُ.

أما الطريق الثاني: فقد ذكره بعنوان «وَرُوي»، فنقل الرواية الواصلة إلى أمير المؤمنين عليه السلام في وصية فاطمة عليها السلام له، ثم ذكر اجتماع نساء من المهاجرين والأنصار عندها لما اشتدت علتها.

فقال: «وَرُوي أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ فَاطِمَةَ عليها السلام الْوَفَاءُ دَعَتْ عَلِيًّا عليه السلام، فَقَالَتْ: أَمْنَفِذْ أَنْتَ وَصِيَّتِي وَعَهْدِي أَوْ وَاللَّهِ لَأَعْهَدَنَّ إِلَى غَيْرِكَ؟ فَقَالَ عليه السلام: بَلَى أَنْفِذْهَا. فَقَالَتْ عليها السلام: إِذَا أَنَا مِتُّ، فَادْفِنِي لَيْلًا، وَلَا تُؤَذِّنَنَّ بِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهَا، اجْتَمَعَ إِلَيْهَا نِسَاءُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقُلْنَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ غَائِقَةً لِدُنْيَاكُمْ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَهُ»^(٢).

وظاهر هذين الطريقين اتحادهما مع طريقى الشيخ الصدوق المتقدم نقلهما في المصدر الأول. لانتهاه الأول إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن، والثاني إلى

(١) كَشَفُ الْعُمَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَيْمَةِ، الرِّزْبِيُّ ١ : ٤٩٢.

(٢) كَشَفُ الْعُمَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَيْمَةِ، الرِّزْبِيُّ ١ : ٤٩٤.

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وسأتي بيان طريق الجوهر في كتاب «السقيفة وفدك»، في المصدر الثاني من مصادر العامة، إن شاء الله تعالى.

بسم الله

المصدر السادس: «الدُرُّ النَّظِيمُ»

كتاب «الدَّرُّ النَّظِيمُ فِي مَنَاقِبِ الْأَئِمَّةِ اللَّهَامِيمِ»، للشيخ جمال الدين، يوسف بن حاتم الشامي، العاملي رحمته الله، تلميذ المحقق الحلي رحمته الله، صاحب كتاب «شرائع الإسلام». وهو معاصر للسيد علي بن طاووس رحمته الله، ولم يُضَبَّطْ تأريخُ ولادته ولا وفاته. إلا أنَّ الثابت أنَّه من أعلام القرن السابع الهجري.

وقد نقل الحُطْبَةُ الشريفة، ناسباً لها إلى القِيلِ، في [فصل في ذكر وفاتها عليها السلام]:
فقال: «قيل: لما مرضت فاطمة عليها السلام دخل عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنّها...»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ

(١) الدَّرُّ النَّظِيمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَئِمَّةِ اللَّهَامِيمِ، الشَّامِيُّ الْعَامِلِيُّ: ص ٤٨١.

مُلَخَّصُ مَصَادِرِ الْخُطْبَةِ الْخَاصَةِ

هذا ستة مصادر رئيسية من كتب الشيعة، قد نقلت الخُطْبَةُ الشريفة بأسانيد مختلفة، وقد نقلها عنهم جَمْعٌ من أعلام الطائفة، ممن تأخر عنهم.

المصدر الأول: معاني الأخبار، للشيخ الصدوق.

المصدر الثاني: الأمالي، للشيخ الطوسي.

المصدر الثالث: الاحتجاج، للشيخ الطبرسي.

المصدر الرابع: دلائل الإمامة، للشيخ الطبري الشيعي.

المصدر الخامس: كشف الغمة، للإربلي.

المصدر السادس: الدر النظيم، للشيخ الشامي العاملي.

خُلَاصَةُ أَسَانِيدِ الْخُطْبَةِ

وهذه المصادر التي نَقَلْتُ الخُطْبَةَ الشريفة للصدّيقة الشهيذة «روحي فداها»، تعدّدت طُرُقُ وأسَانِيدُ النقل في بعض هذه المصادر الخاصة، بنحو يُعْطِي قوَّةً لِحِجَّةِ صُدُورِ هذه الخُطْبَةِ الشريفة عن الصّدّيقة عَلِيَّةَ عليها السلام. وخلاصة هذه الطرق كالتالي:

الطريق الأول: ينتهي إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أمه فاطمة بن الحسين عليه السلام. وهذا الطريق للشيخ الصدوق في كتابه «معاني الأخبار». ويشترك في جزء منه مع الشيخ الصدوق، محمد بن جرير الطبري الشيعي في «دلائل الإمامة». وإليه أشار الإربلي في كتابه «كشف الغمة» في نقله عن الجوهري في كتاب

«السقيفة»، وسيأتي بيان طريق الجوهرى عند التعرض لمصادر العامة.

الطريق الثاني: ينتهي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهذا الطريق ذكره الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار». وكذلك أشار إليه الإربلي في «كشف الغمة».

الطريق الثالث: ينتهي إلى عبد الله بن عباس. وهو طريق الشيخ الطوسي في «الأمالي».

الطريق الرابع: ينتهي إلى سويد بن غفلة - صاحب أمير المؤمنين عليه السلام - وهذا الطريق ذكره الشيخ الطبرسي في «الاحتجاج».

الطريق الخامس: ينتهي إلى الإمام الصادق، عن أبيه الإمام الباقر، عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام. وهذا الطريق للشيخ محمد بن جرير الطبري الشيعي في «دلائل الإمامة».

فعليه تكون هذه الخطبة الشريفة، قد رُوِيَتْ بخمسة طرق، في مصادر الخاصة فقط، وهذا يعطيها قوة، من حيث جهة الصدور.

هذا تمام الكلام فيما أردنا ذكره من مصادر الخاصة، التي نقلت الخطبة بطرق وأسانيد مختلفة، وفي مصادر متعددة. وهناك غيرها الكثير من نقل الخطبة الشريفة عن أحد هذه المصادر.

مَصَادِرُ الْعَامَّةِ

المَصْدَرُ الْأَوَّلُ: «بَلَاغَاتُ النِّسَاءِ»

كتاب «بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ» لأبي الفضل، أحمد بن أبي طاهر، المعروف بـ«ابن طَيْفُور»، الخراساني، البغدادي، من كبار علماء أهل السنة في القرن الثالث، (المولود سنة ٢٠٤هـ. والمتوفى سنة ٢٨٠هـ)^(١).

وهو غير ابن طَيْفُورِ الْمُتَطَبِّبِ: عبد الرحمن بن محمد، الذي هو من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام. وغير محمد بن عبد الله بن طَيْفُورِ الدَّمَاعَانِي، شيخ الصدوق. وهذا الكتاب هو أقدم مصدر ذكر الخطبة الشريفة بين مصادر الخاصة والعامة.

(١) ترجم له خير الدين الزركلي، في كتابه الأعلام، فقال: «ابن طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ = ٨١٩ - ٨٩٣ م) أحمد بن طيفور «أبي طاهر» الخراساني، أبو الفضل: مؤرخ، من الكتاب البلغاء الزواة. أصله من مرو الروذ، ومولده ووفاته ببغداد. كان مؤدّب أطفال. له نحو خمسين كتاباً، منها «تاريخ بغداد» طبع منه المجلد السادس، و«المنثور والمنظوم» أربعة عشر جزءاً بقي منها جزآن. أحدهما الحادي عشر، طبعت قطعة منه باسم «بلاغات النساء» والآخر الثاني عشر، مخطوط. وله «كتاب المؤلفين» و«سرقات الشعراء» و«سرقات البحري من أبي تمام» و«فضل العرب على العجم» و«أخبار بشار بن برد» وله شعر قليل أورد ياقوت نبذاً لطيفة منه». [الأعلام، الزركلي ١: ١٤١].

ويظهر من صاحب الذريعة الميل إلى القول بتشيعه، وذلك عند ذكره لكتابه تاريخ بغداد، فقال: «(تاريخ بغداد) لأبي الفضل، أحمد بن أبي طاهر، طيفور... إلى أن قال: «وله «بلاغات النساء» المذكور في ج ٣ ص ١٤٢، الذي يظهر تشيّع مؤلّفه من طبعه الأول سنة ١٣٢٦، وقد حرّف في الطبع الثاني» [الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطهراني ٢٦: ١٢٦ برقم ٦١٧] وقد عدّ كتابه بلاغات النساء في ضمن تصانيف الشيعة، [الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطهراني ٣: ١٤٢ برقم ٤٨٩]. إلا أنّ نسبته إلى التشيع غير متفق عليها.

الْخُطْبَةُ فِي كِتَابِهِ

روى ابن طيفور الخطبة الشريفة في كتابه «بلاغات النساء» بسند ينتهي إلى عَطِيَّة العَوْفي.

قال: «وحدثني هارون بن مسلم بن سعدان^(١)، عن الحسن بن عُلوّان^(٢)، عن عَطِيَّة العَوْفي^(٣)، قال: «لما مَرَضَت فاطمة عليها السلام المَرَضَةُ التي تُوقِيَتْ بها، دخل النساء عليها، فقلن: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟..»^(٤) الخطبة.

بِسْمِ اللَّهِ

(١) وثقه النجاشي في ترجمته، فقال: «هارون بن مسلم بن سعدان، الكاتب، السرمن رأيي. كان نزله، وأصله [من] الأنبار. يكنى أبا القاسم، ثقة، رجلاً. وكان له مذهب في الجبر والتشبيه. لقي أبا محمد وأبا الحسن عليهما السلام. له كتاب التوحيد، وكتاب الفضائل، وكتاب الخطب، وكتاب المغازي، وكتاب الدعاء، وله مسائل لأبي الحسن الثالث عليه السلام، أخبرنا الحسين بن عبيد الله، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا سعد، عن هارون، بها». [رجال التجاشي، ص ٤٣٨، رقم الترجمة ١١٨٠].

(٢) هو الحسن بن عُلوّان الكلبي، وقد وثقه النجاشي في ترجمة أخيه الحسين، الذي هو من العامة، فقال: «الحسين بن علوان الكلبي، مولاهم، كوفي، عامي، وأخوه الحسن يكنى أبا محمد ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وليس للحسن كتاب، والحسن أَخَصُّ بنا وأولى، روى الحسين عن الأعمش وهشام بن عروة. وللحسين كتاب يختلف (يختلف) رواياته، أخبرنا إجازة: محمد بن علي القزويني - قدم علينا سنة أربعمائة - قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن هارون بن مسلم، عنه، به». [رجال التجاشي، ص ٢٥، رقم الترجمة ١١٦].

(٣) يظهر من بعض الروايات أنه ممن حضر خطبة الزهراء الفدكية، وهو صاحب جابر بن عبد الله الأنصاري في زيارة الأربعين.

(٤) بلاغات النساء، ابن طيفور، ص: ٣٣.

المصدر الثاني: «السقيفة وفدك»

كتاب «السَّقِيفَةِ وَفَدَك»، لأبي بكر، أحمد بن عبد العزيز الجوهري، البصري، البغدادي. (المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ظاهراً)، ولم يُضَبَّط تأريخ ولادته^(١).
وقد اعتمده ابن أبي الحديد في شرح النهج، فنقل عن كتابه «السقيفة وفدك» في موارد كثيرة، وسيأتي العرض لكلام ابن أبي الحديد في شرح النهج، عند ذكره كمصدر من مصادر العامة.

الجوهري ليس من الشيعة

وقد التَّبَسَّ أمرُ أحمد بن عبد العزيز الجوهري على بعض الأعلام، وعدّه في مصنفي الشيعة، والحال أنّه ليس كذلك، فهو معروف في رواية العامة، بل صرّح ابنُ أبي الحديد في شرح النهج، بأنَّ الجوهري ليس من الشيعة، وذلك عند تعرضه لأمر فدك، فقال ما نصه: «الفصل الأوّل: فيما ورَدَ في الحديث والسِّيَر من أمرِ فدك، الفصل الأوّل: فيما ورَدَ من الأخبار والسِّيَر المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم،

(١) ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست، فقال: «أحمد بن عبد العزيز الجوهري، له كتاب السقيفة». [فهرست الطوسي، ص ٣٦ ترجمة رقم ١٠٠]. ومن هذا وغيره التَّبَسَّ أمرُ الجوهري على بعضهم فعده من أعلام الشيعة، فراجع «طبقات أعلام الشيعة، الطُّهراني ١ : ٢٨»: «تَوَابُغُ الرُّوَاةِ فِي رَابِعَةِ الْمِثَاثِ»، آغا بزرك الطهراني. وكذلك ذكر كتاب «السَّقِيفَةِ وَفَدَك» في الذريعة، ونسبه إلى أحمد بن عبد العزيز الجوهري. [الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطُّهراني ١٢ : ٢٠٦].

لا مِنْ كُتُبِ الشَّيْعَةِ وَرَجَالِهِمْ، لَأَنَّا مُشْتَرِطُونَ عَلَى أَنْفُسِنَا أَلَّا نَحْفَلَ بِذَلِكَ، وَجَمِيعَ مَا نُورِدُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنْ كِتَابِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ فِي «السَّقِيفَةِ وَفَدِكَ»، وَمَا وَقَعَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالْإِضْطِرَابِ عَقَبَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ الْجَوْهَرِيُّ هَذَا: عَالِمٌ، مُحَدِّثٌ، كَثِيرُ الْأَدَبِ، ثِقَّةٌ، وَرِعٌ، أَثْنَى عَلَيْهِ الْمَحْدَثُونَ، وَرَوَوْا عَنْهُ مُصَنَّفَاتُهُ»^(١).

الْخُطْبَةُ فِي كِتَابِ الْجَوْهَرِيِّ

وَقَدْ رَوَى الْجَوْهَرِيُّ الْخُطْبَةَ الشَّرِيفَةَ، بِسَنَدٍ يَنْتَهِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقَالَ: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَادٍ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَدَّ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَجَعُ وَثَقُلَتْ فِي عِلَّتِهَا، اجْتَمَعَ عِنْدَهَا نِسَاءُ مِنْ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقُلْنَ لَهَا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ...»^(٢) الْخُطْبَةُ.

فَائِدَةٌ سَنَدِيَّةٌ

يَشْتَرِكُ السَّنَدُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ شَيْخِهِ «مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا»^(٣) إِلَى عَبْدِ اللَّهِ

(١) شَرْحُ تَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١٦ : ٢١٠.

(٢) السَّقِيفَةُ وَفَدِكَ، الْجَوْهَرِيُّ، ص: ١٢٠.

(٣) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ دِينَارٍ، الْغَلَابِيُّ، الْبَصْرِيُّ، رَوَى عَنْهُ مَشَايِخُ الْعَامَةِ وَأَكْثَرُوْا مِنْهُمْ

الطَّبْرَانِيُّ فِي مَعَايِمِهِ، مَا يَظْهَرُ مِنْهُ أَنَّهُ شَيْخُهُ.

بن الحسن بن الحسن، مع السند الأول الذي ذكره الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار»، وكذلك مع السند الثاني الذي ذكره محمد بن جرير الطبري الشيعي في «دلائل الإمامة»، حيث إنّ كلاً من الصدوق والطبري لهما طريقاً إلى محمد بن زكريا، الذي هو شيخ الجوهري، ويتفق الثلاثة: الجوهري والصدوق والطبري في الطريق من محمد بن زكريا إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن. وبما أنّ الشيخ الصدوق متأخر طبقة عن الجوهري، فهو يروي الحُطْبَةَ عن «محمد بن زكريا» بثلاث وسائط، وفي بعض الأسانيد يروي عنه بواسطتين. وأما الطبري فيروي الحُطْبَةَ عن «محمد بن زكريا» بأربع وسائط، وفي بعض الأسانيد يروي عنه بثلاث وسائط، لفرض تأخره عن الشيخ الصدوق أيضاً.



→ وترجم له النجاشي في الرجال، وعَدَّه من أصحابنا، فقال: «محمد بن زكريا بن دينار، مولى بني غلاب، أبو عبد الله. وبنو غلاب: قبيلة بالبصرة من بني نصر بن معاوية، وقيل: إنه ليس له بغير البصرة منهم أحد، وكان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة، وكان أخبارياً واسع العلم. وصنّف كتباً كثيرة...» إلى أن قال: «ومات محمد بن زكريا سنة ثمان وتسعين ومائتين» [رجال التجاشي، ص ٣٤٦ ترجمة رقم ٩٣٦].

المصدر الثالث: «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام»

كتاب «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام»، لابن عقدة، أبو العباس، أحمد بن محمد بن سعيد، المعروف بـ«ابن عقدة»، وهو زَيْدِيٌّ جَارُودِيٌّ المذهب، و(توفي سنة ٣٣٣هـ) وله خلطة برواة الشيعة، فقد روى عنهم وروا عنه.

فقد ترجم له قدماء الرجاليين من أصحابنا، كالنجاشي والشيخ الطوسي في فهرستيها:

قال النجاشي: «أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الله بن زياد بن عجلان، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني. هذا رجل جليل في أصحاب الحديث، مشهور بالحفظ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه، وكان كوفياً زيدياً جارودياً، على ذلك حتى مات، وذكره أصحابنا لاختلاطه بهم ومداخلته إياهم وعظم محله وثقته وأمانته...» إلى أن قال: «وقد لقيت جماعة ممن لقيه وسمع منه وإجازة منهم، من أصحابنا ومن العامة ومن الزيدية. ومات أبو العباس بالكوفة، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة»^(١).

وقال الشيخ: أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن عجلان، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، السبيعي، الهمداني، المعروف بـ«ابن عقدة» الحافظ. أخبرنا بنسبه أحمد بن عبدون، عن محمد بن أحمد بن

(١) رجال النجاشي، ص: ٩٤ ترجمة رقم ٢٣٣.

الجديد. وأمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر، وكان زيدياً جارودياً، وعلى ذلك مات، وإثما ذكرناه في جملة أصحابنا لكثرة رواياته عنهم وخطبته بهم، وتصنيفه لهم...» إلى أن قال: «أخبرنا بجميع رواياته وكتبه أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الأهوازي، وكان معه خط أبي العباس، بالاجازة وشرح رواياته وكتبه، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد. ومات أبو العباس، أحمد بن سعيد هذا بالكوفة، سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة»^(١).

وكذلك ترجم له علماء العامة، مع شيء من المدح والقدح فيه. وممن ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، فقال: «ابن عقدة، أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن زياد بن عبد الله بن عجلان، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وحفيد عجلان، هو عتيق عبد الرحمن بن الأمير عيسى بن موسى الهاشمي. أبو العباس، الكوفي، الحافظ، العلامة، أحد أعلام الحديث، ونادرة الزمان، وصاحب التصانيف على ضعف فيه، وهو المعروف بـ«الحافظ ابن عقدة...» إلى أن قال: «وولد أبو العباس في سنة تسع وأربعين ومئتين بالكوفة. وطلب الحديث سنة بضع وستين ومئتين. وكتب منه ما لا يحد ولا يوصف عن خلق كثير بالكوفة وبغداد ومكة... إلى أن قال: «وجمع التراجم والأبواب والمشيخة، وانتشر حديثه، وبعد صيته، وكتب عمن دب ودرج من الكبار والصغار والمجاهيل، وجمع الغث إلى السمين، والخرز إلى الدر الثمين...» إلى أن قال: «قلت: قد رمي ابن عقدة بالتشيع، ولكن روايته لهذا ونحوه، يدل على عدم غلوه في تشيعه، ومن بلغ في الحفظ والآثار مبلغ ابن عقدة، ثم يكون في قلبه

غل للسابقين الأولين، فهو معاند أو زنديق. والله أعلم...» إلى أن قال: «قال أبو الحسن محمد بن أحمد بن سفيان الحافظ: مات ابن عقدة لسبع خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة»^(١).

الْخُطْبَةُ فِي كِتَابِهِ

روى ابن عقدة الخطبة الشريفة في كتابه هذا، بإسناد متصل إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليه السلام. فقال: «حدثني محمد بن الفضل بن إبراهيم بن الفضل بن قيس الأشعري، قال: حدثنا علي بن حسان، عن عمّه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليه السلام: «لما رجعت فاطمة إلى منزلها فَتَشَكَّتْ، وكان وفاتها في هذه المَرْصَةِ، دخل إليها النساء المهاجرات والأنصاريات...»^(٢)، الخطبة.

فَائِدَةٌ سَنَدِيَّةٌ

يشارك ابن عقدة في هذا السند، مع السند الأول لمحمد بن جرير الطبري الشيعي في كتاب «دلائل الإمامة»، حيث إنّه رَوَى الْخُطْبَةَ عن ابن عقدة بواسطة واحدة، حيث قال: «حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو العباس

(١) سَيَرُ أَعْلَامِ الثُّبُلَاءِ، الدَّهَبِيُّ ١٥ : ٣٤٠ ترجمة رقم ١٧٨. وترجمه الخطيب البغدادي في تاريخه ٥ : ٢١٧.

(٢) فَضَائِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابْنُ عُقْدَةَ، ص ٦١.

أحمد ابن محمد بن سعيد الهمداني...» وهذا هو ابن عقدة، وما بعده يشتركان في السند إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ويظهر من ذلك أن صاحب كتاب «دلائل الإمامة» روى الخطبة من كتاب ابن عقدة بواسطة شيخه أبو المفضل.

بسم الله

المصدر الرابع: «شرح نهج البلاغة»

كتاب «شرح نهج البلاغة»، لابن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، المدائني، البغدادي، المعتزلي (المتوفى سنة ٦٥٥ هـ أو ٦٥٦ هـ). وترجم له جمع من العامة، متهمين له بالتشيع، منهم ابن كثير في البداية والنهاية، حيث قال: «ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة...» إلى أن قال: «ابن أبي الحديد، الشاعر العراقي، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين، أبو حامد، بن أبي الحديد، عز الدين، المدائني، الكاتب، الشاعر، المطبق، الشيعي الغالي، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً، ولد بالمداين، سنة ست وثمانين وخمسمائة، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتّاب والشعراء بالديوان الخليفتي، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشابهة في التشيع والأدب والفضيلة، وقد أورد له ابن الساعي أشياء كثيرة من مدائحه وأشعاره الفائقة الرائقة، وكان أكثر فضيلةً وأدباً من أخيه أبي المعالي موفق الدين بن هبة الله، وإن كان الآخر فاضلاً بارعاً أيضاً، وقد ماتا في هذه السنة، رحمهما الله تعالى»^(١).

مذهب ابن أبي الحديد

ابن أبي الحديد من علماء أهل السنة، في الفروع، ومن المعتزلة في الأصول، في

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ١٣ : ٢٣٣. وترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام ٤٨ : ٢٠٢.

مقابل الأشاعرة. وقد نَسَبَهُ جَمْعٌ من العامة إلى التشيع، كما تقدم عن ابن كثير، وسببُ نِسْبَتِهِ إلى التشيع، لأنهم استكثروا منه شرحه لكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وذكره لفضائله، وتفضيله له على غيره، وكذلك ذَكَرَهُ لما ثَبَتَ من ظَلَامَاتِ أهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص ما يخصُّ سيدة نساء العالمين عليها السلام. وإلا فلا شك في كون ابن أبي الحديد ليس على مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولا يرتبط بالتشيع، إلا بمقدار يسير جداً من الإنصاف الذي برَّرَ في بعض كتاباته. وفي مقابل ذلك كله ظَهَرَ من كتاباته الشيء الكثير الذي يُثَبِّتُ عدم تشييعه، بل إنَّ انتمائه إلى مذهب أهل السنة، «أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ وَأَبْيَنُ مِنَ الْأَمْسِ»، كما يظهر ذلك جلياً في مواضع كثيرة من كتابه، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك عند التعرض لكلامه في نقل الخطبة.

ابن أبي الحديد وتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام

إنَّ ابن أبي الحديد ممن يقول بأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على غيره، وهذا الأمر قد صرَّح به في مُقدمة كتابه «شرح نهج البلاغة». وسأَتعرَّضُ لما ذكره بشأن التفضيل بما يقتضيه المقام بعد هذا التنبيه.

تنبيه وتنبؤ

إنَّ ابن أبي الحديد وجماعةً من المعتزلة وغيرهم، وإنَّ قالوا بتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أنهم لا يقولون بِبُطْلانِ خلافة من تقدَّم عليه من الخلفاء الثلاثة، ففي نفس الوقت الذي يقولون فيه بأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام يقولون بأحقِّية من تقدَّمه بالخلافة ورئاسة الأمة بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله!!

وهذا نصُّ كلامه في مقدمة كتابه: «..اتفق شيوخنا كافةً رحمهم الله المتقدمون

منهم والمتأخرون والبصريون والبغداديون: على أَنَّ بيعةَ أبي بكر الصديق بيعةٌ صحيحةٌ شرعيةٌ، وأنها لم تكن عن نَصٍّ، وإِنَّمَا كانت بالاِختِيَارِ، الذي ثُبَّتْ - بالإجماع وبغير الإجماع - كونهُ طريقاً إلى الإمامة...».

كَلَامُهُ فِي التَّفْضِيلِ

بعد أن ذكر اتفاقهم على صحة وشرعية بيعة من تقدم على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة والخلافة، ذكر الأقوال والخلاف في التفضيل، فذكر قول البصريين بتفضيل أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السلام. ثم ذكر قول البغداديين بتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، وعَقَّبَهُ بذكر من وافقهم من البصريين. ثم ذكر القائلين بالتوقف. ثم ذكر رأيه بتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا نص كلامه في ديباجة كتابه: «واختلفوا في التفضيل:

الْقَوْلُ بِتَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ

فقال قدماء البصريين - كأبي عثمان عمرو بن عبَّيد، وأبي إسحاق إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام، وأبي عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ، وأبي معن ثمامة بن أشرس، وأبي محمد هشام بن عمرو الفوطي، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام، وجماعة غيرهم -: إِنَّ أبا بكر أفضل من علي عليه السلام، وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

الْقَوْلُ بِتَفْضِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

وقال البغداديون قاطبة - قدمائهم ومتأخروهم، كأبي سهل بشر بن المعتمر، وأبي موسى عيسى بن صبيح، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر، وأبي جعفر الإسكافي،

وأبي الحسين الحياط، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي، وتلامذته :- إِنَّ علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر.

وإلى هذا المذهب ذهب - من البصريين - أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً، وكان من قَبْل من المتوقفين، كان يَمِيلُ إلى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صَنَّفَ ذهبَ إلى الوقف في مصنفاته، وقال في كثير من تصانيفه: إِنَّ صَحَّ خَبَرُ الطائر، فعليُّ أفضل.

ثم إِنَّ قاضي القضاة - رحمه الله - ذكر في «شرح المقالات» لأبي القاسم البلخي: أَنَّ أبا علي - رحمه الله - ما مَاتَ حَتَّى قال بتفضيل علي عليه السلام، وقال: إِنَّه نقل ذلك عنه سماعاً، ولم يوجد في شيء من مصنفاته. وقال أيضاً: إِنَّ أبا علي - رحمه الله - يوم مَاتَ اسْتَدْنَى ابْنَهُ أبا هاشم إليه، وكان قد صَعَفَ عن رفع الصوت، فألقى إليه أشياء من جملتها القول بتفضيل علي عليه السلام.

ومن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام، الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علي البصري - رضي الله عنه - كان مُتَحَقِّقاً بتفضيله ومُبَالِغاً في ذلك، وصَنَّفَ فيه كتاباً مُفرداً.

ومن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين، قاضي القضاة، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد - رحمه الله - ذكر ابن متويه عَنْهُ في كتاب «الكفاية في علم الكلام»: أَنَّهُ كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وأبي بكر، ثم قَطَعَ على تفضيل علي عليه السلام بكامل المنزلة.

ومن البصريين الداهيين إلى تفضيله عليه السلام، أبو محمد الحسن بن متويه - صاحب التذكرة - نص في كتاب الكفاية على تفضيله عليه السلام على أبي بكر، احتج لذلك وأطال في الاحتجاج.

فهذان المذهبان كما عَرَفْت.

الْقَوْلُ بِالتَّوَقُّفِ

وَدَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّيُوخِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - إِلَى التَّوَقُّفِ فِيهِمَا، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَذِيفَةَ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، وَأَبِي الْهَذِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَذِيلِ الْعَلَّافِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَهُمَا وَإِنْ ذَهَبَا إِلَى التَّوَقُّفِ بَيْنَهُمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَاطِعَانِ عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى عِثْمَانَ. وَمِنَ الذَّاهِبِينَ إِلَى الْوَقْفِ، الشَّيْخُ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - وَالشَّيْخُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الطَّيِّبِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

رَأْيُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ

وَأَمَّا نَحْنُ فَتَذَهَبُ إِلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ شُيُوخُنَا الْبَغْدَادِيُّونَ، مِنْ تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا الْكَلَامِيَةِ مَا مَعْنَى الْأَفْضَلِ، وَهَلِ الْمُرَادُ بِهِ الْأَكْثَرُ ثَوَابًا، أَوِ الْأَجْمَعُ لِمَزَايَا الْفَضْلِ وَالْحِلَالِ الْحَمِيدَةِ، وَبَيَّنَّا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ عَلَى التَّفْسِيرَيْنِ مَعًا...». ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْوَالَ فِي الْخَارِجِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْبَغَاةِ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْبَغَاةِ عَلَيْهِ وَالْخَوَارِجِ، فَهُوَ عَلَى مَا أَذْكَرُهُ لَكَ. أَمَّا أَصْحَابُ الْجَمَلِ: فَهُمْ عِنْدَ أَصْحَابِنَا هَالِكُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَإِنَّهُمْ تَابَوْا، وَلَوْ لَا التَّوْبَةُ لَحُكِمَ لَهُمُ بِالنَّارِ؛ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْبَغْيِ. وَأَمَّا عَسْكَرُ الشَّامِ بِصَفِّينَ: فَإِنَّهُمْ هَالِكُونَ كُلُّهُمْ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، لَا يُحْكَمُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا بِالنَّارِ؛ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْبَغْيِ، وَمَوْتِهِمْ عَلَيْهِ، رُؤُسَاؤُهُمْ وَالْأَتْبَاعُ جَمِيعًا. وَأَمَّا الْخَوَارِجُ: فَإِنَّهُمْ مَرْقُؤَا عَنِ الدِّينِ، بِالْخَبَرِ النَّبَوِيِّ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ، وَلَا يَخْتَلِفُ أَصْحَابُنَا فِي أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ أَصْحَابَنَا يَحْكُمُونَ بِالنَّارِ لِكُلِّ فَاسِقٍ مَاتَ عَلَى فِسْقِهِ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْبَاغِيَ عَلَى الْإِمَامِ الْحَقِّ، وَالْخَارِجَ عَلَيْهِ بِشَبْهَةٍ أَوْ بَغَيْرِ شَبْهَةٍ فَاسِقٌ، وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يَخْصُونَ بِهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَوْ خَرَجَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ الْعَدُولِ، لَكَانَ حُكْمُهُمْ حُكْمٌ مِنْ خَرَجَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ بَرَّئَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْ قَوْمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَحْبَطُوا ثَوَابَهُمْ، كَالْمُغِيرَةِ بِنِ شَعْبَةَ.

وَكَانَ شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِي، إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ، يَقُولُ: لَا خَيْرَ فِيهِ. وَقَالَ مَرَّةً: لَا يَعْجِبُنِي صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ، وَلَيْسَا بِنَافِعَيْنِ لَهُ، مَعَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ».

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمَّا سُئِلَ عَنْهُ: مَا صَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ تَابَ مِنْ يَوْمِ الْحَمَلِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَهَذِهِ هِيَ الْمَذَاهِبُ وَالْأَقْوَالُ، أَمَّا الْاسْتِدْلَالُ عَلَيْهَا، فَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ لِهَذَا الْفَنِّ^(١) أَنْتَهَى.

وَالنَّتِيجَةُ النَّهَائِيَّةُ: إِنَّهُمْ وَإِنْ قَالُوا بِتَفْضِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ فِي مَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ بِصَحَّةِ وَشَرْعِيَّةِ إِمَامَةِ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تَقْدِيمُ الْمَفْضُولِ عَلَى الْفَاضِلِ!

فَإِنَّ هَذَا الرَّأْيَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ، مُخَالِفٌ لِمَسْأَلَةِ عَقْلِيَّةِ مُهِمَّةٍ، وَهِيَ أَنَّهُ (لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْمَفْضُولِ عَلَى الْفَاضِلِ أَوْ الْأَفْضَلِ)، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ.

(١) شَرَحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١: ٦-١٠.

ومن النقل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢).

وتفصيل الكلام موكول إلى محله، لارتباطه ببحوثٍ مُعمَّقة، ليس هنا محل طرحها.

زَادَ فِي الطَّيْنِ بَلَّةٌ

فإنَّ حُكْمَ هذه المسألة ليس بغائب عن ابن أبي الحديد والقائلين بقوله، من تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أنهم فراراً من هذا الإشكال، ذهبوا إلى ما هو أسوأ وأشنع. حيث قالوا: بجواز تقديم المفضول على الأفضل من قِبَلِ الله «جَلَّ شأنه عَمَّا يَقُولُونَ»!!! فإنهم مع اعترافهم بـ«قُبْحِ تَقْدِيمِ الْمَفْضُولِ عَلَى الْأَفْضَلِ»، نَسَبُوا ذلك إلى الله جَلَّ وَعَلَا!! وهذا من الأعاجيب، و«مَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَباً».

وهذا نص عبارة ابن أبي الحديد في مقدمة كتابه، حيث حَمِدَ الله على تقديم المفضول على الأفضل، فقال: «الحمد لله.. الذي.... قَدَّمَ الْمَفْضُولَ عَلَى الْأَفْضَلِ، لمصلحة اقتضاها التكليف، واختصَّ الأفضل من جلائل المآثر، ونفائس المفاخر، بما يعظم عن التشبيه ويجل عن التكييف..».

فهو بهذا مُتغافلاً عن كلام الحق جَلَّ وَعَلَا، في الآيات القرآنية، ومنها الآيتان المتقدمتان، وَجَوَّزَ على الله - سبحانه وتعالى عن ذلك غُلُوًّا كبيراً - أَنْ يُخَالِفَ

(١) الزمر: ٩.

(٢) يونس: ٣٥.

مقتضى كلامه سبحانه!!، وهو سبحانه القائل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١)،
والقائل تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢)، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ
عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(٣).

الخطبة في كتابه

وقد رَوَى ابنُ أبي الحديد الخطبةَ الشريفةَ في كتابه «شرح نهج البلاغة» عن
كتاب «السقيفة وفدك»، لأبي بكر، أحمد بن عبد العزيز، الجوهري، المتقدم ذكره،
في المصدر الثاني من مصادر العامة، بنفس السند السابق، المنتهي إلى عبد الله بن
الحسن بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

فقال ما نصه: «قال أبو بكر، وحدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن عبد
الرحمن المهلب، عن عبد الله بن حماد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن حسن
بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قالت: لما اشتدَّ بفاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وآله الوجع، وقُلْتُ في عِلَّتِهَا اجْتَمَعَ عِنْدَهَا نِسَاءُ مِنْ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ: فَقُلْنَ لَهَا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ...»^(٤) الخطبة.

كلامه بعد نقل الخطبة

وذكر ابن أبي الحديد - بعد نقله تمام الخطبة - كلاماً يدافع فيه عن ظلمها:

(١) الرعد: ١٩. الزمر: ٩.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) الإسراء: ٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٣.

وتهجّم في كلامه على علماء الشيعة الذين رَوَوْا بعضَ مَظَالِمِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ! ما يظهر منه عدم تشييعه، بل توجد شواهد كثيرة في كتبه تدل دلالة قطعية على أنّه ليس من الشيعة، وإنما أُلصِقَ ذلك به من قِبَلِ بعض متعصبي علماء العامة، لما أُبْرَزَهُ من الإنصاف اليسير جداً، تِجَاهَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والصديقة الكبرى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا نص كلامه: «قُلْتُ هذا الكلام، وإن لم يَكُنْ فيه ذِكْرُ فِدك والميراث، إلّا أنّه من تَيَمَّةِ ذلك، وفيه إيضاح لما كان عندها، وبيان لشدّة غيظها وغضبها؛ فإنّه سيأتي فيما بعد ذِكْرُ ما يناقض به قاضي القضاة والمرضى، في أنّها هل كانت غَضَبِي أم لا؟ ونحن لا نَنْصُرُ مذهباً بَعْينِهِ، وإنّما نذكر ما قيل، وإذا جَرَى بِحُكِّ نظري قُلْنَا ما يقوى في أنفسنا منه.

واعْلَمْ أَنّا إِنّمَا نَذْكُرُ في هذا الفصل ما رَوَاهُ رِجَالُ الْحَدِيثِ وثِقَاتُهُمْ، وما أودَعَهُ أَحْمَدُ بن عبد العزيز الجوهري في كتابه، وهو من الثَّقَاتِ الْأَمَنَاءِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.

وأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم في كتبهم، من قولهم: إنّهما أهاناها وأسمعاها كلاماً غليظاً، وإنّ أبا بكر رَقَّ لها، حيث لم يَكُنْ عُمَرُ حاضراً، فَكَتَبَ لها بِقَدِّكَ كتاباً، فلَمّا خَرَجْتُ به وَجَدَهَا عُمَرُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ مُعَالَبَةً، فَمَنَعَتْهُ، فَدَفَعَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهَا وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ فَخَرَقَهَا بَعْدَ أَنْ تَقَلَّ فِيهَا فَمَحَاهَا. وَإِنّهَا دَعَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: بَقَرَ اللَّهُ بَطْنَكَ كَمَا بَقَرْتَ صَحِيفَتِي.

فَتَمَيَّئْ! لا يَزِيهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، ولا يَنْقُلُونَهُ، وَقَدَّرَ الصَّحَابَةُ بِجَلِّ عَنْهُ، وَكَانَ عُمَرُ أَتَقَى لِلّهِ وَأَعْرِفُ لِحَقْوِقِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ...».

إلى أن قال: «فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْبَلِيَّةِ الَّتِي صَبَّتْ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْلَامِ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي عُلُوِّ شَأْنِهِمْ وَجَلَالَةِ مَكَانِهِمْ، كَمَا أَنَّ مُبْغِضِي الْأَنْبِيَاءِ وَحَسَدَتَهُمْ، وَمُصَنِّفِي الْكُتُبِ فِي الْحَاقِ الْعِيبِ وَالتَّهْجِينَ لِشَرَائِعِهِمْ

لم تَزِدْ لَأَنْبِيائِهِمْ إِلَّا رِفْعَةً، وَلَا زَادَتْ شَرَائِعَهُمْ إِلَّا انْتِشَاراً فِي الْأَرْضِ، وَقَبُولاً فِي
النَّفْسِ، وَبَهْجَةً وَنوراً عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ.

وَقَالَ لِي عَلَوِي فِي الْحَلَةِ - يَعْرِفُ بَعْلِي بِنَ مَهْنِ ذِي ذَوِ فُضَائِلٍ -: مَا تَظُنُّ قَصْدَ
أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ بَمَنْعِ فَاطِمَةَ فَدَكَ؟

قُلْتُ: مَا قَصْدُ؟

قَالَ: أَرَادَا أَلَّا يُظْهِرَا لِعَلِيٍّ - وَقَدْ اغْتَصَبَاهُ الْخِلَافَةَ - رِقَّةً وَلِيناً، وَخَذَلَنَا، وَلَا يَرَى
عِنْدَهُمَا حَوَراً، فَأَتْبَعَا الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ.

وَقُلْتُ لِمَتَكَلَّمْ مِنْ مُتَكَلِّمِي الْإِمَامِيَّةِ - يَعْرِفُ بَعْلِي بِنَ تَقِيٍّ مِنْ بَلَدَةِ النِّيلِ -: وَهَلْ
كَانَتْ فَدَكَ إِلَّا تَخْلاً يَسِيراً، وَعَقَراً لَيْسَ بِذَلِكَ الْخَطِيرُ؟!

فَقَالَ لِي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ كَانَتْ جَلِيلَةً جِداً، وَكَانَ فِيهَا مِنَ النَّخْلِ نَحْوُ مَا
بِالْكُوفَةِ الْآنَ مِنَ النَّخْلِ، وَمَا قَصَدَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ بَمَنْعِ فَاطِمَةَ عَنْهَا إِلَّا أَلَّا يَتَقَوَّى
عَلِيٌّ بِحَاصِلِهَا وَغَلَّتِهَا عَلَى الْمُنَازَعَةِ فِي الْخِلَافَةِ، وَلِهَذَا أَتْبَعَا ذَلِكَ بِمَنْعِ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ
وَسَائِرِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ حَقَّهُمْ فِي الْخَمْسِ، فَإِنَّ الْفَقِيرَ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ تَضَعُفُ
هَمَّتُهُ، وَيَتَصَاغَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَيَكُونُ مَشْغُولاً بِالْاحْتِرَافِ وَالْاِكْتِسَابِ عَنْ طَلَبِ
الْمَلِكِ وَالرَّئِيسَةِ.

فَانْظُرْ إِلَى مَا قَدْ وَقَرَ فِي صُدُورِ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَزُولُ
الْأَخْلَاقُ وَالشَّيْمُ، فَأَمَّا الْعَقَائِدُ الرَّاسِخَةُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى زَوَالِهَا. ^(١) انْتَهَى.

بِسْمِ اللَّهِ

(١) شَرَحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١٦ : ٢٣٤-٢٣٧.

خُلاصَةُ طُرُقِ الْعَامَةِ

هذا تمام الكلام فيما أردنا ذكره من مصادر العامة، ممن روى الخُطْبَةَ الشريفة، واقتصرت على ذكر أربعة من أهم مصادر العامة.
وكانت كالتالي:

- ١- «بلاغات النساء»، لابن طيفور، ت: ٢٨٠هـ، بإسناده إلى عطية العوفي.
 - ٢- «السقيفة وفدك»، للجوهري، ت: ٣٢٣هـ، بإسناده إلى عبد الله بن الحسن.
 - ٣- «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام»، لابن عقدة، ت: ٣٣٣هـ، بإسناده إلى علي بن الحسين عليه السلام.
 - ٤- «شرح نهج البلاغة»، لابن أبي الحديد، ت: ٦٥٦هـ، بإسناد الجوهري المتقدم في كتاب «السقيفة وفدك»، إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن.
- وكانت طرقهم إلى الخُطْبَةَ الشريفة ثلاثة:
- ١- الطريق إلى عطية العوفي، وهو خاص بإسناد ابن طيفور في كتابه «بلاغات النساء».
 - ٢- الطريق إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام، وهذا الطريق اشترك فيه الجوهري في كتابه «السقيفة وفدك»، وابن أبي الحديد في كتابه «شرح نهج البلاغة»، عن الجوهري.
 - ٣- الطريق إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وهو خاص بإسناد ابن عقدة في كتابه «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام».

اشترَاكُ الطَّرُق

يتَّضح من متابعة طرق الخاصة - المتقدِّمة - وطرق العامة - آنفة الذكر - وجود اشتراك في الطرق فيما بينها.

وحى يتَّضح الاشتراك لا بُدَّ من سرد الطرق كاملة.

الأوَّل: الطريق إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

وقد اشترك في هذا الطريق من الخاصة كل من:

- ١- الشيخ الصدوق في كتاب «معاني الأخبار»، في سنده الأول.
- ٢- الشيخ الطبري الشيعي في كتاب «دلائل الإمامة»، في سنده الثاني.
- ٣- الشيخ الإريلي في كتاب كشف الغمة، في سنده الأول، نقلاً عن الجوهرى في كتاب السقيفة وفدك.

ومن العامة كل من:

- ١- أحمد بن عبد العزيز الجوهرى، في كتاب «السقيفة وفدك».
- ٢- ابن أبي الحديد، في كتاب «شرح نهج البلاغة»، نقلاً عن الجوهرى في كتاب «السقيفة وفدك».

ويعتبر هذا الطريق الأكثر انتشاراً بين مصادر الخاصة والعامة.

الثَّاني: الطريق إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد اشترك في هذا الطريق من الخاصة كل من:

- الشيخ الصدوق في كتاب «معاني الأخبار»، في سنده الثاني.
- الشيخ الإريلي في كتاب «كشف الغمة»، بعنوان «رُوي».

ولم يسند إليه أحد من مصادر العامة.

الثالث: الطريق إلى ابن عباس، وهذا الطريق اختص به الشيخ الطوسي في كتاب «الأمالي».

الرابع: الطريق إلى سويد بن غفلة، وهذا الطريق اختص به الشيخ الطبرسي في كتاب «الاحتجاج».

الخامس: الطريق إلى علي بن الحسين عليه السلام، وهذا الطريق اشترك فيه كل من الطبري في «دلائل الإمامة»، في سنده الأول، وابن عقدة في كتاب «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام».

السادس: الطريق إلى عطية العوفي، وهذا الطريق اختص به ابن طيفور، في كتاب «بلاغات النساء».

الْخُلَاصَةُ

وخلاصة هذه الطرق أنها ستة طرق، بعضها مشترك، وبعضها مختص، ومن خلالها تظهر قُوَّةُ الصدور لهذه الخطبة الشريفة، عن مولانا الصديقة الكبرى. فإنَّ تكثرُ الطرق والأسانيد والمصادر التي تنقل الحادثة، يوجبُ حصول الاطمئنان بتحققها في الواقع. وأقل ما يثبت بهذا العدد من النقل، باختلاف الأسانيد والطرق هو حصول الاستفاضة الاصطلاحية، وعليه يحصل الجزم بصدور الخطبة من الزهراء.

تَنْبِيْهٌ

قد ذكرنا ستة من مصادر الخاصة، وأربعة من مصادر العامة، وليس معنى ذلك

انحصار المصادر فيما ذكرنا، بل هناك مصادر أخرى أعرضنا عن ذكرها رعاية للاختصار، وخشية من تطرق اللمال لأعزائنا القراء. فإن في ذلك كفاية لمن كان طالباً للهداية ومجانباً طريق الغواية.

مُسْكُ الْخِتَامِ

وإلى هنا اختتم هذا البحث الذي شرعت فيه في أيام شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في أواسط جمادى الأولى من سنة ١٤٣٥هـ، وختاماً بميلادها المبارك، في أواخر جمادى الثانية من سنة ١٤٣٧هـ، ذلك الميلاد الميمون الذي شَعَّ على هذا العالم بنوره فملأ الدنيا ضياءً ونوراً، ذلك النور الذي جهد الظالمون إطفائه، ولكن ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

فصلوات الله وسلامه عليها يوم ميلادها ويوم شهادتها ويوم تبعث شفيعاً لنا، فتلتقطنا «كما يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ الْحَبْدَ مِنَ الْحَبِّ الرَّدِيِّ»^(٢).

بِحَمْدِ اللَّهِ

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) تَفْسِيرُ فُرَاتِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيِّ، ص: ٢٩٩، شَرَحُ الْأَخْبَارِ، الْقَاضِي الثُّعْمَانُ ٣: ٦٣، وعن تفسير فرات في بحار الأنوار، الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ ٨: ٥٢، ج ٥٩، و ٤٣: ٦٥ ح ٥٧.

مَصَادِرُ الْكِتَابِ

- ١- (الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ)، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.
- ٢- (نَهْجُ الْبَلَاغَةِ) (مجموعة من خطب وكتب وكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) جمعها الشريف الرضي، السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي الحسيني العلوي [ت: ٤٠٦هـ]، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار الذخائر، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٣- (الْاِخْتِجَاجُ عَلَى أَهْلِ اللَّجَاجِ) الطبرسي، أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي [ت: ٥٨٨هـ]، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦-١٩٦٦م..
- ٤- (الْاِسْتِبْصَارُ فِيْمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ) الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي [ت: ٤٦٠هـ]، تحقيق، السيد حسن الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠هـ.
- ٥- (الأعلام) خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.
- ٦- (الْأَمَالِي) الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه [ت: ٣٨١هـ]، الناشر: مؤسسة البعثة، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٧- (الْأَمَالِي) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي [ت: ٤٦٠هـ]، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة

والنشر والتوزيع، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٨- (إِقْبَالُ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ فِيمَا يُعْمَلُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ) ابن طاووس، السيد رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني [ت: ٦٦٤هـ]، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٩- (أَمَلُ الْأَمَلِ فِي تَرْجُمَةِ عُلَمَاءِ جَبَلِ عَامِلٍ) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، [ت: ١١٠٤هـ]، الناشر: مكتبة الأندلس، النجف الأشرف ١٣٨٥هـ.

١٠- (بَحَارُ الْأَنْوَارِ) (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) العلامة المجلسي، محمد باقر ابن المولى محمد تقي المجلسي الأصفهاني، [ت: ١١١١هـ]، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣هـ.

١١- (الْبَيَاضُ وَالنَّهْيَةُ) ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو الدمشقي [ت: ٧٧٤هـ]، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٢- (بِشَارَةُ الْمُصْطَفَى لِشَيْعَةِ الْمُرْتَضَى) الطبري، عماد الدين، أبو جعفر، محمد بن أبي القاسم الأملي [ت: ٥٥٣هـ]، الناشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

١٣- (بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ) الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار [ت: ٢٩٠هـ]، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، الناشر: منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

١٤- (بَلَاغَاتُ النِّسَاءِ) ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر [ت: ٢٨٠هـ]، الناشر: مكتبة الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى.

١٥- (تَأْجُجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ) الزبيدي، محب الدين، أبو فيض، السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي [ت: ١٢٠٥هـ]، تحقيق: علي شيري،

الناشر: دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ

١٦- (تَارِيخُ الْإِسْلَام) الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان

[ت: ٧٤٨هـ]، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي،

بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

١٧- (تَارِيخُ بَغْدَاد) الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي البغدادي،

[ت: ٤٦٣هـ]، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية،

بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

١٨- (تَذْكِرَةُ الْحَفَاطِ) الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان

[ت: ٧٤٨هـ]، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩- (تَفْسِيرُ فُرَاتِ الْكُوفِيِّ) فرات بن إبراهيم الكوفي [ت: ٣٥٢هـ]، تحقيق: محمد

كاظم، الناشر: مؤسسة النشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية، طهران،

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

٢٠- (تَهْذِيبُ الْأَحْكَامِ) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي

[ت: ٤٦٠هـ]، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب

الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٤هـ ش.

٢١- (تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، أحمد بن

علي بن محمد بن حجر العسقلاني [ت: ٥٢٨هـ]، الناشر: دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

٢٢- (تَهْذِيبُ اللَّغَةِ) الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي

[ت: ٣٧٠هـ]، تحقيق وتقديم: عبد السلام هارون، الناشر: دار إحياء التراث

العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٣- (خُلَاصَةُ الْأَقْوَالِ) العلامة الحلي، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر،

الأسدي، الحلي [ت: ٧٢٦هـ]، تحقيق، الشيخ جواد القيومي الأصفهاني، الناشر:

مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ

٢٤- (الدَّرُ النَّظِيم في مَعْرِفَةِ الْأَيِّمَةِ اللَّهَامِيم) العاملي، جمال الدين، يوسف بن حاتم الشامي [القرن السابع]، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

٢٥- (دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ) الطبري، محمد بن جرير بن رستم الطبري الأملي [ت: القرن الخامس هـ]، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، الناشر: مؤسسة البعثة، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

٢٦- (الدَّرِيعَةُ إِلَى تَصَانِيفِ الشَّيْعَةِ) آقا بزرك الطهراني، محمد محسن، تحقيق: السيد رضا العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ

٢٧- (رِجَالُ الطُّوسِي) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي [ت: ٤٦٠هـ]، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٢٨- (رِجَالُ النَّجَاشِيِّ) النجاشي، أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي [ت: ٤٥٠هـ]، تحقيق، السيد موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ

٢٩- (رِيَاضُ الْعُلَمَاءِ وَحِيَاضُ الْفُضَلَاءِ) الميرزا عبد الله أفندي، الأصبهاني [ت: ١١٣٠هـ]، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

٣٠- (سَيْرُ أَعْلَامِ الثُّبَلَاءِ) الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان [ت: ٧٤٨هـ]، تحقيق وإشراف وتخريج، شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ

٣١- (شَرْحُ الْأَخْبَارِ فِي فَصَائِلِ الْأَيَّامِ الْأَطْهَارِ) أبو حنيفة القاضي النعمان بن محمد المغربي [ت: ٣٦٣هـ]، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، الناشر: مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

٣٢- (شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) ابن أبي الحديد، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله بن

محمد بن الحسين، [ت: ٦٥٦هـ]، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار

إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ

٣٣- (صَحَاحُ اللَّغَةِ) (تاج اللغة وصحاح العربية) الجوهري، إسماعيل بن حماد

الجوهري [ت: ٣٩٣هـ]، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم

للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٧هـ

٣٤- (طَبَقَاتُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ) آقا بزرك الطهراني، الناشر: دار إحياء التراث العربي،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ

٣٥- (الْظَّرَازُ الْأَوَّلُ وَالْكِتَابُ لِمَا عَلَيْهِ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ الْمُعَوَّلِ) ابن معصوم المدني،

السيد علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني [ت: ١١٢٠هـ]، تحقيق ونشر: مؤسسة

آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ

٣٦- (عِلَلُ الشَّرَائِعِ) الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

[ت: ٣٨١هـ]، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة

الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ

٣٧- (عُمْدَةُ الطَّالِبِ فِي أَنْسَابِ آلِ أَبِي طَالِبٍ) ابن عنبه، جمال الدين أبو العباس أحمد

بن علي الحسين الداودي الحسني [ت: ٨٢٨هـ]، تحقيق وتصحيح: محمد حسن آل

الطالقاني، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية

١٣٨٠هـ

٣٨- (عَوَالِي اللَّتَالِي الْعَزِيزِيَّةِ فِي الْأَحَادِيثِ الدِّيْنِيَّةِ) ابن أبي جمهور، محمد بن

علي بن إبراهيم بن أبي جمهور، الأحسائي [ت: ٨٨٠هـ تقريباً]، تحقيق: مجتبي

العراقي، الناشر: دار سيد الشهداء، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
 ٣٩- (فَتْحُ الْبَارِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) ابن حجر، أبو الفضل، شهاب الدين،
 أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني [ت: ٨٥٢هـ]، تحقيق محب الدين
 الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ

٤٠- (الْفُرُوقُ الْقَوِيَّةُ) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري
 [ت: ٣٩٠هـ]، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم
 المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

٤١- (فَضَائِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ابن عقدة، أحمد بن محمد بن سعيد، الكوفي
 [ت: ٣٣٣هـ] تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين، الناشر: دليل ماء، قم المقدسة.
 الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

٤٢- (الْفَهْرِسْتُ) فهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنفين وأصحاب
 الأصول) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي [ت: ٤٦٠هـ]، تحقيق،
 السيد عبد العزيز الطباطبائي، الناشر: مؤسسة آل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ لإحياء التراث،
 الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٤٣- (الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ) الفيروزآبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، [ت: ٨١٧هـ]،
 الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

٤٤- (الْكَلْفِيُّ) (الأصول، والفروع، والروضة) الشيخ الكليني، أبو جعفر محمد بن
 يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي [ت: ٣٢٩هـ]، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي
 أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة
 ١٣٦٣ش.

٤٥- (كِتَابُ الْعَيْنِ) الخليل الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
 [ت: ١٧٥هـ]، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر:

مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ

٤٦- (كَشَفُ الْغَمَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَيِّمَةِ) الإربلي، أبو الحسن، علي بن عيسى بن أبي

الفتح الإربلي [ت: ٦٩٣هـ]، الناشر: دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ

٤٧- (الْكَلِّيَّاتُ) (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) أبو البقاء، أيوب بن

موسى الحسيني الكفوي، [ت: ١٠٩٤هـ]، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت،

الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

٤٨- (لِسَانُ الْعَرَبِ) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري

[ت: ٧١١هـ]، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

٤٩- (مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ النِّيرَيْنِ) الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي

[ت: ١٠٨٥هـ]، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الناشر: مكتب النشر والثقافة

الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ

٥٠- (الْمَحَاسِنُ) البرقي، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن خالد البرقي [ت: ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ]،

تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، الناشر: دار الكتب

الإسلامية، طهران.

٥١- (الْمُزْهَرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر

الحضيري، [ت: ٩١١هـ]، الناشر: المكتبة العصرية.

٥٢- (مُسْتَدْرَكُ الْوَسَائِلِ وَمُسْتَنْبَطُ الْمَسَائِلِ) المحدث النوري، حسين بن محمد تقي

[ت: ١٣٢٠هـ] تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٣- (مُسْتَدْرَكَاتُ عِلْمِ رِجَالِ الْحَدِيثِ) الثَّمَاذِي، علي النمازي الشاهرودي، الناشر،

ابن المؤلف، مطبعة شفق، طهران، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

٥٤- (الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ) الفيومي، أبو العباس، أحمد بن

محمد بن علي الفيومي، الحموي، [ت: ٧٧٠هـ]، الناشر: دار الهجرة، قم المقدسة،

الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ

٥٥- (معاني الأخبار) الشيخ الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه [ت: ٣٨١هـ]، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر:

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٣٧٩هـ.

٥٦- (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ابن هشام، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري [ت: ٧٦١هـ]، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة

١٤٠٤هـ.

٥٧- (مفاتيح الغيب) الفخر الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي [ت: ٦٠٦هـ]، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة..

٥٨- (مفردات غريب القرآن) الراغب الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهاني [ت: ٥٠٢هـ]، الناشر: دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٥٩- (مناقب آل أبي طالب) ابن شهر آشوب، رشيد الدين، أبو عبد الله، محمد بن علي السروي المازندراني [ت: ٥٨٨هـ]، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة والمطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ.

٦٠- (من لا يخضره الفقيه) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه [ت: ٣٨١هـ]، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية.

مُحتَوَيَاتُ الْكِتَابِ

| | |
|----|---|
| ٧ |المُقَدِّمَةُ |
| ١٠ |فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُغْتَلَجٍ بِصَدْرِهَا |
| ١١ |عَمَلِي فِي هَذَا الشَّرْحِ |
| ١٣ |رِوَايَةُ مَعَانِي الْأَخْبَارِ |
| ١٧ |مَدْخَلٌ |

المَقْطَعُ الْأَوَّلُ

فَقَالَتْ عَلَيْهَا : أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِدُنْيَاكُمْ...

| | |
|----|--|
| ١٩ |اِخْتِلَافُ النُّسخِ |
| ١٩ |تَوْضِيحٌ |
| ٢٠ |شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ |
| ٢١ |عَوْدٌ عَلَى بَدْءِ |
| ٢٢ |شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ |
| ٢٢ |معنى قولها <small>عَلَيْهَا</small> : (عَائِفَةً) |
| ٢٢ |معنى قولها <small>عَلَيْهَا</small> : (قَالِيَةً) |

- تَعْلِيقٌ ٢٣
- معنى قولها ﷺ : (لَفَظْتُهُمْ) ٢٣
- معنى قولها ﷺ : (عَجَمْتُهُمْ) ٢٤
- تَوْضِيحٌ ٢٤
- معنى قولها ﷺ : (وَسَشْتُهُمْ) ٢٥
- معنى قولها ﷺ : (سَبَرْتُهُمْ) ٢٦
- تَعْلِيقٌ ٢٦

المقطع الثاني

فَقُبْحًا لِفُلُولِ الْحَدِّ، وَخَوَرِ الْقَنَاةِ...

- اِخْتِلَافُ النُّسخ ٢٧
- تَوْضِيحٌ إِجْمَالِيٌّ ٢٨
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ٣٠
- معنى قولها ﷺ : (فَقُبْحًا) ٣٠
- معنى قولها ﷺ : (لِفُلُولِ الْحَدِّ) ٣٠
- معنى قولها ﷺ : (وَخَوَرِ الْقَنَاةِ) ٣١
- معنى قولها ﷺ : (وَخَطَلِ الرَّأْيِ) ٣٢
- تَوْضِيحٌ ٣٣

- ٣٣..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ٣٣..... معنى قولها ﷺ: (اللَّعِبُ بَعْدَ الْجِدِّ)
- ٣٤..... معنى قولها ﷺ: (قَرَعَ الصَّفَاةَ)
- ٣٦..... معنى قولها ﷺ: (صَدَعَ الْقَنَاءَ)
- ٣٦..... معنى قولها ﷺ: (رَزَلِ الْأَهْوَاءَ)
- ٣٨..... تَوْضِيحٌ
- ٣٨..... دِلَالَةُ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ
- ٣٩..... عُمُومُ التَّغْلِيلِ يُعَمِّمُ الْحُكْمَ
- ٤١..... لُزُومُ الْبَرَاءَةِ
- ٤١..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ٤١..... معنى قولها ﷺ: (لَا جَرَمَ)
- ٤٣..... معنى قولها ﷺ: (لَقَدْ)
- ٤٣..... تَوْضِيحٌ
- ٤٣..... معنى قولها ﷺ: (قَلَدْتُهُمْ)
- ٤٤..... معنى قولها ﷺ: (رَبَّقْتَهَا)
- ٤٤..... تَوْضِيحٌ
- ٤٤..... معنى قولها ﷺ: (وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ غَارَهَا)
- ٤٥..... تَعْلِيْقٌ

- معنى قولها ﷺ: (وَحَمَلْتُهُمْ أَوْقَتَهَا)..... ٤٦
- تَوْضِيحٌ..... ٤٦
- خُلَاصَةٌ..... ٤٧
- تَعْلِيْقٌ..... ٤٧
- معنى قولها ﷺ: (جَدْعًا)..... ٤٧
- معنى قولها ﷺ: (عَقْرًا)..... ٤٨
- معنى قولها ﷺ: (سُحْقًا)..... ٤٨
- معنى قولها ﷺ: (وَبُغْدًا)..... ٤٩
- معنى قولها ﷺ: (وَرَعْمًا)..... ٤٩
- حَاطِمَةٌ..... ٥٠
- تَعْلِيْقٌ..... ٥٠

المَقْطَعُ الثَّالِثُ

وَيُحْمُهُمْ أَنَّى زَحَزَحُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ...

- اِخْتِلَافُ النُّسخ..... ٥١
- تَوْضِيحٌ إِجْمَالِيٌّ..... ٥١
- شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ..... ٥٢
- معنى قولها ﷺ: (وَيُحْمُهُمْ)..... ٥٢

- معنى قولها ﷺ: (أَتَى) ٥٣
- معنى قولها ﷺ: (زَخَزَحُوهَا) ٥٣
- معنى قولها ﷺ: (رَوَّاسِي) ٥٥
- معنى قولها ﷺ: (الرَّسَالَةِ) ٥٥
- تَعْلِيْقٌ ٥٧
- لَوْلَا الْإِمَامُ لَسَاخَتْ الْأَرْضُ ٥٨
- معنى قولها ﷺ: (فَوَاعِدُ) ٥٩
- معنى قولها ﷺ: (النَّبُوَّةُ) ٦٠
- تَعْلِيْقٌ ٦٠
- معنى قولها ﷺ: (مَهْبَطُ) ٦١
- اِخْتِلَافُ النُّسخِ ٦٢
- تَوْضِيحٌ ٦٢
- شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ ٦٣
- معنى قولها ﷺ: (الْوَحْيِ) ٦٣
- معنى قولها ﷺ: (الْأَمِينِ) ٦٥
- تَعْلِيْقٌ ٦٧
- معنى قولها ﷺ: (الطَّيْنِ) ٦٨
- شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ ٦٨

- ٦٨..... تَعْلِيْقُ
- ٦٩..... تَوْضِيْحُ
- ٦٩..... معنى قولها عليها السلام: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.
- ٦٩..... تَوْضِيْحُ إِجْمَالِيّ
- ٧٠..... شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ

المَقْطَعُ الرَّابِعُ

وَمَا نَقْمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟...

- ٧٣..... اخْتِلَافُ النُّسَخِ
- ٧٣..... تَوْضِيْحُ إِجْمَالِيّ
- ٧٤..... شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ
- ٧٤..... معنى قولها عليها السلام: (وَمَا نَقْمُوا)
- ٧٥..... معنى قولها عليها السلام: (مِنْ أَبِي الْحَسَنِ)
- ٧٥..... تَعْلِيْقُ
- ٧٦..... معنى قولها عليها السلام: (نَقْمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ..)
- ٧٦..... معنى قولها عليها السلام: (نَكِيرٌ سَيِّفِيهِ)
- ٧٦..... شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ
- ٧٧..... بَحْثُ بَلَاغِيّ

- ٧٨..... تَعْلِيْقُ
- ٧٨..... معنى قولها ﷺ: (وَشِدَّةٌ وَطْنِهِ)
- ٧٩..... اخْتِلَافُ النُّسخِ
- ٧٩..... تَعْلِيْقُ
- ٨٠..... معنى قولها ﷺ: (وَنَكَالَ وَقَعْتِهِ)
- ٨٢..... تَعْلِيْقُ
- ٨٢..... معنى قولها ﷺ: (وَتَنَمَّرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ)
- ٨٣..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ٨٣..... مَعْنَى الذَّاتِ
- ٨٥..... تَعْلِيْقُ
- ٨٦..... الْخُلَاصَةُ

الْمَقْطَعُ الْخَامِسُ

وَاللَّهُ لَوْ تَكَافُوا عَنْ زِمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ...

- ٨٧..... اخْتِلَافُ النُّسخِ
- ٨٨..... تَوْضِيْحُ إِجْمَالِي
- ٨٨..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ٨٨..... معنى قولها ﷺ: (وَاللَّهُ لَوْ تَكَافُوا عَنْ زِمَامِ)

- معنى قولها ﷺ: (بَدَّه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ)..... ٨٩
- تَعْلِيْقُ..... ٩٠
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ٩٠
- معنى قولها ﷺ: (لَا غَنَلَقَهُ)..... ٩٠
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ٩١
- معنى قولها ﷺ: (لَسَارَ بِهِمْ)..... ٩١
- معنى قولها ﷺ: (سُجْحًا)..... ٩٢
- معنى قولها ﷺ: (لَا يَكْلُمُ خَشَاشُهُ)..... ٩٣
- تَوْضِيحُ..... ٩٤
- معنى قولها ﷺ: (وَلَا يُتَعَتَّعُ رَاكِبُهُ)..... ٩٤
- تَوْضِيحُ..... ٩٥
- تَوْضِيحُ إِجْمَالِي..... ٩٦
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ٩٧
- معنى قولها ﷺ: (وَلَا أُوْرِدُهُمْ مِنْهَلًا، نَمِيرًا فَضْفَاضًا، تَطْفَعُ ضَفَّتَاهُ)..... ٩٧
- تَعْلِيْقُ..... ١٠٠
- تَوْضِيحُ إِجْمَالِي..... ١٠١
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ١٠٢

- معنى قولها ﷺ: (وَلَا أَصْدَرُهُمْ) ١٠٢
- تَوْضِيحٌ ١٠٣
- معنى قولها ﷺ: (بَطَانًا) ١٠٣
- تَعْلِيْقٌ ١٠٤
- تَخْصِيصُ الْمَوْرِدِ لَا يُخَصِّصُ الْوَارِدَ ١٠٥
- معنى قولها ﷺ: (فَدَّ تَحَيَّرَ بِهِمُ الرَّيُّ) ١٠٥
- تَعْلِيْقٌ ١٠٧

المَقْطَعُ السَّادِسُ

غَيْرُ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ، إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ...

- اِخْتِلَافُ النُّسخ ١٠٩
- تَوْضِيحٌ إجمالِيٌّ ١١٠
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١١١
- معنى قولها ﷺ: (غَيْرُ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بِطَائِلٍ) ١١١
- معنى قولها ﷺ: (إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَرَدَّعِهِ سَوْرَةُ السَّاعِبِ) ١١٣
- تَوْضِيحٌ إجمالِيٌّ ١١٣
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١١٣
- تَعْلِيْقٌ ١١٥

- معنى قولها عَلَيْهَا: (وَلَفْتَحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...) ١١٥
- تَوْضِيحٌ إجمالِيٌّ ١١٥
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١١٦
- تَعْلِيْقٌ ١٢٠

الْمَقْطَعُ السَّابِعُ

أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعِ، وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ!...

- اِخْتِلَافُ النُّسخ ١٢٣
- تَوْضِيحٌ إجمالِيٌّ ١٢٤
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١٢٥
- معنى قولها عَلَيْهَا: (أَلَا هَلُمَّ فَاسْمَعِ!) ١٢٥
- بَحْثُ لُغَوِيٌّ ١٢٥
- معنى قولها عَلَيْهَا: (وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ!) ١٢٧
- تَوْضِيحٌ إجمالِيٌّ ١٢٧
- شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١٢٧
- معنى قولها عَلَيْهَا: (وَإِنْ تَعَجَبَ فَقَدْ أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ!) ١٢٨
- تَوْضِيحٌ وَتَعْلِيْقٌ ١٢٨
- معنى قولها عَلَيْهَا: (إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنْدُوا، وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟) ١٢٩
- تَوْضِيحٌ إجمالِيٌّ ١٢٩

- ١٣٠ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٣٢ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ
- ١٣٣ عَوْدٌ عَلَى بَدْءِ
- ١٣٤ معنى قولها ﷺ: (اسْتَبَدَلُوا الذَّنَابِي وَاللَّهَ بِالْقَوَادِمِ، وَالْعَجْزَ بِالْكَاهِلِ).
- ١٣٤ تَوْضِيحٌ إِبْجَالِيٌّ
- ١٣٤ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٣٨ تَعْلِيْقٌ

الْمَقْطَعُ الثَّامِنُ

فَرَعْمًا لِمَعَاطِيسِ قَوْمٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾...

- ١٣٩ اخْتِلَافُ النَّسَخِ
- ١٤٠ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٤٠ معنى قولها ﷺ: (فَرَعْمًا لِمَعَاطِيسِ قَوْمٍ)
- ١٤٢ تَعْلِيْقٌ
- ١٤٢ معنى قولها ﷺ: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾
- ١٤٢ تَوْضِيحٌ إِبْجَالِيٌّ
- ١٤٤ معنى قولها ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
- ١٤٤ تَوْضِيحٌ إِبْجَالِيٌّ
- ١٤٤ بَحْثٌ قُرْآنِي حَوْلَ عُنْوَانِ الْمُفْسِدِينَ

عُنْوَانُ الْفَسَادِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ١٤٦

خُلَاصَةٌ ١٤٧

معنى قولها عليها السلام: ﴿أَقْمَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ...﴾ ١٤٨

تَوْضِيحُ إِجْمَالِي ١٤٨

الْمَقْطَعُ التَّاسِعُ

أَمَّا لَعَمْرُ إِلَهَك، لَقَدْ لَقِحتْ، فَنَظَرَةٌ رَيْنَمَا تُنْتَجُ...

اِخْتِلَافُ النُّسخ ١٥١

تَوْضِيحُ إِجْمَالِي ١٥١

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١٥٢

معنى قولها عليها السلام: (أَمَّا لَعَمْرُ إِلَهَك) ١٥٢

تَعْلِيْقُ ١٥٤

معنى قولها عليها السلام: (لَقَدْ لَقِحتْ، فَنَظَرَةٌ رَيْنَمَا تُنْتَجُ) ١٥٤

تَوْضِيحُ إِجْمَالِي ١٥٤

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١٥٤

تَعْلِيْقُ ١٥٦

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ ١٥٦

تَعْلِيْقُ ١٥٨

معنى قولها عليها السلام: (ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ دَمًا عَيْطًا...) ١٥٨

- ١٥٨..... تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ
- ١٥٩..... معنى قولها ﷺ : (ثُمَّ اخْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ دَمًا عَيْطًا)
- ١٥٩..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٦٠..... تَوْضِيحُ
- ١٦١..... تَعْلِيْقُ
- ١٦٢..... معنى قولها ﷺ : (وَدُعَاةً مُخْمَرًا)
- ١٦٢..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٦٣..... تَوْضِيحُ
- ١٦٣..... تَعْلِيْقُ
- ١٦٣..... معنى قولها ﷺ : (هُنَالِكَ يَخْشَرُ الْمُبْطِلُونَ)
- ١٦٤..... معنى قولها ﷺ : (وَيَعْرِفُ الثَّالُونَ غَبَّ مَا سَنَّ الْأَوَّلُونَ)
- ١٦٤..... تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ
- ١٦٥..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٦٧..... تَعْلِيْقُ وَتَوْضِيحُ

الْمَقْطَعُ الْعَاشِرُ

ثُمَّ طَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا...

- ١٦٩..... اخْتِلَافُ النُّسخِ
- ١٦٩..... تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ

معنى قولها ﷺ: (طَبُّوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا)..... ١٧١

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيْحٌ..... ١٧١

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ١٧١

معنى قولها ﷺ: (وَطَأْمِنُوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشًا)..... ١٧٢

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيْحٌ..... ١٧٢

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ١٧٢

معنى قولها ﷺ: (وَأَبْشِرُوا بِسَيْفٍ صَارِمٍ)..... ١٧٥

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيْحٌ..... ١٧٥

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ١٧٦

معنى قولها ﷺ: (وَهَرَجَ شَامِلٍ)..... ١٧٧

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيْحٌ..... ١٧٧

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ١٧٨

معنى قولها ﷺ: (وَاسْتِنْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدْعُ فَيَنْتَكُمُ زَهِيدًا، وَزَرَعَكُمْ حَصِيدًا)..... ١٧٨

تَعْلِيْقٌ وَتَوْضِيْحٌ..... ١٧٨

شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ..... ١٧٩

معنى قولها ﷺ: (فَيَا حَسْرَتِي لَكُمْ، وَأَنِّي بِكُمْ، وَقَدْ عَمِيَتْ قُلُوبُكُمْ عَلَيْكُمْ ...)..... ١٨٥

تَذْكِيرٌ وَتَنْبِيْهُ..... ١٨٥

اِخْتِلَافُ النُّسخ..... ١٨٥

- ١٨٦..... تَوْضِيحُ إِجْمَالِيٍّ
- ١٨٧..... شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ
- ١٨٧..... الْحُسْرَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ١٨٩..... تَعْلِيْقُ
- ١٩٢..... اسْتِعْمَالُ لَفْظِ الْعَمَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ١٩٤..... بَيَانُ مَعْنَى الْقَلْبِ
- ١٩٥..... الْقَلْبُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ٢٠٠..... تَعْلِيْقُ

إِضَافَةٌ فِي نُسَخَةِ الْاِخْتِجَاجِ

- ٢٠١..... تَمْهِيْدُ
- ٢٠٢..... الْمَقْطَعُ الْأَخِيرُ
- ٢٠٣..... تَوْضِيْحُ وَتَعْلِيْقُ
- ٢٠٤..... الْخِتَامُ

مَصَادِرُ وَطُرُقُ الْخُطْبَةِ

- ٢٠٥..... تَمْهِيْدُ
- ٢٠٧..... مَصَادِرُ الْخَاصَّةِ:
- ٢٠٧..... الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ: «مَعَانِي الْأَخْبَارِ»
- ٢٠٨..... تَسْمِيَةُ الْكِتَابِ بـ «مَعَانِي الْأَخْبَارِ»

- سَدُّ الحُطْبَةِ ٢٠٩
- المَصْدَرُ الثَّانِي: «أَمَالِي الطُّوسِي» ٢١١
- تَسْمِيَةُ الْأَمَالِي ٢١١
- سَدُّ الحُطْبَةِ ٢١٢
- المَصْدَرُ الثَّالِثُ: «الْاِخْتِجَاجُ» ٢١٩
- سَبَبُ تَأْلِيفِ الْكِتَابِ ٢١٩
- سَدُّ الحُطْبَةِ ٢٢٠
- المَصْدَرُ الرَّابِعُ: «دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ» ٢٢٣
- فَائِدَةٌ ٢٢٣
- الحُطْبَةُ فِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ ٢٢٥
- المَصْدَرُ الْخَامِسُ: «كَشْفُ الْغَمَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَيْمَةِ» ٢٢٧
- الحُطْبَةُ فِي كَشْفِ الْغَمَّةِ ٢٢٧
- المَصْدَرُ السَّادِسُ: «الدُّرُّ النَّظِيمُ» ٢٣١
- مُلَخَّصُ مَصَادِرِ الْخَاصَّةِ ٢٣٣
- خُلَاصَةُ أَسَانِيدِ الحُطْبَةِ ٢٣٣
- مَصَادِرُ الْعَامَّةِ ٢٣٥
- المَصْدَرُ الْأَوَّلُ: «بَلَاغَاتُ النِّسَاءِ» ٢٣٥
- الحُطْبَةُ فِي كِتَابِهِ ٢٣٦

- ٢٣٧ الْمَصْدَرُ الثَّانِي: «السَّقِيفَةُ وَفَدَكَ»
- ٢٣٧ الْجَوْهَرِي لَيْسَ مِنَ الشَّيْعَةِ
- ٢٣٨ الْخُطْبَةُ فِي كِتَابِ الْجَوْهَرِي
- ٢٣٨ فَائِدَةُ سَنَدِيَّةٌ
- ٢٤١ الْمَصْدَرُ الثَّلَاثُ: «فَضَائِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّهِ السَّلَامُ»
- ٢٤٣ الْخُطْبَةُ فِي كِتَابِهِ
- ٢٤٣ فَائِدَةُ سَنَدِيَّةٌ
- ٢٤٥ الْمَصْدَرُ الرَّابِعُ: «شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ»
- ٢٤٥ مَذْهَبُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ
- ٢٤٦ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ وَتَفْضِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّهِ السَّلَامُ
- ٢٤٦ تَنْبِيْهُ وَتَنْوِيْهُ
- ٢٤٧ كَلَامُهُ فِي التَّفْضِيلِ
- ٢٤٧ الْقَوْلُ بِتَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ
- ٢٤٧ الْقَوْلُ بِتَفْضِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّهِ السَّلَامُ
- ٢٤٩ الْقَوْلُ بِالتَّوَقُّفِ
- ٢٤٩ رَأْيُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ
- ٢٥٠ تَقْدِيمُ الْمَفْضُولِ عَلَى الْفَاضِلِ!

- ٢٥١ زَادَ فِي الطِّينِ بَلَّةٌ
- ٢٥٢ الْخُطْبَةُ فِي كِتَابِهِ
- ٢٥٢ كَلَامُهُ بَعْدَ نَقْلِ الْخُطْبَةِ
- ٢٥٥ خُلَاصَةُ طُرُقِ الْعَامَّةِ
- ٢٥٦ اشْتَرَاكَ الطُّرُقِ
- ٢٥٧ الْخُلَاصَةُ
- ٢٥٧ تَنْبِيْهُ
- ٢٥٨ مِسْكُ الْخِتَامِ
- ٢٥٩ مَصَادِرُ الْكِتَابِ
- ٢٦٧ مُحْتَوَيَاتُ الْكِتَابِ